

علم البيان

دراسة تحليلية لمسائل البيان

تأليف
د. بسيموني عبد الفناح فيّود
أستاذ البلاغة والنقد
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

دار الكتب العلم الثتافية
الطبعة
للنشر والتوزيع

مؤسسة
المختار
للنشر والتوزيع

**دار
العالم الثقافية
للنشر والتوزيع**

المملكة العربية السعودية
الأحساء - الهفوف
شارع الجامعة

ص.ب. : ١١٦١٣ الأحساء ٣١٩٨٢

هاتف : ٥٨٧٠٦٢٣ - ٥٨٦٢٠٦١

**مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع - القاهرة**

٦٥ شارع الزهراء - مصر الجديدة
الجهاز : ٢٩٠٦٨٣٢

الطبعة الثانية

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع : ٢٣٠٦ لسنة ١٩٩٨
التسجيل الدولي : 977-5285-23-X

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة الكرام أن يقرؤا له سجدين وعلمه الأسماء كلها .. نحمدك ربنا محمد الشاكرين كرمتم بني آدم ومجملتهم في البر والبحر ورزقتهم من الطيبات وفضلتهم على كثير ممن خلقت تفضيلاً ، ومن النعم التي أنعمت بها عليهم نعمة البيان والإتيان ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فله الحمد وله الشكر على ما أنعم به وتفضل . ثم الصلاة والسلام والأمن والأمان على نبينا محمد القائل : " إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً " صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد نفذت الطبعة الأولى من كتابنا : علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان وهو كتاب الغاية منه إيضاح مسائل البيان وتحليلها وتحليل شواهدنا فيقف الدارس له على ضوابط التشبيه وبمحيط بآلوانه وطرائقه ويدلم بالتعبيرات المجازية والكنائية ويعرف دقائقها .

وكان غرضنا من الكتاب متوجهاً إلى تحقيق غايتين :

- ١ - أن يلم الدارس بالضوابط والقواعد البلاغية وبمحيط بها .
- ٢ - أن ترسخ في وجدانه وتغرس في نفسه حب تلويق النصوص والوقوف على أسرار الجمال بها وإدراك مزايا الحسن ، ولذا حرصنا على الإكثار من الموازنات بين الصور والأعيرة وعلى تحليل الشواهد دون تفریط أو إفراط فلا بطلنى التحليل على شرح القاعدة

وليضاح الضابط ولا تعرض القواعد والضوابط عرضاً حافاً حامدا يبعث الملل ويسودى إلى إهمال الدارس وانصرافه عن الدرس البلاغى والرغبة عنه .

ولما نقدت الطبعة الأولى وبدت حاجة الدارس للكتاب لم تزدد فى إعادة طبعه طبعة جلية واضحة لتحقق الثمرة المرجوة والغاية المنشودة .

نسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يجزينا خير الجزاء ويهدينا سواء السبيل إنه خير مسئول وهو نعم التولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا به .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

د/ بسيونى عبد الفتاح فيود

أستاذ البلاغة والنقد

فى كلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين حمدا دائما طيبا ، والصلوة والسلام على رسوله الأمين ،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه ونحسبك بسنته إلى يوم
الدين ...

أما بعد :

فهذا كتاب في مسائل علم البيان ، وضعه لطلبة الدراسات العالية الجامعية ،
وقد راعيت فيه مستوى الطلبة في هذه المرحلة ، إدراكا وتوقفا واستيعابا ، فالطالب في
هذه المرحلة يحتاج إلى إيضاح القاعدة البلاغية وإلى تحليل الشاهد وشرح ما غمض من
مفردات الشواهد ، والمساعدة البلاغية وحدها لا تنفي بحاجة الطالب ، بل يحتاج -
بالإضافة إلى إيضاح القاعدة وشرحها - إلى تحليل شواهدا والإكثار من تلك الشواهد
حتى تتكون لدى الطالب ملكة التنبؤ وفهم النصوص ، ولذا أكثرته له من
الأمثلة والشواهد ، وحلت له الشواهد دون إسراف في التحليل ، لأن الإسراف في
التحليل في هذه المرحلة بالذات يفرط على الطالب الإلزام التمام بالمساعدة البلاغية ونحن
نهدف إلى الأمرين معا : أن يلم الطالب بالمساعدة وأن تدرب لديه ملكة الفهم وتنبؤ
النصوص ...

ويقع الكتاب في ثمهيد وثلاثة فصول وعاشرة ، أوضحت في التمهيد مفهوم
البيان ، وأوجه الدلالة على المعاني ، وموقع التشبيه من الباحث البيانية ، وتناولت في
الفصل الأول مسائل التشبيه ، وفي الفصل الثاني مسائل المجاز وفي الثالث مسائل
الكتابة ، وكان الهدف منصبا إلى الإحاطة والإلمام بكل هذه المسائل وبطريقة دقيقة

وميسرة وفي الخاتمة أشرت إلى مدى التفاوت بين الأساليب اليبانية في التصوير وإفادة
المباينة...

والله عز وجل أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن ينعم الثمرة المرجوة منه ،
وأن يبيننا بحسن النية ونيل المقصد إنه غير مسئول ، وهو القادى إلى سواء
السيرى .

الكولف

د/ يسويى عبد الفتاح يسويى

مَهَيِّنَات

مفهوم البيان :

قال الله عز وجل : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(١) . فالبيان نعمة من نعم الله تعالى ، أنعم بها على نبي آدم ، حيث كرمهم وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من خلقه .. وأمن عليهم بنعمة التعليم والبيان : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) . بهذا التعليم ميز الإنسان عن كثير من خلقه ، وصار ناطقا مينا ، يستطيع أن يعبر عما يخطر بخلطه ويحول في نفسه من المعاني ، فيوصلها إلى غيره من البشر ، وينقلها الغير عنه ، فيتم التفاهم ، وبهذا التفاهم تتحقق السعادة بين البشرية .

والبيان في اللغة ، معناه : الظهور والوضوح والإفصاح ، وما بين به الشيء من الدلالة وغيرها ، يقال : بان الشيء بآيات ، اتضح فهو بين ... وأبنته : كوضحته ، واستبان الشيء : ظهر ، قال ابن خربنج :

وللحسب آيات تبين للفتى شحوبا وتعري من يديه الأشاحم

أي : تظهر له شحوبا .. وبان الصبح لدى عيني : ظهر ووضح ، والبيان : الإفصاح والإفصاح مع ذكاء ، والبين من الرجال : السمع اللسان ، الفصيح المطريف ، العال الكلام ، وفلان أبين من فلان أي : أفصح منه وأوضح كلاما .

(١) أول سورة "الرحمن" .

(٢) أول سورة "العلق" .

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما ، قال : البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من الفهم ، وذكاء القلب مع النسن ، وأصله الكشف والظهور^(١) .

وقد تحدث كثير من العلماء عن مفهوم البيان وآلاته ، وأنواع الدلالة على المعاني ، وعمما يحتاج الباني إلى تحصيله من ألوان المعرفة و صنف الثقافة ...

من ذلك قول الجاحظ : " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يقضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محموله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يرمى القائل والسامع ، إنما هو الفهم ، والإفهام ، فيأى شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"^(٢) . ومفهوم البيان عند الرماني ، أنه الإحضار لما يظهر به غير الشيء من غيره في الإدراك^(٣) ، ويجعل عبد القاهر البيان من مقتضيات النظم ، فهو به يكون وعنه يحدث^(٤) ، وذكروا أن أنواع الدلالة على المعاني والإفصاح عنها من لفظ أو غيره خمسة أمور : اللفظ والإشارة والعقد والنقط والحال التي تسمى نصية .

فدلالة اللفظ : أن ينطق اللسان ملفصحا عما يجول بخاطر الإنسان ومبينا عما يردد بذاعله .

ودلالة العقد : هي دلالة الحساب ، لأن العقد ضرب من الحساب يكون بأصابع اليد ، ويقال له حساب اليد ، فهو نوع من أنواع الإفصاح عن المعاني .

(١) انظر لسان العرب ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٢) البيان والبيان ص ٧٥ .

(٣) انظر الذكت ضمن ثلاث رسائل ص ٩٨ .

(٤) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٦٤ .

ودلالة الإشارة : تكون بسايد والرأس والعين والحاجب واللسان ، وإذا تباعد الشخصان تكون بالثوب ونحوه ، وإذا هدد الشخص وتوعد تكون بالسيف والسيوط ونحوهما .

ودلالة الخط : هي دلالة الكتابة التي تبلغ من بعد نحو غاب ، ولذا فهي تفضل دلالة اللفظ المقصورة على المشاهد دون الغائب .

أما دلالة الحال : فهي دلالة التأمل والتدبر والنظر في الكون والاعتبار بما فيه ، فالسموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والنبات وغيرهما مما خلقه الله في الكون أحوال ودلائل تدل على وجوده تعالى وقدرته وعظيم سلطانه^(١) .

وآلات علم البيان وكلماته التي ينبغي على الباشي أن يتسلح بها ، لا تقتصر واحتياجه إليها ، يحصرها ابن الأثير في الأمور الآتية :

١ - حفظ القرآن الكريم وتفهم معانيه ، والتدرب على استعمال أساليبه وتراكيبه في مطاوى الكلام .

٢ - حفظ ما يحتاج إليه من أحاديث النبي ﷺ وأخباره والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال .

٣ - معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، والتمييز بين الفصح المستعمل من مفرداتها وبين الوحشي الغريب والمستكره المعيب .

٤ - معرفة علم العربية من نحو وصرف .

٥ - معرفة أمثال العرب وأيامهم ووقائعهم وعاداتهم .

(١) انظر البيان والبيان ص ١ ص ٧٦ والبرهان في وجوه البيان ص ٧ ، وانكت في إحصاء القرآن ضمن ثلاث رسائل ص ٩٨ .

٦ - الإطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب صناعة البيان

٧ - معرفة الأحكام السلطانية في الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة ونحو ذلك .

٨ - ما يختص بالنظم فون الدثر ، وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر^(١٦) .

ويتضح مما تقدم أن البيان هو التعبير عما يدور في الذهن وتحس به النفس بأسلوب في رابع ، أو هو الميزات اليلافية التي تقابل بها الأدياء والشعراء ، ويظهر بها فضل الكلام على الكلام ، وهو بهذا المعنى يشمل علوم اليلافة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع .

البيان في اصطلاح البيانيين :

أما البيان في اصطلاح البيانيين فهو : العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه .

وهو بهذا المفهوم الذي حده به علماء البيان يختلف عن علم المعاني الذي يبحث في بناء الجمل وتنسيق أجزائها تنسيقاً يطابق مقتضى حال الكلام . كما يختلف عن علم البديع الذي يبحث في وحيه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة .

شرح هذا التعريف :

المراد بالعلم : مجموعة القواعد والضوابط والقوانين التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كقواعد التشبيه ، وضوابط الاستعارة والمجاز المرسل ، وقوانين

(١٦) انظر نثر السائر ص ٤٠-٤٦ .

الكتابة ، ولهم هو للكتابة التي تروى لدى الدارس من دراسة هذه الضوابط وتطبيقها على العديد من النصوص ، لا مجرد حفظها والإحاطة بها .

والمراد بالمعنى الواحد : المعنى الذي يعبر عنه التكلم بكلام تام مطابق لمقتضى الحال كمعنى الشجاعة والكرم والعفة ، فليس من البيان ، الاقتدار على تأدية المعنى المقصود باللفاظ موافقة نحو : الأسد واللبث والغضنفر والسبع والضرغام ، لأن معرفة ذلك يرجع إلى علم اللغة وليس إلى علم البيان والبراد باختلاف الطرق التي يؤدي بها المعنى الواحد في وضوح الدلالة عليه ، أن يكون بعضها واضحاً وبعضها كئيد وضوحاً وليس المراد أن يكون بعضها واضحاً وبعضها خفياً ، لأن الخفاء للشكل الذي لا يفهم معه المعنى المراد معيب عند علماء البيان ، إلا إذا أريد بالقفاء ، التفة في أداء المعنى ، بعيداً عن اللبس والإشكال ، فلا غبار على إرادة ذلك .

ويرجع التفاوت في وضوح الدلالة إلى الأمور الآتية :

١ - اختلاف طرق التعبير عن المعنى الواحد ، فمثلاً إذا أراد التكلم أن يعصف زيداً بالكرم ، فله أن يسلك طريق الحقيقة فيقول : زيد كريم ، أو طريق التشبيه فيقول : زيد كالبحر عطاء وزيد كالبحر ، وكأنه البحر ، وزيد بحسب المعطاء ، وزيد بحر . ، ونلاحظ اختلاف درجة المبالغة باختلاف نوع التشبيه ، كما سيأتي في مباحث التشبيه ، وله أن يسلك طريق الاستعارة التصريحية ، فيقول : رأيت بحراً يفيض على الناس ، أو للكتابة فيقول : أمطرتنا زيد بعطائه ، أو يسلك طريق الكتابة فيقول : زيد حبان الكلب ، وكثير رماد القدر ، والكرم بين برديه .

٢ - قرب المعنى المجازي أو الكناي من المعنى الحقيقي وبعده عنه ، فمثال القرب بينهما : استعارة الطيور للعدو نحو : فلان يطير إلى حاجته ، أي : يندو إليها مسرعاً ، والكتابة عن الرجل يحمل السلاح وعن المرأة بخضاب البدان كقول المتنبي :

ومن في كفه منهم قنساء كمن في كفه منهم خضاب

ومثال الجهد بينهما : استعارة الانسلاخ أرواح ضوء النهار شيئاً فشيئاً حتى يظهر الليل كما في قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَاِنَّهُمْ مُظْلِمُونَ ﴾^(١) . والكتابة عن الكرم بحسن الكلب وهزال الفصيل وكثرة الرماد .

٣ - درجة وضوح القرينة الدالة على المعنى للسرد ، فقد تكون بحيث يدركها السامع لأول وهلة ، كقولنا : رأيت أسداً يخطف الناس ، وعندئذ يكون التعبير عن المعنى في غاية الوضوح ، وقد لا يدركها السامع إلا بعد فكسر وإطالة تفسر كقول القوي :

وجعلت كسورى فوق ناجية يفتات شحم مستامها الرحل^(٢)

وكقول الآخر :

فبان تعافوا العدل والإيمان فبان فسى أيماننا نيرانا

وعندئذ يكون التعبير دقيقاً وأقل وضوحاً .

أوجه الدلالة اليبانية :

والدلالة التي ذكرها اليبانيون في تعريف علم البيان هي دلالة الألفاظ على معانيها ، أما غيرها من أنواع الدلالات غير اللفظية والتي عارض في دراستها بعض البلاغيين^(٣) ، فهي لا تلبي الدراسة البلاغية شيئاً ، بل عند التأمل والتفكر ، ترى أنها ترجع إلى الدلالة اللفظية - كما سيأتي - ولذا لا ينبغي أن تعد دلالات مستقلة أو معارة للدلالة اللفظية .

(١) سورة يس ٣٧ .

(٢) الكور : رسل البحر والناحية : الناقة السريعة .

(٣) كالدلالة العقلية مثل دلالة الدخان على النار ودلالة تغير العالم على حدوثه ، وكذلك الدلالة الطبيعية مثل دلالة حمرة الوجه على الحمل وصفرته على الوحل .

وللألفاظ في دلالتها على معانيها ثلاثة أوجه :

١ - دلالة المطابقة : وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له في اللغة ، كدلالة لفظ "أسد" على الحيوان المفوس ، ولفظ "إنسان" على الحيوان الناطق ، وسيت دلالة اللفظ على معناه الوضعي : دلالة مطابقة ، لتطابق اللفظ والمعنى بحيث إذا أطلق اللفظ فهم السامع معناه ولا يفتر العقل في إدراك المعنى من اللفظ إلى شيء آخر غير الوضع ، وهذا الوجه من أوجه الدلالة لا يتأني فيه التفاروت في درجة الوضع ، ولذا لا يلتفت إليه البيانون لغفاته أصيلاً .

٢ - دلالة التضمن : وهي دلالة اللفظ على جزء معناه الوضعي كدلالة لفظ الدار ، على السقف ، فالدار موضوعة للحيطان التي يظللها السقف ، وكدلالة الأصابع على الأظفار ، فالأصابع موضوعة للظفر من المصطلح ، ويستتبع ذلك فهم جزء معناه ، وعلى ذلك لا تكون هذه الدلالة وضية فيأتي فيها التفاروت في درجة الوضع .

٣ - دلالة الالتزام : وهي دلالة اللفظ على معنى عارض عن المعنى الذي وضعه له واضع اللغة ، لا زم له في الذهن ، وهذا اللزوم الذهني ، قد يكون مبنياً على مجرد النظر العقلي دون تدخل عرف أو اصطلاح ، كدلالة قولنا : العالم متغير ، على حدوث العالم ، فقد ثبت في حكم العقل التزام بين تغير العالم وحدثه ، وقد يكون مبنياً على عرف عام مشهور كدلالة لفظ "أسد" على الشجاعة ، فالذهن يدرك التزام بين الأسد والشجاعة ، اعتماداً على ما اشتهر في عرف الناس من التزام بينهما ... وقد يكون مبنياً على طبيعة مستقرة في إنسان أو حيوان ، كدلالة حمرة الوجه على الخجل وتقطيبه على الغضب ، وحينئذ الكلب على الكرم... أو على عادة مشهورة كدلالة إلقاء النار في مكان مرتفع على الكرم... فمن طبيعة الإنسان أن يحمر وجهه عند الخجل وأن يقطب وجهه عند الغضب ، ومن طبيعة الكلب أن يمين أمام من اعتاد رؤيته ، ومن عادات العرب إشعال النيران في الأماكن العالية ليسرشد بها القادم إليهم ...

والبيانون يهتمون على دلالتى "التضمن والانتزام" فى تحقيق الغاية المقصودة من علم البيان وهى الاحتدار على إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ...

هذا ويجب على البيانى أن يراعى بالإضافة إلى وضوح الدلالة على المعنى الذى يريد أداءه ، مطابقتها لمتنضى الحال ، فيجمع بذلك بين وتيقنى "علم البيان وعلم المعانى" ، فإذا عاظم السوى الجاهل يخلط التشبيهات أو غريب الاستعارات أو باللوازم البعيدة الدقيقة فى المجازات والكنايات ، فقد بعد عن الجادة ... كما أنه إذا عاظم الأديب للتمكن فى صناعة الكلام ، التمرس فى منسوب البيان ، بأسلوب الحقيقة المفردة ، أو التشبيهات القريبة ، أو الاستعارات العامة البتلة ، أو الكنايات الواضحة ، فقد حاد عن الطريق السوى ، لأنه بهذا الصنع يكون قد تغافل عن وظيفة علم المعانى وهى : مراعاة المطابقة لمتنضى الحال .

موقع التشبيه من المباحث البيانية :

لا يختلف علماء البيان فى أن التشبيه له من الاعتبارات الدقيقة والطلائف المعجبة والمغاسن العديدة والمقاصد المفقرة ، ما يجعله موضع اعتمام البيانى ... ولكنهم اختلفوا فى موقعه من مباحث علم البيان ، هل بعد من مباحثه الرئيسية ؟ أم أنه مبحث تمهيدى لمباحث الاستعارة ؟ لأن الاستعارة كما تعلم مبنية على التشبيه...

فبعضهم يرى أنه مبحث تمهيدى لدراسة الاستعارة ، ويحتج بأن كلا من التشبيه والتشبيه به والأداة ووجه التشبيه ، مستعمل فى معناه الرضى ، والمعانى المعبر عنها بالفاظ وضعية ، تكون واضحة الدلالة ، وعلم البيان إذا يبحث فى الدلالات التى تختلف فى درجات الوضوح ، وهى الدلالات غير الوضعية ...

وبعضهم يرى أن التشبيه من مباحث علم البيان الرئيسية ، ومقاصده الأساسية ، وقليلهم أن التشبيه ليس فى درجه واحدة من الوضوح ، بل تتفاوت درجاته ، وتعدد

مراتبه ، وتختلف أقسامه ، وتتوزع ضروبه ، فهنا نجد التشبيه الواضح القطع باللدلالة ،
نجد التشبيه الدقيق الخفى ، وعندما نرى التشبيه المفرد نرى الآخر المقيّد أو المركّب ،
وعندما نرى التشبيه الحسى ، أو الصريح نرى العقلى أو الضمنى ، وهذه التفاضلات
والاختلاف بين التشبيهات ظهورا وخفاء ، ووضوحا ودقة ، يجعله من البحوث الرئيسية
للعلم البيان ونحن نحيل إلى هذا الرأى ونراه أولى بالقبول ..

الفصل الأول التشبيه

تعريفه :

هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه ، كما تقول : محمد كالأسد شجاعة فالأمر الأول في هذا المثال هو "محمد" وهو التشبيه والأمر الثاني هو "الأسد" وهو المشبه به وأداة التشبيه هنا هي الكاف والعنى المرتبط بالأمرين المشبه والمشبه به هو الشجاعة وتعرف بوجه الشبه .

وقد عرف بعض البلاغيين التشبيه بأنه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لا على وجه الاستعارة الحقيقية ولا المكتسبة ولا التجريد^(١)... فقيدهم التعريف بكون الدلالة ليست على وجه الاستعارة الحقيقية ولا المكتسبة ولا التجريد... ولا عورة بهذا القيد لأن الاستعارتين الحقيقيتين نحو : رأيت نجماً في المسجد والمكتسبة نحو : لعبت بنهال الزمان ، مبيتان على تناسي التشبيه والمبالغة في تعامله حتى كأنه لم يكن . فقولنا في التعريف : " بإحدى أدوات التشبيه " يخرج لماتين الاستعارتين ويخرج أيضاً نحو قولنا : حادى محمد وعلي ، وقاتل زيد وعمراً وغير ذلك من الصيغ الدالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ولكن بطرق أخرى وليس عن طريق أدوات التشبيه .

وأما التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كما لها فيه نحو : لى من فلان صديق حميم وقولنا : نحن سائل فلان لسائلين به البحر ، لقيت من زيد أسداً^(٢) فمخرجه من التشبيه ليس على الإطلاق بسلي إذا لم يكن على وجه يتبع بالتشبيه خرج منه كما في المثال الأول . وإذا كان على وجه يتبع بالتشبيه

(١) انظر الإيضاح ص ٧ - ٣ والمطلوب ص ٣١٠ .

(٢) انظر الإيضاح ص ٤٤ - ٤٠ .

كما في الثالين الثاني والثالث فهو داخل فيه ولا يمكن إخراجها منه^(١) ، هذا وقد تكون هذه الأمور وهي : التشبيه والتشبيه به ووجه التشبيه والأداة بينة ظاهرة مصرحاً بها أو بضمها كقولنا : على كحالم في الكرم ، وليلى كالبدر شباه وشعرها كالليل سوادا ، وكما في قول الفلق جل وعلا : ﴿ وَرَبُّ الْمَجَارِ الْمُنْتَشِتَاتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَخُورٌ عَيْنٌ * كَأَنفُسَالِ الْوُلُودِ الْمَكُونِ ﴾^(٣) ... وقوله تعالى : ﴿ حَشَعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْنَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّقْتَرِئٌ ﴾^(٤) وكقول بشار :

كان مشار النقع فوق رءوسنا وأسماقنا ليل يهاوى كواكبسه
وقول امرئ القيس :

أيقظتني والمشرفي مضاجعي ومسئولة زرق كأياب أغصوال

وقد تكون تلك الأمور خفية مستورة ببنى بها الأسلوب وتفهم من سياق الكلام كما في بعض صور التحريد التي مررت بنا نحو : فمن لقيت فلانا للفقين به الأسد ، وكما في التشبيهات الضمنية نحو قولنا : نوره الصباح يلقى في ضوء حبيته ، ونور الشمس مسروق من نور وجهه ، وكقول أبي تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الفنى فالسيل حارب للمكان العالي
وقول أبي الطيب

من يهن يسهل الهوان عليه ما يجرح بيمت إسلام

(١) انظر مفتاح العلوم ص ١٦٨ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٢٤ .

(٣) سورة الواقعة الأيتين ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) سورة القمر الآية ٧ .

وقوله :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا
وقول أبي نواس :

إن السحاب لتستحي إذا نظرت
وقول الجحوى :

في طلعة البدر شيء من محاسنها
وللقضيب نصيب من ثمنها

إلى غير ذلك من التشبيهات الضمنية التي تكون مستورة في الأساليب مختلفة
وراء الحمل والعبارة فتفهم ضمنا من سياق الكلام ولا يصرح فيه بأركان التشبيه
ولا تأتي جملة مبنية على هذا الأسس ، وسيوضح لنا هذا فيما يأتي إن شاء الله .

((أركان التشبيه))

وأركان التشبيه خمسة :

- ١ - المشبه : وهو الأمر الذى يراد إنشاؤه بغيره .
- ٢ - المشبه به : وهو الأمر الذى يراد إنشاؤه بغيره به ، ويسمى كل من المشبه والمشبه به بـطرفى التشبيه .
- ٣ - وجه التشبه : وهو المعنى الجامع الذى يشترك فيه الطرفان ويكون فى التشبه به أعرف وأشهر منه فى التشبه ، وغالبا ما يكون فى المشبه به أقوى وأكمل أيضا منه فى المشبه ، وتقول "غالبا" لأننا نرى بعض التشبيهات وقد صار بها المشبه أقوى وأكمل فى وجه الشبه عن التشبه به فالتناز فى ذلك يرجع إلى الغرض الذى من أجله يساق التشبيه وسيوضح هذا الأمر عند حديثنا عن أغراض التشبيه .
- ٤ - أداة التشبيه : وهى اللفظ الذى يربط بين الطرفين ويدل على التشبيه .
- ٥ - الغرض من التشبيه : وهو الهدف أو الفائدة التى من أجلها يسوق التشبيه والتشبيه والغاية التى ينشئها من وراءه .

ما يتحتم ذكره من هذه الأركان وما يجوز حذفه :

والأركان الأربعة الأولى قد تذكر جميعا فى جملة التشبيه نحو قولنا : محمد كالبحر عطاء وكرما وعمرو كالأسد شجاعة ، وقد يذكر بعضها دون بعض . فقد تحذف الأداة نحو : محمد بحر فى العطاء وذلك إذا كان المقام يقتضى المبالغة فى المشابهة ومنه قول الشاعر :

هم البحور عطاء حين تساقم وفى اللقاء إذا تلقى بهم بهم

وقد يحذف الوجه إذا كان مشهوراً واضحاً نحو : محمد كالأسد وأنت كحاتم وهو مثل أحنف ... وقد تحذف الأداة والوجه معاً نحو : أكت أسد .. محمد بنجر ويعرف هذا التشبيه بالبلغ .

وقد اختلف فيه العلماء فبعضهم يلحقه بالتشبيه ويعدّه منه وبعضهم يلحقه بالاستعارة ويجعله منها وآخرون يفسلون القول فيجعلون بعضاً منه تشبيهاً والبعض الآخر استعارة على نحو ما سدرى في الفصل الثانی عند حديثنا عن الاستعارة ... وقد يلحق التشبيه بالوجه والأداة فيحذف معهما ويبقى التشبيه فقط ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هُمْ يَكْمُ عَنِّي... ﴾^(١) ! ... وقول عمران بن حطان يذم الخجاج بالجين :

أسد على وفى الحسروب نعامه فتخاض تنفس من صقير الصافر
فقد حذف في الآية والبيت التشبيه بالإضافة إلى حذف الأداة ووجه التشبيه والتقدير : هم صم ... ، وهو أسد على .

وحذف للتشبيه هنا في الآية الكريمة وفي البيت لا يخرج الكلام عن دائرة التشبيه للقاعدة المشهورة : أن المقدر كالتذكير .. ولا يقال في نحو : رأيت أسداً وحديثه .. وشاهدت نمرًا في السجد إن هذا مبني على التشبيه ولم يبق منه سوى التشبيه به فلم يخرج عن دائرة التشبيه وعد استعارة ؟ ولم لم يخلل تشبيهاً كالآية الكريمة والبيت ؟ لأننا نقول : المرجع في ذلك إلى بناء الجملة وقد بنيت الجملة في المثالين بناءً تنويسي في التشبيه وبولغ في طيه وتجاهله ، أما في الآية والبيت فقد بنيت الجملة على إرادة التشبيه المحلوف وعلى تقديره والمقدر = كما قلنا - كالتذكير .. فاللذان إذاً على بناء الجملة .

وأما التشبيه به فيتحمم ذكره ولا يتأتى حذفه بحال من الأحوال لأن في حذفه تفويتاً للغرض المقصود من التشبيه .

(١) سورة البقرة الآية ١٨ .

وربما سأل سائل : فمآذا عن الركن الخامس من أركان التشبيه ؟ أيجوز حذفه أم يهتم ذكره ؟ والجواب : ليس هنالك من لفظ للغرض ولكن الغرض من التشبيه إنما هو غاية بهدف التكلم إلى تحقيقها وإثباتها بعقد هذا التشبيه ، فالغرض إذاً يفسد بأسلوب التشبيه وبمحلته التي تبنى من أركانه الأربعة الأخرى ، فإذا أفسدت هذه الجملة الغرض كان التعبير جديداً ومختلفاً للغرض من التشبيه ، وإذا لم تقده كان التعبير معيماً ومغلاً بالغرض من التشبيه على نحو ما سنرى عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

هذا والتشبيه من فوائده أنه يوسع آفاق التعبير أمام التكلم فيستطيع عن طريق الصورة أن ينقل ما رسم في ذهنه من معان إلى السامع أو القارئ وما لأنه يجمع بين الإيجاز وحسن البيان والمبالغة في تأكيد المعاني وتقريبها ، ويستفصل القول فيما يلي في العناصر التي تسهم في بناء التشبيه وتكوين الصورة وتصوير الخيال وتبدلها بالحديث عن طرفي التشبيه .

مباحث الطرفين

الطرفان وهما التشبه والتشبه به لهما صفات يتصفان بها في أحوال يكونان عليها وقد نظر البلاغيون إلى هذه الصفات في تلك الأحوال ونوعوا التشبيه في قسموه تبعاً للحال التي يوجد عليها كل من التشبه والتشبه به ، فظفروا إليهما من جهات مختلفة وحيثيات متعددة وزوايا متنوعة ، فالطرف قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً وهذه جهة نظر منها البلاغيون إلى التشبيه ونوعوه أنواعاً والطرف إما أن يكون مفرداً بمجرداً أو مقيداً بقيد له أكثر في التشبيه أو يكون هيئة مركبة من عدة أمور قد امتزجت وهذه جهة ثانية من خلالها نظر البلاغيون إلى التشبيه فقسموه أقساماً ، والتكلم قد يشبه أمراً واحداً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة وقد يشبه أمرين أو أموراً بأمر واحد وقد يشبه أمرين أو أموراً عدة بأمر واحد ، أو بمعنى آخر الطرف قد يكون واحداً وقد يتعدد وهذه زاوية أخرى على أساسها قسم البلاغيون التشبيه أقساماً وقبل أن نخوض في هذه الأقسام أو في تلك

الأشياء نريد أن نقف على هذه الأحوال التي يوجد عليها الطرف أو الصفات التي يتصف بها والتي على أساسها كانت هذه الأنواع .

ما معنى حسية الطرف ؟ وما معنى عقليته ؟ :

معنى حسية الطرف أن يكون مدركا هو أو مادته التي يدرك منها بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وهي : البصر والسمع والشم والتذوق واللمس ، فمثال المدرك بإحدى هذه الحواس ، ضوء الشمس فإنه مدرك بحاسة البصر وتفريد الظاهر فهو مدرك بالسمع وطعم الفاكهة يدرك بالتذوق ورائحة المسك تدرك بالشم ونعومة الحرير تدرك بحاسة اللمس ، ونستطيع أن نجعل هذا حسيا حقيقيا لأن الطرف ذاته قد أدركناه ووقفنا عليه بإحدى الحواس ، ومثال ما أدركت مادته التي يتكون منها بإحدى الحواس : تخيل قصر من ذهب أعمدته من فضة أو تخيل بحر من مسك موجه الذهب أو تخيل أعلام من ياقوت قائمة على أعمدة من زبرجد ، فتلك أمور عيالية أجوعها الخيال وألفها من أشياء محسوسة موجودة ، وهذه الميقات المركبة لا وجود لها في الواقع ولكن أجراجهما ومادتها التي ركب منها وهي : الذهب والفضة والمسك والياقوت والزبرجد موجودة ومدركة بالحواس ، ونستطيع أن نجعل هذا حسيا غير حقيقي أو حسيا عياليا لأن الطرف نفسه غير مدرك بالحواس ولكن الذي وقفنا عليه وأدركناه بإحدى الحواس هو مادته أو أجزاء التي ركب منها .

ومعنى عقلي الطرف : ألا يكون هو ولا مادته مدركا بالحواس بأن يكون من المعاني التي يدركها المرء بعقله مثل : العلم والحياة والذكاء والبرودة والكرامة والإباء والنجدة . أو يكون من المعاني التي يحسها بوجوده نحو الجوع والعطش والشمع والفرح والحزن والعطاشية والخوف . فلا مدخل للحواس الخمس في إدراك هذه الأمور وإنما مجال إدراكها هو العقل أو الشعور الوجداني والحي الباطني . ويلحق بالطرف العقلي الأمور الوجدانية التي لا وجود لها ولا مادتها في الخارج ولكنها استقرت في وهم الإنسان نتيجة أسطورة أو عقيدة موروثة مثل : أَسَاطِير العُشُور وروحى الشياطين . وقسرق بسين الطسرف العقلى

والطرف الوهمي ، فالعقل له ثبوت وتحقق في الذهن ولكن لا مدخل للحواس في إدراكه بأي وجه من الوجوه كما رأينا . أما الوهمي فلا ثبوت ولا تحقق له عقلا ولا حساً لعدم وجوده لكن لو فرض وقدر وجوده لأدرك بالحواس لأننا عندئذ سنرى القول ونبصر أفعالها ونشاهد صورة الشيطان وصورة القول وقد حسمتا في عالم المراتب . كما أن هنالك فرق بين الطرف الوهمي والطرف الخيالي ، فالخيالي هيئته التركيبية لا وجود لها ولا تحقق ولكن أجزاء هذه الهيئة ومادتها موجودة ومدركة بالحواس والوهمي لا وجود له ولا لأجزائه حتى ندرك ونشاهد ولكن لو قدر وفرض وجوده وتحققه كان مدركا بالحواس كما قلت .

ما معنى أفراد الطرف وتقييده وتركيبه ؟

وأفراد الطرف معناه : أن يكون شيئا واحدا متميزا بذاته ليس مقيدا بقيد يؤثر في صورة التشبيه وليس هيئة مركبة من عدة أمور ومثاله الزهر والبروش والنحوم والقمر والشجاعة والبحر والوجه .

ومعنى تقييده : أن يرتبط الطرف بتقيد بوصف أو بإضافة أو بحال أو بحار وبحرور تقييدا لا يبلغ حد التركيب شريطة أن يكون هذا القيد أثر في تحقيق وجه التشبيه مثاله : الراقم على الماء والمرأة في كف الأخل وذلك بأن يشبه الرجل يجهد نفسه في عمل لا يتم بالراقم على الماء وأن تشبه الشمس بالمرأة في كف الأخل فقد قيد المشبه به بالجار والمحرور وهذا القيد له تأثير في تحقيق الوجه كما لا يخفى إذ الوجه في المثال الأول هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائلة وفي الثاني الهيئة المركبة من الإشراق والاستدارة والتوججات المستمرة . فالقيد إذاً له أثر في تحقيق وجه التشبه ، فإذا قلنا بهذه القننة الطويلة كاليد إشرافا وهذا الرجل الأسود كالأسد شجاعة ، فلا يحد بصفتي الطول والسراد ولا تكونان قيدان في المشبه لأن وجه التشبه وهو الإشراف والشجاعة لا علاقته له بالصفة المذكورة ولا أثر لهذه الصفة في تحقيقه .

ومعنى تركيب الطرف أن يكون هيئة مؤلفة من أمرين أو من عدة أمور قد امتزجت امتزاجاً يجعلها في حكم الشيء الواحد ومثاله : الهيئة المركبة من العيار للشار فوق رعوس المقاتلين والسيوف الثلاثة المتحركة حركة مستمرة وسط هذا العيار ، والهيئة المركبة من ليل مظلم ونجوم تنهارى وسط هذا الظلام .

ما معنى وحدة الطرف وتعددة ؟

ووحدة الطرف : أن يكون أمراً واحداً مثل محمد كالأسد ، فقد شبه شيء واحد وهو محمد بشيء واحد وهو الأسد فالطرفان هنا يتصفان بالوحدة .
ومعنى تعدد الطرف : أن يكون أمرين أو عدة أمور ولكن لا يمزج بينهما بل يظل كل أمر منهما على حدة ولا يصار طرفاً مركباً .

ومثال التعدد قول امرئ القيس :

كان قلوب الطير رطباً وباساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

فالمشبه في البيت وهو قلوب الطير الرطبة وقلوبها اليابسة والمشبه به متعدد أيضاً وهو العناب المقابل للقلوب الرطبة والحشف البالي المقابل للقلوب اليابسة ولكن لا امتزاج بين الأمرين المشبهين ولا بين الأمرين المشبه بهما . ومنه أيضاً قول أبي الطيب :

بدت قصراً ومالت خيوط بيان وفاحت عسيرا ورنست غسزالا

أي : بدت هذه المرأة بوجه كالقمر ومالت بقوام كفضن البان وفاحت برائحة كرائحة العنبر ونظرت بعين كعين الغزال ، فقد شبه أموراً متعددة بأخرى كذلك .

وبعد أن وقفنا على هذه الأحوال للطرفين وأدركنا حقيقة كل حال منها وكيفية اتصاف الطرف بها تنتقل الآن إلى أقسام التشبيه باعتبار كل حال من تلك الأحوال .

أولا : أقسام التشبيه باعتبار حسية الطرفين أو عقليتهما :

ينقسم التشبيه من هذه الجهة إلى أربعة أقسام :

الأول : تشبيه محسوس بمحسوس كقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُوفِ جِيئَ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾^(١) وقوله عز وجل : ﴿ وَخَوَّ عَيْنٌ * كَأَفْضَالِ الْوُثْقِ الْمَكْنُونِ ﴾^(٢) وقوله : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾^(٣).

فالتشبيه في الآيات الكريمة هو لنساء أهل الجنة والتشبيه به هو بيض النعام واللؤلؤ المكنون والياقوت والمرجان^(٤) وكلها من المصبرات فهي مدركة بحاسة البصر ، وتأمل الآيات الكريمة نرى مدى الدقة في إبراز جمال الخيور والإبداع في تصوير حسنهن ، فمن حور وقاصرات الطرف وعين ، وحور شديقات سواد العيون وبياضها ، وقاصرات الطرف حاسباته على أزواجهن ، وعين : ضخم الأعين حسانتها ، وكل هذه الألفاظ كما نرى تبرز معاني الجمال والحسن ثم كان التشبيه مصورا هذا الجمال ومبديا في إظهاره ، فمن بيض النعام ذو اللون المشوب بصفرة وذاك أجمل وأحسن كسوان النساء والبيض قد كن وسر فلا يصل إليه غبار ، ومن لؤلؤ مكنون وهن كَأَنَّهُنَّ ياقوت ومرجان ، والنفس شديدة الرغبة في هذه الأنواع الكريمة وتلك الأحجار النفيسة محبة لها شديدة الحرص عليها وذلك عامل للنفس قوى يجيب هؤلاء النساء ويعلى شأنهن في نفس المؤمن .

(١) سورة الصافات الآية ٤٨، ٤٩ .

(٢) سورة الواقعة الآية ٢٢، ٢٣ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٥٨ .

(٤) الياقوت : حجر نفيس كريم يختلف ألوانه وأشهر ألوانه الأحمر ، والمرجان : صغار الدار وإما حصي بها دون كبار الدار لأن الصفاء في صغار الدار أشد من الصفاء في كبارها ووجه التشبيه هو صفاء اللون وحمرة المشوبة بشدة البياض .

ومن ذلك قول أبي طالب الرقي :

وكان أجسام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

نقد شبه أديم السماء في صفاء زرقته وبياض النجوم بدرر ماثورة على بساط أزرق . وهما
من البصرات ، وقول بشار .

كان مشار النقع فوق رهوسنا وأسافنا ليل نهساوي كواكب

حيث شبه الغبار للثار فوق الرعوس والميوف تتحرك وسطه مضبوطة لامة بليل مظلم
تساقط كواكب للشرقة حاوية إلى الأرض وهما مما يدرك بالبصر ، ومن ذلك تشبيها الحد
بالرود في البياض للشرب بالحمرة ولقد بالرمح في استقامته والشعر بالليل في سواده والوجه
باليد في إخرقه وضيئه فالطرفان في كل هذه التشبيهات من الرميات .

ومن السموعات : تشبيها الصوت الضعيف بالمعس ، وأبرز القنصر بصوت
الطائرة ، ووقع الأسلحة في الحرب بالصواعق ، وتشبيه ذئ الرمة بأصوات
الفراريح في قوله :

كان أصوات من إغلمان بنا أواخر الميس إلقاض الفراريح^(١)

تقدير البيت : كان أصوات كواصر الميس إلقاض الفراريح من إغلمان بنا ،
ففضل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : من إغلمان بنا وهو عيب من ناحية التركيب ،
والذي يعنينا هنا هو تشبيهه الصوت المنبعث من احتكاك الرجل ببعضه ببعض نتيجة
شدلة السير واضطراب الرحال بصوت الفراريح وهى صفار الدجاج ، فوجه

^(١) الإيغال من أو غل في السير إذا تعد فيه وأسرع والضمير للإيل ، والأواخر جمع أسرة ، وأصرة
الرجل هي العمود الذي يستند إليه الراكب ، والميس : شجر صلب تتخذ منه الرحال وللرءاد
الرجل نفسها عن طريق مجاز المرسل ، والإلقاض من انتفضت الدجاجة أي : صوتت ،
والفراريح : صفار الدجاج جمع فروج .

الشبه هو الاشتراك في هذه النغمة الخاصة ، وطرقا التشبيه من المجموعات كما لا يخفى .

ومن المذوقات : تشبيه بعض قفاكهة بالعمل في الحرارة ، وتشبيه ريق الحبيب بالخمر في الطعم الجميل المذاق ومنه قول امرئ القيس :

كان المسدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعمل به يسرد أنيابها إذا غسرد الطائر المستحر^(١)

ومن اللعومات : تشبيه النكهة بالعنبر ووجه الشبه هو الرائحة الطيبة ، وتشبيه بعض الأشياء ذات الرائحة الطيبة بالريحان أو الكافور ، وتشبيه الرائحة الطيبة النبعثة من قم الحبية في وقت السحر بريح الخزامى ونشر القطر في البيتين السابقين .

ومن اللعومات : تشبيه الجسم بالخمر كما في قول الشاعر :

لها يشرب مثل الخمر ومنطق وخيم الخواشي لا هواء ولا نيزر

فالشبه يشرب وتشبه به الخمر وهما من اللعومات ووجه الشبه هو نعومة اللبس.

فطرقا التشبيه في كل ما مر بنا من شواهد حسان حقيقيان لأننا قد وقفنا عليهما وأقر كتاهما بحاسة من الخواشي الخمس ، هذا وكثيراً ما يلجأ الأديب إلى تراكيب واصداع صور عمالية مبدية براعته الفنية ومظهره المشبه في صورة رائعة بدبعة طريفة وهذا الطريف

(١) اللداح : الخمر ، وصوب الغمام : مطره ، والخزامى : نبت زهره من أطيب الزهر ، والقطر : عود يتجر به ، يعمل به : يشق مرة بعد مرة وللمستحر : الصوت وقت السحر ، يعني : أنها طيبة القسم في هذا الوقت الذي تنفر فيه الأنواء بعد النوم ، والمراء تشبه برد أنيابها باللداح وما عطف عليه قلب التشبيه ، والضمير في "به" يعود للدمام وما بعده ، وصبر كان : يبرد ويجوز حمل "برد" نائب فاعل "يعمل" وجملة يعمل به برد أنيابها هي الخبر والمضى أنه يقطن أن برد أنيابها مزج بالدمام وما عطف عليه وعدادة يكون التشبيه ضمناً ...

الذي يتنوعه الأديب ويضخه بعد حميا غير حقيقى أو عياليا أو داخلا فى الطرف الخسى كما يذكر بعض البلاغين^(١) لأن مادته أو أجزاء صورته مدركة بالحس موجودة تحت مراقبه وإن كان هو بهيته المركبية لا وجود له .

ومن ذلك قول الصنيرى يصف شقائق النعمان :

وكان عمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت تشرق على رماح من زبرجد^(٢)

وقوله يصف اليلوفر وهو نبات له زهر أحمر مشوب بصفرة :

كلنسا بامسط اليد نحو يلوافر ند

كتبهايس عسجد قطبها من زبرجد^(٣)

وقول الأحمر يصف نجم الثريا وقت طلوع الفجر :

إذا الثريا اعرجت عند طلوع الفجر حسبها لا معة متبلة من در

فالشبه فى هذه الآيات وهو شقائق النعمان ونبات اليلوفر ونجم الثريا من الخسيات الحقيقية لأنها من النباتات والشبه به وهو الأعلام المركبة من ياقوت منشور على رماح من زبرجد ، والعصا المكونة أو للصنوعة من زبرجد ورأسها من ذهب ،

(١) انظر الإيضاح ج ٣ ص ١٦ .

(٢) الشقيق : نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان وقد أورد لضرورة الشعر تصوب أو تصعد : مائل إلى أسفل وإلى أعلى فأرعى قولو ، والياقوت حجر نفيس يختلف ألوانه والراد هنا الأحمر ، لشرق : رلعن والزبرجد حجر نفيس أشهره الأخضر وهو المراد هنا .

(٣) اليلوفر : هو نبات البشتين وهو نبات ذو راحة طيبة يست فى الشاء وساقه أملس أنضج فإذا ساوى سطح الشاء لورق وأزهر وزهره أجمله أحمر مشوب بصفرة ، والديابيس جمع «ديوس» وهو عصا فى رأسها كالكرة .. والمسجد : اللعب أو جوهر كاللؤلؤ والياقوت .. وند : رطب .

والسنابل الدرية ، من الأمور الخيالية التي صنعها عيال الشاعر ولا وجود لها في الواقع ولا تدرك بالمحسوس الظاهرة ولكن المراد بالأجزاء التي صنعت منها هذه الأمور وركبت منها تلك المخلوقات موجودة ومدركة بالحس وواقعة تحت دافئته .
الثاني : تشبيه معقول معقول : كتشبيه الجاهل بالموت والعلم بالحياة وتشبيه العشق بالموت كما في قول الشاعر :

العشق كاللوت يأتى لا مرد له ما فيه للعاشق المسكين تنجيس
ووجه الشبه بين العشق والموت : عدم القدرة على دفعه ورده ، ومن ذلك تشبيه السفر بالعذاب وتشبيه الضلال عن الحق بالعمى والاعتناء إلى الحق بالإبصار وتشبيه الرضا بالخضوع للعدو لعدم القدرة على مقاومته بالرضا بالشيب كما في قول المتنبي :
رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروع^(١١)
فالطرفان في مثل هذه التشبيهات من المعقولات .

الثالث : تشبيه معقول بحسوس : كتشبيه أخلاق الكرام بالأرض الواسعة للمنة والمعطر ذي الرائحة الطيبة ، وتشبيه التوبة بالسبح فالمشبه وهو أخلاق الكرام والمشبه من المعقولات والمشبه به وهو الأرض الواسعة والمعطر والسبح من الحسوس .
ومن ذلك تشبيه الرأي بالليل كقول الشاعر :

الرأى كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلى إلا بأصباح
وتشبيه الغبط بالنار كقول المتنبي :
وغبط على الأيمان كالنار في الحشا ولكنه غبط الأسير في القيد

(١١) نسر : فهداً ، وخط : الرصط : فشدو الشيب في الركن وتقبل هو استواء البيض والسود ، النواصي الرعوس ، والفروع : جمع فرع ، وفرع كل شيء أعلاه ..

وتشبه الصبر على مضض الحسود بالنار تأكل بعضها لعدم إمدادها بما يسبب بقاها واشتغالها كقول ابن المعتز :

أصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

هذا وتشبيه المعقول بالمحسوس قد ورد كثيرا في كلام البشر كما كثر في أساليب القرآن الكريم ومن ذلك تصوير أعمال الكفار برماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، وبسراب يلجأ إليه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وفشل اعتقادات المنافقين واضطراباتهم وتحبطهم بالذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ، وتقبل الذين يتفكرون أموالهم في سبيل الله بحجة أتت سبع سنابل في كل سنبلة ماء حية ، وعجة بريئة أصابها وابل فأتت أكلاها ضعفين فإن لم يصيبها وابل فظل إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تصور لنا الأمور المعنوية للمعقولة بأمر محسوسة مشاهدة فهي كثيرة وليس هنا موطن لدراستها وإشباع القول فيها ، ومرجع هذه الكثرة إلى أن الأصل في باب التشبيه إخراج الأمور المعنوية للمعقولة إلى مشاهدة محسوسة وإبراز الأمور الخفية المستورة إلى أمور جلية واضحة .

الرابع : تشبيه محسوس بمعقول : وهذا القسم على خلاف الأصل في باب التشبيه كما قلنا لأن التشبه به شأنه أن يكون أظهر وأوضح من التشبه فأولى به أن يكون حسيا ولا يكون عقليا إلا بعد أن يستلزم منزلة المحسوس ويدعى أنه فائق المحسوس في الوجود والظهور من ذلك تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم كما في قول ابن بابك :

وأرض كالأعلاق الكرام قطعها

وقد كحل الليل السماء كالأبصار^(١)

^(١) السماء : الأعزل والرامح وهما نيران نيران وأبصار : فتح ونظير.

وتشبيه الفلام بيوم الفراق وفؤاد من لم يعشق في قول أبي طالب الرقي :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وتشبيه الليل بالأمل المظلم في قول الشاعر :

رب ليل كأنه أملئ فيك وقد رحت عنه بالحرمات

وتشبيه النجوم بين الدجى بالسفن بين الابتداع كقول المتنبي :

وكان النجوم بين دجائها سفن لاح يتهين ابتداع

وتشبيه نسيم الصباح بفرصة الأيس والمراب بتحلة الومق في قول بدیع الزمان :

كان نسيم الصباح فرصة آيس كان مراب القبط خجله وامق^(٦)

فالشبهات في هذه الآيات وهي : الأرض والفلام والليل والنجوم القضية بين الدجى ونسيم الصباح والمراب ، من الأمور للتركة بالحرف ، وللشبهات بها وهي : أخلاق الكرام ويوم النوى وفؤاد من لم يعشق والأمل المظلم والسفن بين البدع وفرصة الأيس وعجلة الومق ، من المقولات التي تولت منزلة المحسوسات وادعى أنها فاتها في الموضوع والظهور فجعلت أخلاق الكرام أشد سعة وأكثر امتداداً من الأرض الواسعة الممتدة ، ويوم الفراق وفؤاد من لم يعشق والأمل النوى أشد ظلاماً من الليل ، والسنة أكثر إشراقاً من النجوم والبدعة كشد ظلاماً من الليل ، وفرصة الأيس أقوى في إنعاش النفس من نسيم الصباح .

هذا وكما يلجأ الأديب إلى غيلب الأطراف والاعتراف المركبات الخيالية إظهاراً لواعته وإبرازاً للمشبه في صورة طريفة عجيبة يفقد يلجأ إلى استغلال المعاني الوجدانية إبرازاً لقطعة المشبه وتهويلها من شأنه كما نرى في قول امرئ القيس :

أيقتنسى والشعر في مضاجعي ومسنونة زرق كأيساب أخوال

^(٦) القبط : شدة الحر ، الومق الحب من ومنه : أحبه .

فالشبه به في البيت وهو أتياب الأقوال من المعاني الوهمية التي لا تدخل للحس في إدراكها وقد استغلها الشاعر شهوبيل شأن الأسته ، وإبرازها في صورة مرعبة مفروعة ، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ طَلَّهَا كَأَنَّهَ رُعُوسٌ شَيَاطِينٌ ﴾^(١) فرعوس الشياطين من المعاني الوهمية وقد أبرزت قبح هذا الطلع وفضحته ونفرت منه وبعثت في النفوس كراهته وبغضه وفي الآية نوع من السخرية والتهكم بهؤلاء الكفرة أولياء الشيطان فهم يطعمون في جهنم من شجرة طلعها كأنه رعوس أوليائهم ، كما أنه غسي جمع الرعوس مزيد من الشهوبيل والتفطوح والتلهو فالطلع ليس رأس شيطان وإنما هو رعوس جميع الشياطين للتبيين في الأرض حادين في الفساد وغرس الشر واقتلاع الخير .

والأطراف الوهمية داخلة في الأطراف العقلية لأنها ليس لها وجود في الواقع ولكن لو فرض وجودها وقدر لوقعت في دائرة المحسوسات ولأدركناها بإحدى الحواس الظاهرة .

ثانياً : أقسام التشبيه باعتبار أفراد الطرفين وتقيدهما وتركيبهما :

ينقسم التشبيه باعتبار هذه الحال إلى ما يلي :

١ - تشبيه مفرد بمفرد بمفرد بمفرد : كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾^(٢) ، شبه الليل باللباس ووجه الشبه : السر فالليل يسر الناس بعضهم عن بعض واللباس يسر صاحبه ، والطرفان كما لرى مفردان غير مقيدتين ومنه قوله تعالى : ﴿ هَٰؤُلَاءِ نِسَاءُ لَّكُمْ وَأَلْقَمَ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾^(٣) ، فشبه المرأة باللباس للرجل والرجل باللباس للمرأة ، فالطرفان مفردان بمفردان ، ووجه الشبه جعله بعضهم حسياً فقال : لما كان الرجل والمرأة يعتقان

(١) سورة الصافات آية ٦٥ .

(٢) سورة النبا آية ١٠ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٧ .

ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقته شبه باللباس المشتمل عليه فالوجه إذا هو الإحاطة والاشتمال ، واستدل هنا بقول النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيع نسى عفتها تنبت فكسنت عليه لباسا

وجعله بعضهم عقلا فقال : المراد تشبيه كل واحد منهما باللباس للأعر لأنه يصونه من الوقوع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للحرورة^(١) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(٢) ، شبه قلوبهم بالحجارة بجامع القسوة والصلابة وأنه لا يتعد إليها شيء من الخير والحق .. وطرفا التشبيه مفردان مجردان .. ومن هذا النوع قولنا : وجه كاليد .. شعر كالليل .. وحصل كالأسد ، عند كالورد إلى غير ذلك من التشبيهات التي يكون طرفا التشبيه فيها من التقدرات المجردة .

٢ - تشبيه مفرد مقيد بمفرد مقيد ، كقولنا : التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ، فالشبه هو التعليم مقيدا بكونه في الصغر ، والتشبيه به النقش مقيدا بالحجر ، والحرور أى بكونه في الحجر ، ووجه الشبه هو الثبات وقوام الأثر ، فطرفا التشبيه مفردان مقيدان ، ومن ذلك تشبيهنا من لا يحصل من سعيه على شيء بالقابض على الماء ، فالشبه مقيد بالصفة والتشبيه به مقيد بالحجر والحرور والوجه وهو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائتة وغيبة مسعاه لا يتحقق إلا بمراعاة القيدين ، وكذا تشبيهنا من يحاول أن يجمع بين أمرين متباعدتين أو يطلب محالا عن يجمع السيلين في غمد فالطرفان مقيدان ووجه الشبه هو أن كلا منهما يحاول محالا .

ومثله قولهم لمن يخاطر بنفسه في طلب الأمر العسير : هو كمن يغني الصيد في عريضة الأسد ووجه الشبه : طلب الشيء من غير موضعه وقولهم : هو كالحادي وليس له

(١) انظر الكشف ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٤ .

بعو .. يضرب مثلاً من يتلخ ويخسر بما لا يملك .. فالطرفان مقيدان ومنه قبول ابن الرومي :

إنسى وترييني بمدحى معشراً كعملىق درا على حسنير

فالمشبه هو للتكلم مقيداً بالصافه بتزيينه بمدحه معشراً والمشبه به من يعلق دراً مقيداً بكون تعليقه على حسنير ، فالطرفان مقيدان ووجه الشبه أن كلا منهما يضع الزينة في موضع لا يظهر لها أثر .

٣ - تشبيه مفرد بمفرد مقيد : كقوله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْإِبْرَاطُ لَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾^(١) فالمشبه هو الخلاق في هذا اليوم والمشبه به الجراد مقيداً بهذه الصفة أي بكونه منتشراً ووجه الشبه : الكثرة والدافع وحولان بعضهم في بعض ومثله قوله تعالى : ﴿ هَيَّوْهُم يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾^(٢) فالمشبه مفرد بمفرد وهو الناس والجبال ، والمشبه به : الفرائش مقيداً بكونه مبثوثاً ، والعهن مقيداً بكونه منفوشاً ، ووجه الشبه في الأول : الضعف وزوال التماسك ، وفي الثاني : زوال القوة وتفرق الأجزاء ، ولا يفتى علينا أثر هذا القيد في تحقيق وجه الشبه .. ومدى دقة التعبير القرآني بإيثار هذه الألفاظ التي أبرزت وجلت حال الناس في هذا اليوم .. فالفرائش مثل للحنفة والحماقة والتهافت ومن كلام العرب (أطيش من فراشة) .. فإذا ما كان مبثوثاً فقد تم ضعفه واكمل زوال تماسكه .. والعهن هو الصوف المصبغ ألواناً حتى فإذا ما كان منفوشاً فقد تفرقت أجزأه وزال كسل ما به من قوة وتماسك .. ثم إيثار لفظ العهن دون الصوف ليهم كل الجبال التي هي جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغريب مسود .. ومن ذلك قولنا : نسر الحبيب كالألوان

(١) سورة القمر الآية ٧ .

(٢) سورة القارة الإيتان ٥٠٤ .

المنظوم ..والرشوة طعام مسموم في سوء عاقبتها والغيبة لحم تنن يجتمع عليه الكلاب
وقول عبد الله بن المعتز :

والشمس كالمرآة في كف الأشل لما رأيتها بدت فوق الجبل

فالشبهات في هذه الأمثلة ، مفردة مجردة وهي ثغر الحبيب والرشوة والغيبة
والشمس والشبهات بها مفردة مقيدة وهي اللؤلؤ للمنظوم والطعام المسموم واللحم النتن
والمرآة في كف الأشل .

٤ - تشبيه مفرد مقيد بمفرد مجرد : كقولنا : العين الزرقاء كالصندان فالتشبيه :
العين مقيدة بكونها زرقاء والتشبيه به : الصندان وهو مفرد مجرد ووجه التشبيه هو الزرقعة
الصفافية ..وكذا قولنا : الأمل بلا عمل كالسراب فالتشبيه الأمل مقيدا بكونه بدون عمل
والتشبيه به : السراب وهو مفرد مجرد ووجه التشبيه ، عدم الوصول إلى شيء .. وكذا تشبيه
الحياة في قيود للذلة بالجهيم .. وتشبيه المرآة في يد الأشل بالشمس.. ولا يخفى علينا في
كل ما مر من شواهد وأمثلة أن القيد الذي قيد به الطرف له أثر في تحقيق وجه
التشبيه ..وهذا شرط في تقيد الطرف ، فإذا لم يكن للقيد أثر فلا اعتداد به .

٥ - تشبيه مركب بمركب ، كقول بشار يصف معركة :

كان مشار القمع فوق دعوستا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبه

شبه لمبة المركبة من الغبار للثار والسيوف المتحركة حركات سريعة مضطربة
وإلى جهات مختلفة بالهيئة المكونة من الظلام والكواكب تهاوى وسطه وقد تداخلت
واستطالت أشكالها .. فطرعا التشبيه مركبان من عدة أمور قد امتزجت بعضها ببعض
وكونت هيئة مركبة ووجه التشبيه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة
متناسبة للتقدار في جوانب شيء مظلم ، ومنه قول البحري يصف فرسا :

تسرى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق في الغيم الجهم^(١)

(١) الأحجال جمع حجل وهو البياض في رجل الفرس : الغيم الجهم الذي لا ماء فيه .

فقد شبه الحقة الحاصلة من ارتفاع البياض في قوائم الفرس وانتشاره ومخالطته
السواد بالحقة الحاصلة من انتشار شعاع البوق في وسط الفم .. فالطرفان مركبان ،
ووجه الشبه : الحقة الحاصلة من اختلاط البياض بالسواد .

ومنه قول المتنبي بمدح سيف الدولة :

يهيئ الجيش حولك جانيبه **كما لفتت جناحيها العقاب^(١)**

فالشبه الحقة المركبة من تحرك الجيش واضطرابه واحترار جناحيه ميمنة وميسرة
حول سيف الدولة ، والشبه به الحقة للكونة من صورة العقاب تنفض جناحيها وتحركهما
حركات سريعة .. فالطرفان مركبان ووجه الشبه هو الحقة الحاصلة من شيء له جانبان في
حال حركة واضطراب وتوج .

وقول الفرزدق :

الشيب ينهض في الشباب كأنه **ليل يصبح بجانيبه نهار**

فالشبه : الحقة الحاصلة من نهوض الشيب في الشباب وتمكنه منه وسيطرته
عليه وكأنه يؤذن بهلاكه ورحيله .. والشبه به : الحقة الحاصلة من نهار يصبح بجانيبه ليل
وقد تمكن النهار وسيطر وصارت له الغلبة فهو الذي يصبح معلنا انتصاره وبروزه وتمكنه
من خصمه وقد أحاط بجانيبه معلنا هلاكه وزواله .. فالطرفان مركبان ، ووجه الشبه هو
الحقة الحاصلة من انتشار البياض في السواد ..

وقول أبي طالب الرقي :

وكان أجرام النجوم لوامعاً **درر نثرن على بساط أزرق**

^(١) العقاب : طائر كاسر معروف بالقوة واللمعة حيث يضرب به القتل في ذلك يقال : كسع من
عقاب الحور ، وهو حنظل الخناج سريع الطيران .

وقول السرى الرقاء:

وكان الحلال نون جسين غرقت فى صحيفة زرقاء

فالشبهان فى البيتين : الهيئة المركبة من النجوم المضيفة للامعة وقد انتشرت فى
أديم السماء .. فى البيت الأول .. ومن الحلال وقد بدأ أبيض لامعا مقوساً فى السماء
الزرقاء.. فى البيت الثانى ، والشبهان بهما على الوتير المذكور : الهيئة الخافضة من درر
نثرت على بساط أزرق.. ومن فضة ظهرت مقوسة مثل حرف النون غارقة فى صحيفة
زرقاء.. والوجه: الهيئة المكونة من أشياء لامعة مضيفة منتشرة فى شيء أزرق . ومن شيء
أبيض لامع مقوس فى شيء أزرق..

هل يتأتى تحويل التشبيه المركب إلى متعدد ؟

عرفنا أن التشبيه المركب هو الذى ركبت أجزأؤه واستزجت والتحدت وصارت
كالشئ الواحد . وأن التعدد لا يحدث فيه هذا الامتزاج بل يبقى كل أمر مستقلاً عن
غيره ومشبهاً بنفسه فى الطرف الآخر .. وإذا نظرنا إلى التشبيهات المركبة وجدنا أن
بعضها لا يمكن فصل أجزأؤه وجعلها تشبيهات متعددة وأن البعض الآخر يمكن فصل
أجزأؤه وتحويله إلى متعدد ولكن هذا الفصل يحور جمال الصورة التركيبية ويذهب بفرض
الشاعر وما يهدف إليه من بناء التشبيه وتركيبه .

فمن الأول الذى لا يمكن فصل أجزأؤه قول ابن المعتز:

غداة والصبح تحت الليل يساد كظرف أشهب ملقى الجلال^(١)

(١) باد : ظلمر ، الطرف الأشهب : الفرس الأبيض ، والحلال : جمع حبل وهو غطاء الفرس ولعله
كان يتخذ من شئ أسود .

يشبه ظهور القمر وإضاءته في بقايا الليل المديح بفرس أشهب مأل عنه عطلاؤه
الأسود قيدا يبايض الفرس في سواد الغطاء والوجه : اجتماع سواد قليل في يبايض كثير ،
فطرغا التشبيه مركبان ، ولو حاولنا فصل الأجزاء في الطرفين فرمنا استقام تشبيه الصبح
بالفرس الأبيض ، ولكن حين نشبه الليل بالجلال لا يستقيم التشبيه لغثائه وفقدان لمعته .
وقول المتنبي :

كأنما المربيع والمشيوي قدماه في شامخ الرعدة
منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجت قدماه شعة

يشبه الصورة الحاصلة من وقوع المربيع في السماء وهو كوكب مضيء شديد
اللمعان وقد تقدمه المشوي بالصورة الحاصلة من شخص منصرف في جتح الليل من
دعوة وقد تقدمه تابعه بمصباح مضيء له الطريق .. ووجه التشبيه : الصورة المكونة من
وجود شيء مضيء يتقدمه شيء آخر مضيء وبينهما مسافة قصوة .. ولو حاولنا فصل
أجزاء الصورة فشيئنا المربيع بالنصرف قلنا ما ليس بقول لأنه لا وجه بين المربيع والشخص
النصرف وربما استقام تشبيه المشوي بالشمعة لوجود وجه بينهما وهو الإضاءة ولكنك
تري هذا التشبيه غثا لا لمرة له ولا يستسيغه الذوق .

ومن الثاني قول بشار وقد مر بنا :

كان مشار النقع فوق رؤوسنا وأسبافنا ليل تهاوى كواكبها

وقول الرقاء وقد مر بنا أيضا :

وكان الهلال نون بلجين غرقت في صحيفة زرقاء

وقول أبي طالب وقد سبق :

وكان أجرام النجوم لوامعا دور لثرون على بساط أزرق

قلوب فضحتنا أجزاء الصور في هذه التشبيهات فشبها النقع بالليل والسيوف بالكرائب والحلال بتون المصين والنجوم بالبرق والسماء بالبساط الأزرق وبالصحيفة الزرقاء أصبحت هذه التشبيهات من حيث تحقق وجه الشبه بين الأجزاء .. ولكن يضيع جمال التشبيه الذي أحده الزكيب ويضيع غرض الشاعر الذي رمى إليه وقصده بهذه الصور المركبة .

٦ - تشبيه مفرد بمركب : كقول ابن المعتز يصف بالحلال :

النظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حولة من عنبر^(١١)

شبه الحلال وقد امتلأ قوسه المضيء بفلالام الليل بزورق من فضة قد أثقل بحمولة من عنبر .. فالشبه مفرد والمشبه به مركب ووجه الشبه : الخفة الحاصلة من وجود جسم مضيء متقوس محلاً فراغ تتوسه أشياء سوداء قائمة .
وقول الخنساء تصف أختها صخرًا :

أغر أبلج تأنم الهداة به كأنه علم في رأسه ناز^(١٢)

فالشبه مفرد وهو صخر والشبه به مركب وهو الخفة الحاصلة من الخيل والنار المشتعلة في قمته .. ومن ذلك تشبيه التيلوفر بدبابيس عسجد قطبها من زبرجد .. وتشبيه شقائق النعمان بأعلام بالقوت متشورة على رماح زبرجد .. فالشبه مفرد والمشبه به مركب وقد مر بنا هذان التشبيهان .

٧ - تشبيه مركب بمفرد وهو قليل ومنه قول أبي تمام :

يا صاحبي تقصيا نظركمما ترى وجوه الأرض كيف تصور

ترى نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر^(١٣)

(١١) الضمير في "إليه" يعود إلى الحلال.

(١٢) العلم : الخيل .

(١٣) تقصيا : اجتهدا في النظر وابلغا أقصى تطريكما من تقصيته : بلغت أقصاه ، و النهار للنهس الذي لا غيم فيه ، وشابه : حالله ، والربا : جمع روبة وهي الأرض المرتفعة .

يشبه لفيفة الحاصلة من الشمس الساطعة على الروابي الزهرة المحطرة وقد اختلطت الأشعة للشرقة بالحظرة القاتلة فانكسرت بهذا الاختلاط حدة الضوء حتى صار يضرب إلى السواد .. يشبه هذه لفيفة المركبة بأبلى مقمر .. فاللشبه به مقدر مقيد والشبه مركب .

ثالثاً : أقسام التشبيه باعتبار وحدة الطرفين أو تعددهما :

ينقسم التشبيه باعتبار هذه الحال إلى خمسة أقسام :

الأول : أن يكون المشبه واحداً والتشبيه به كذلك كقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ كَصَصْفٍ مَّا كُنُوا ﴾^(١) التشبيه : أصحاب القليل والمشبه به : المصنف للماكول وكلاهما واحد فلا تعدد . وكذا قوله تعالى في وصف هلاك حمود قديم صالح - عليه السلام - : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْئَةِ الْمُخْتَضِرِ ﴾^(٢) فقد شبه القوم بالخشيم وكلاهما واحد لا تعدد فيه .. وانظر إلى دقة التعبير القرآني في استخدام الألفاظ وإلى إعجازات تلك الألفاظ فقد عبر عن هلاك حمود بأنهم صاروا كالحشيم وهو الشجر اليابس وهذا يكفى في إفادة هلاكهم ولكنه أضاف إلى التشبيه به هنا القيد "المختضر" أى : الذى يعمل الحظيرة لراشيه من يابس الشجر فما سقط منها وداسته فهو الحشيم ولذا أضاف هذا القيد حقارتهم وأزدرائهم فهم كالحشيم الذى تطفو الدواب وتبول عليه وتروث ، ثم عبر عن هلاك أصحاب القليل بأنهم جعلوا كالصنف وهو ورق الزرع وهذا كاف فى إفادة الهلاك ولكنه قيد المصنف بهذا الوصف "ماكول" أى : أكلته الدواب ورثت عليه وبات فهم قد صاروا إلى حال أخرى فى أجسادهم بخلاف الصورة الأولى التى تصور هلاك حمود فتعود قد تهشموا وبقيت أوصاف أجسادهم كما هى .. التعبير القرآني قد أبرز هلاك أصحاب القليل فى صورة أشد وأقطع من هلاك حمود ويرجع ذلك إلى الحال الذى اقتضى هلاك كل فتعود عقروا الناقة وأعرضوا عن آيات ربهم وأصحاب القليل قد

(١) سورة القيل الآية ٥ .

(٢) سورة القمر الآية ٣٦ .

فصدوا الكمية وأرسلوا هدم البيت واقتلاع أسسه ، أرادوا إزالة أول بيت وضع للناس ولذا كان هلاكهم أشد .

ومن هذا القسم قولنا : عبد كالورد .. غشة كاليد .. محمد كالأسد .. الأكبر كحام في الكرم .. فهذه التشبيهات لا تعدد في طرفها حيث شبه في كل منها شيء واحد بشيء واحد .

الثاني : أن يشبه شيء واحد بشيئين أو بأكثر أو بمعنى آخر أن يتعدد التشبيه به دون التشبيه ويسميه البلاغيون تشبيه الجمع لأنه قد جمع للتشبيه الواحد عدة أشياء جعل كل واحد منها مقبها به .. ومن ذلك قول عمران بن حطان :

أسد على ولسي الحروب نعامه فتخاء تغر من صغير الصافر

فقد شبه تخاطبه بالأسد ثم بالنعام فالشبه واحد والتشبيه به متعدد

وقول الجوى :

كأنما يسم عن لؤلؤ منضد أو سرد أو أقحاح^(١)

يريد أنه يسم عن ثغر كؤلؤ منظوم وكحبات الثلج الخالص البياض وكزهر الأقحوان في شدة بياضه .. فالشبه واحد والتشبيه به متعدد ، وقول امرئ القيس :

كأن المسام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر

يعمل به سرد أيابها إذا غسرد الطائر المستحر

التشبيه في البيتين من التشبيهات المقلوبة وقد يكون ضميا كما مر بنا والمهم هنا أنه شبه برد أياب حبيته بالدماء وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر في حسن اللذائ والصفاء وطيب الرائحة ، فالشبه واحد والتشبيه به متعدد .

^(١) المنضد : المنظم ، وفرد : حب الغمام ، والأقحاح : جمع أقحوان وهو ورد له نور لورقه في شكلها أشبه شيء بالأسنان .

وقول الآخر يصف سوء ليل متعلما للهجاء .

قطعت دجاجيه بنسوم مشرد كعقل سليمان بن فهيد ودينه

فالشبه واحد وهو النجم للشره والشبه به متعدد وهو : عقل سليمان ودينه .

الثالث : أن يشبه شيئا أو أكثر بشيء واحد بمعنى أن يمتد للشبه دون المشبه به ويسميه البلاغيون : تشبيه النسوية لأنه قد سوى بين عدة مشبهات في مشبه به واحد .

كقول القائل :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم

فالشبه متعدد وهو الآراء والوجوه والسيوف والمشبه به واحد وهو النجوم .

وقول الآخر :

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وتفرد في صفاء وأدمعي كاللآلئ^(١)

فقد شبه هذا الحب صدغ حبيبه وحاله وقد تعثر في حبه بالليالي بجماع السواد فالشبه متعدد والمشبه به واحد ثم شبه في البيت الثاني ثغر الحبيب ودموع الحب باللآلئ الصافية ووجه الشبه : الصفاء فالشبه متعدد أيضا والمشبه به واحد .

الرابع : أن يمتد كل من المشبه والمشبه به ويقرن كل مشبه بالمشبه به في الذكر ويسمى بالتفريق لأنه قد فرق بين المشبهات والأمور المشبه بها ويسمى أيضا بغير التفريق

^(١) الصدغ : ما بين الأذن والعين يطلق على الشعر المتدل من الراس على هذا التوضيح وهو المراد هنا ، والتفرد : القيم أو مقدم الأسنان والثاني هو المراد هنا ، وتشبيه أدمعه باللآلئ يدل على كثرتها وغزارتها لأنه إذا كثرت ماء اللعاب صفا عما فيه من الكدر .

لأن التشبهات قد فرق بينها فلم تلف وكذلك الأمور المشبه بها قد فرق بينها بالتشبهات فليست ملفوفة ، ومن ذلك قر الرقش الأكبر:

الشجر مسك والوجوه دنسا نير وأطراف الأكف عشم^(١١)

فلقد تعددت التشبهات في البيت وقرن كل مشبه بالمشبه به .

وقول الآخر :

فالأرض يا قوتبة والجو لؤلؤة والبيت فيروزج والماء بَلُورُ^(١٢)

وقول أبي طالب :

بدلت قميرا ومالت خيوط بيان وفاحت عتيرا ورنست غزالا^(١٣)

فالتشبهات في البيتين متعددة وقد قرن كل مشبه بالمشبه به .

الخامس : أن يتعدد كل من المشبه والمشي به وتكون التشبهات مجتمعة في طرف والأمور المشبه بها في طرف آخر ويسمى الملفوف أو المقرون لأن المشبهات قد اقترنت ولفت في طرف وكذلك الأمور المشبه بها . ومن ذلك قول امرئ القيس :

كان قلب الطير رطبا وبائسا

لسدى وكرها القناب والحشف البائ

فالمشي به في البيت متعدد وهو قلوب الطير الرطبة وقلوبها اليابسة والمشبه به كذلك وهو القناب المقابل للقلوب الرطبة والحشف البائ المقابل للقلوب اليابسة ، وقد اجتمعت التشبهات في طرف والمشي بهات بها وجدت في الطرف الآخر.

^(١١) الشجر : الزائحة الطيبة ، والعشم : شجر له حمرة حمراء يشبه بها البدان للخصوب .

^(١٢) البلورج : ضرب من الأصباغ ، والبلور : حجر صاف .

^(١٣) الخوط : القطن الناعم ، واليان : شجر معتدل القوام لين ، ورنست : نفرت .

وقول الآخر :

لَيْلٍ وَبَدْرٍ وَغَمَصِينَ شَمْرٍ وَوَجْهٍ وَقَدْ
طَمَعٍ وَدُرٍّ وَوَرْدٍ رَيْقٍ وَنَاسِرٍ وَخَدٍّ

فقد جمع في البيت الأول ثلاثة تشبيهات، وكذلك في البيت الثاني ووجدت التشبيهات في طرف والأمور التشبه بها في الطرف الآخر فهو من التشبيه للعدد للثرف .

الفرق بين التشبيه المتعدد والتشبيه المركب

إذا تأملنا ما مر بنا من شواهد للتشبيهات المركبة والتشبيهات المتعددة وجدنا أن هناك اختلافا بينهما مرجعه إلى أن التشبيهات المركبة تختلط فيها الأمور أو الصفات التي يتكون منها الطرف والمترج وتحدد بحيث تصور هيئة مركبة لا يتأتى فيها الفصل بين أجزائها أما التشبيهات المتعددة فلا اتحاد بينها ولا استزاج بل كل تشبيه منها يمكن أن يستقل بنفسه.. ففى البيت :

كان قلوب الطير وطبا وبابسا

لدى وكرها القناب والحشيف البالي

يمكن أن يستقل تشبيه قلوب الطير الرطبة بالعناب دون أن يؤثر هذا الاستقلال فى تشبيه القلوب اليابسة بالحشيف البالي ، ولا يتأتى ذلك فى التشبيهات المركبة ، وكذلك التشبيهات المتعددة يتأتى فيها التقديم والتأخير وتغير موطن كل منها ينقله إلى مكان غيره دون أن يؤثر ذلك فى دلالة كل تشبيه .

ففى بيت الرقش الأكبر :

النشر مسك والوجوه دلسا لير وأطراف الأكف عشم

يتأتى أن نقول : الوجوه دنابر والنشر مسك وأطراف الأكف عشم ، وليس لهذا التغير تأثير فى دلالة التشبيهات ، ولا يتأتى ذلك فى التشبيهات المركبة لأنها تبنت على الاتحاد والاستزاج كما قلنا.

وبهذا يتضح لنا أن التشبيهات المتعددة تختلف عن التشبيه المركب من ثلاثة وجوه :

أولها : أن التشبيهات المتعددة لا يجب فيها ترتيب بل يتأتى فيها التقديم والتأخير دون أن يؤثر ذلك فى دلالة التشبيه وهذا لا يتأتى فى التشبيه المركب لبيانه على الاستزاج والاتحاد .

الثاني : أن التشبيهات المتعددة يبرز حذف بعضها دون أن يؤثر هذا الحذف على ما تبقى من تشبيهات ولا يتأني هذا في التشبيه المركب .

الثالث : أن التشبيهات المتعددة يعطف بعضها على بعض عطفاً للمستقل على للمستقل . أما التشبيه المركب فإنه في الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبع للأخر كأن يكون في صلته أو صفته أو حالاً منه أو معطوفاً عليه بالقاء أو ثم فإذا توسطته الواو كانت للمعية أو للحال أو عاطفة متضمنة للمعية .

وهذا لا يعني أن التشبيهات المتعددة ليس لها من قيمة فنية بل لها قيمتها الفنية ومرتبتها التي ترجع إلى ما فيها من إيجاز في التعبير وحسن التنسيق والجمع بين التشبيهات المتجانسة في تصوير واحد . ولكنها لا تصل إلى مرتبة التشبيهات المركبة التي تبرز سعة الخيال وقوة التصوير وإحكام البناء .

مباحث وجه الشبه

وجه الشبه هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه تحقيقاً أو تخيلاً ، فمعنى اشتراك الطرفين في الوجه تحقيقاً أن يكون وجوده في كل منهما على جهة التحقيق مثل تشبيه الشعر بالليل والرجل الشجاع بالأسد ، فوجه الشبه وهو السواد في التشبيه الأول والشجاعة في الثاني موجود في كل من المشبه والمشبّه به على جهة التحقيق ، إلا أن وجود السواد في الليل أقوى وأشهر من وجوده في الشعر ، وكذلك الشجاعة وجودهما في الأسد أعرف وأقوى من وجودها في الرجل الشجاع ، فالوجه محقق في الطرفين موجود في كل منهما وإنما يقع الفرق بين وصف كل منهما به من جهة الزيادة والنقصان والقوة والضعف ، فعلى ما يكون وجه الشبه في التشبيه به أبرز وأعرف وأقوى ، وقد يساويان في اتصافهما به ، وقد يكون الوجه أقوى وأكمل في التشبيه وأبرز وأشهر في المشبه به كما سرى عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

وأما وجه الشبه التخييلي فهو الذي يكون وحده في أحد الطرفين على جهة الحقيقة وفي الآخر على جهة التخييل والتكريل .. كما في قول الفاضل التنوخي:

وكان النجوم بين دجائها مستن لاح بينهما ابتداء^(١)

فقد شبه انتشار النجوم في السماء وقد تملكها قطع من سواد الليل بالسنين المراضة وقد اندست بينها البدع ، ووجه الشبه هو الحقيقة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضيئة في جوانب شيء مظلم وهو مركب حسي ، وهذا الوجه موجود على جهة التحقيق في الشبه ، ولا يوجد في الشبه به إلا عن طريق التخييل لأن المستن والبدع من المعقولات التي لا تتصف بصفة المحسوسات ، والتخييل الذي نقصده أن يشمل أجزاء الصورة في الطرفين حتى تصل إلى إمكان الجمع بينهما في الوجه المذكور وذلك بأن نقول : هناك وجه شبه بين أجزاء الطرفين خلاف ما هو لكون أي : خلاف الإشراق والسواد فالسنة تشبه بالنجم بجامع الاهتداء بكل منهما والبدعة تشبه بالليل بجامع الاضلال وهذا الوجه الآخر جعل جزأى الصورة قد تماثلا وتآخيا عند النفس ، ثم إن البدعة والكفر وكل ما هو جهل قد ذاع بين الناس واشتهر وصفه بالظلام والسواد وكذلك السنة والإيمان وكل ما هو علم قد اشتهر وصفه بالإشراق والبهاض قال تعالى : ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢) ، وقال عليه الصلاة والسلام : "أتيتكم بالحنيفية البيضاء" ، ويقال : شاهدت سواد الكفر في حين فلان ، ونور الإيمان يشرق في وجه فلان .

فلما اشتهر ذلك وذاع وكثر توهمت النفس وتوالت أن في البدعة ما في الليل من ظلام وسواد وأن في السنة ما في النجم من إشراق وبهاض وصح لديها أن تشبه

^(١) قدس : الظلام مقروء : دمية وهي الظلمة ، ويبرز أن إصبع في أحد الشطرين قلب ليتوحد الطرفين في تحقيق الحقيقة والمعى بعد القلب وكان الدعى بين النجوم أو سن لا تحت بين ابتداء .
^(٢) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

السنن اندست بينها البدع بالنجوم يتخللها الظلام بجامع لفظة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضية في جوانب شيء مظلم أسود كما استقام لديها إذا كرادت المبالغة أن تغلب التشبيه فتشبه النجوم بين الدجى بالسنن بين البدع بادعاء أن الوجه المذكور أقوى في السنن بين البدع منه في النجوم بين الدجى . وبهذا التحييل صار ما ليس يتلون وهو السنة والبدعة متولتا وصارت السنة بيضاء مشرقة والبدعة سوداء مظلمة.

ومن ذلك قول التترعى أيضاً:

فانهض يسار إلى فحس كأنهما في العين ظلم وإنصاف قد اجتمعا

فتشبه لفظة للكرة من صورة النار للشملة في الفحس بالصورة للكرة من الظلم بصاحب الإنصاف في مرأى العين بجامع الصورة الحاصلة من وجود شيء مشرق بجوار شيء مظلم .

وذلك بناء على ما اشتهر من وصف الظلم بالسواد في مثل قوله عليه الصلاة والسلام : "الظلم ظلمات .." ووصف الإنصاف والعدل بالنور والإشراق في نحو قولهم : عدل واضح كنور الصبح ، فوجه التشبه موجود في التشبه به على طريق التحييل وجعل ما ليس يتلون متولتا .

ولنا أن جعل وجه التشبه في البيتين تحقيقاً وهو زيادة حسن الشيء بمجاورة ضده ويكون هدف الشاعر أن يبرز الدلالة على زيادة حسن السنة في أمين الناس بمجاورتها البدعة القبيحة ، وعلى زيادة حسن الإنصاف بمجاورته الظلم ثم قلب التشبيه فتشبه المحسوس بالمعقول مبالغة وإدعاء فالتشبيه قد خرج عن الأصل من هذه الجهة لأن الأصل أن يشبه المعقول بالمحسوس كما في قول البحتري :

وقد زادها إلفاظ حسن جوارها خلألق أصفار من المجد غيب

وحسن درأى الكواكب أن ترى طوائع في داج من الليل غيب^(١١)

(١١) أصفار : جمع صفر والتمني : عالية ، ودرأى : جمع درى وهو الكوكب القاتب للنسب كاللتر ، والداغى : الظلم ، والغيب : شديد السواد .

فقد شبه للعقول وهو لطيفة الحاصلة من وجود خلقات لها مجد بجزر خلقات خيالية
منه بالمحسوس وهو لطيفة الحاصلة من وجود حرارى الكواكب فى ليل غريب بجماع زيادة
حسن الشيء بخاورة ضده.

ومن التشبيه التخيلي قول أبى طالب الرقى :

والقد ذكرتلك والظلام كأنسه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فقد شبه الظلام بيوم النوى وفؤاد من لم يعشق بجماع السواد فى كل فالوجه
موجود فى التشبه على طريق التحقيق وفى التشبه بهما على طريق التخيل بناء على
ما ذاع واشتهر من قولهم : اسود النهار فى عينيه وأظلمت الدنيا أمامه وقلبه أسود
كالليل. فقد اشتهر وصف يوم الفراق بالسواد ووصف الذين لم يعشقوا بقسوة القلوب
ووصف القلب القاسى بالسواد ولذا صبح التشبيه واستقام على طريق التخيل وجعل
ما ليس بمتلون وهو يوم النوى وفؤاد من لم يعشق متلوناً مسوداً ثم أكد الشاعر هذا
التخيل بجعل السواد فى كليهما أشد وأقوى منه فى ظلام الليل وذلك بقلب التشبيه
وجعل الظلام الذى سواده محسوس محقق مشبهاً ويوم النوى وفؤاد من لم يعشق اللذين
سوادهما متخيل مشبه بهما .

ومن ذلك قول ابن بابك :

وأرض كآخلاق الكسرام قطعتهما وقد كحل الليل السماء فابصرها

شبه الأرض بآخلاق الكرام بجماع السعة والانبساط فوجه التشبه موجود فى
التشبه على طريق التحقيق وفى التشبه به على طريق التخيل وجعل ما ليس متصفاً بالسعة
متصفاً بها بناء على ما اشتهر من وصفهم الخلق الكريم بالسعة فى قولهم : فلان رحب
الأخلاق واسع الخلم فسبح للمعرفة . ثم بالغ الشاعر فى قلبه بقلب التشبيه مدعياً أن
أخلاق الكرام أحق بوصف السعة والانبساط من الأرض المسبوطة المعتدة .

ومنه قول الشاعر بن عباد مخاطباً أحد القضاة وقد أهدى الشاعر إليه عطراً
وكرّمه بهذين البيتين :

يا أيها القاضي الذي لنفسى له مع قرب عهد لكائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب لكائه فكأنما أهدى له أعلانه

فقد شبه العطر بالناء والأعلاق بجماع استطابة النفس في كل وذلك على طريق التخييل
وجعل ما ليس بمشعوم وهو الناء والأعلاق مشعوماً وفارحة طيبة زكية ثم بالغ في التخييل
والترويح فجعل رائحتهم أطيب من رائحة العطر وذلك بقلب التشبيه ليؤكد تخيله .

وقول ابن طباطبا :

كان انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع^(١)

يشبه خروج البدر للبر من تحت السحاب المعتم بخلوص الإنسان من الشدة بعد
الوقوع فيها ووجه التشبه هو الانكشاف وزوال الغلام عن الشيء المشرق حتى يبرز
ويتضح وهذا الوجه محقق في التشبيه وتخييل في التشبيه به بناء على ما شاخ بين الناس من
تشبيه الشدائد والكاره بظلام الليل لكأية الإنسان منها ما يكابد الساري في الظلام ،
ومن تشبيه التخلص منها بالخروج من ظلام الليل إلى ضوء النهار ، ولذا استقام التشبيه
في البيت على طريق التخييل وجعل ما ليس بمتلون متلوناً ثم بالغ الشاعر في تخيله فجعل
ما في الشدائد من سواد وما في الخلاص منها من بياض أشد وأقوى من ضياء البدر
وظلام السحاب وذلك بقلب التشبيه وتصوير المحسوس بالمعقول .

وبهذا يتضح لنا أن وجه التشبيه لا يد أن يكون مشدداً بين الطرفين موحداً
وملاحقاً في كل منهما إما عند طريق التحقيق وإما عن طريق التخييل والتأويل ، فإذا

^(١) الانتضاء : الانكشاف ، نجاء : خلاص ، البأساء : الشدة .

لم يكن موجوداً وملاحظاً في كلا الطرفين كان التشبيه فاسداً ومعيباً : فإن جعلنا وجه الشبه في قولنا : النحر في الكلام كالملح في الطعام ، أن كثرة الاستعمال مفسدة وقتلها مصلحة فسد التشبيه لأن الوجه عندئذ يكون محققاً في التشبيه به ولا يتأتى تحقيقه في التشبيه إذا النحر لا يتضمن القلة والكثرة فالمراد رعاية قواعده واستعمال أحكامه من رفع الفاعل ونصب المفعول وحر المرور فإن تحققت هذه الأحكام صلح الكلام وإلا فسد أساس استعمال الملح في الطعام فكأنه مفسد وقليله مصلح ولذا كان الوجه الجامع الموجود في كلا الطرفين أن الاستعمال مصلح والإهمال مفسد بغض النظر عن القلة والكثرة وبناء على ذلك عيب التشبيه في قوله ابن شرف :

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكسائي مسيابة المتكسب

لأن وجه الشبه وهو معاقبة الوريء وترك الجاني محقق في التشبيه دون التشبيه به إذا المسيابة جزء من التكسب فعندما يعرض عليها عند ندمه تقع العقوبة عليه لأن مسيأته جزء منه وعندئذ لا يكون المعاقب غير الجاني ، والصواب في مثل هذا التشبيه قول النابغة يحنو للنعمان بن النضر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريسة وهل يباثن ذو إيسة وهو طائع
لكلفتنى ذنب امرئ وتركته كذى العر (يكون) غيره وهو رافع^(١)

فقد شبه نفسه وقد أحذره النعمان بذنب لم يفعلوه وترك معاقبة الجاني بحال العير الأحراب إذا أريد شغلؤه يقوم صاحبه بكى يعور سليم حال من الحرب كى يشقى العير المصاب الأحراب وذلك بناء على قاعدة سائلة بين العرب في الجاهلية .

(١) الرية : الشك ، والإيسة : الذنوب أو النعمة أسديت إليه ، والعر : الحرب ، ورافع : اسم فاعل من راع بالكان إذا أدام فيه وأكل وشرب .

فوجه الشبه وهو معالجة البريء وترك الجاني موجود في كل من المشبه والمشيبه به على وجه التحقيق ولذا كان تعبير النابغة جيداً وتشبيهاً صواباً محققاً ، وكان تعبير ابن شرف الفيرواني رديفاً وتشبيهاً معيياً فاسداً .

أحوال وجه الشبه

أحوال وجه الشبه التي تعرض له في صفاته التي يتصف بها والتي هي محط أنظار البلاغيين تنحصر فيما يلي :

١ - ما يتصف به وجه الشبه من حسية أو عقلية فالحسية كالنعومة في تشبيه الجسم بالحرير والإشراق في تشبيه الوجه بالبلدر والرائحة في تشبيه الرائحة الطيبة بالمسك أو بالعنبر إلى غير ذلك من الصفات الحسية التي يتركها اللره بحاسة من الحواس الخمس الظاهرة . والعقلية كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد والكرم في تشبيه رجل بهائم والذكاء في تشبيه الذكي بإيأس والحلم في تشبيه الرجل للحليم بأحشف وعدم القدرة على الحركة في تشبيه المرض الشديد بالموت إلى غير ذلك من الصفات للدركة بالعلل أو الوجدان .

٢ - ما يتصف به وجه الشبه من أفراد أو تركيب أو تعدد . فالوجه المفرد يكون شيئاً واحداً لا تركيب فيه ولا تعدد كالطعرة في تشبيه الخلد بالورد والجرأة في تشبيه الرجل بالفرس بالأسد ، والوجه المركب ما تألف من عدة أمور امتزجت واتحدت وكونت هيئة واحدة وذلك كالهيئة المكونة من سقوط أحرار بيض مستطيلة في جوارب شئ مظلم إذا شبهنا السيوف تتحرك وسط الغبار في المعركة بالبلل تهاوى كواكبه فهذا الوجه مركب حسى ، والهيئة العقلية المكونة من حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه كما في قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّ الَّذِينَ هَمَلُوا الْيَوْمَ أَن لَّمْ يَهْتُمُّوا كَمْ تَلْمِزُ الْجَمْعَ يَهْمِلُ امْتَفَارًا ۝١١ ﴾ .

(١١) سورة الجمعة الآية ٥ .

والوجه المتعدد : ما كان مكوناً من شيئين أو عدة أشياء كل واحد منها مستقل بنفسه صالح لأن يكون وجه شبه على حدة ، كالسعة والامتداد والطول والعفوية في تشبيه نهر بآخر ، وكثوة الإيمان وعجبه الرسول ﷺ والتفاني في نصرته إذا شبيها للمهاجرين بالأنصار .

وبلاحظ في الوجه المفرد والركب والمتعدد أنه قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً كما هو واضح في الأمثلة .

٣ - ما يكون عليه وجه الشبه من ذكر كقوله تعالى : ﴿لَمْ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(٧٤) فوجه الشبه وهو القسوة في تشبيه القلوب بالحجارة مذكور في النظم الكريم ، ومن ذلك قولنا : وجهه كاليدر حياء ، أو حذف كقوله تعالى : ﴿هَلْ يُبْأِنُ لَكُمْ لَيْثَانٌ يَنْهَىٰ عَنْ الْعَمَلِ﴾^(٧٥) فوجه الشبه وهو الإحاطة والاشتغال أو الصيانة والسر مخوف في النظم الكريم . ومن ذلك قولنا : هذا الرجل كالأسد ، فالوجه مخوف تقديره : شجاعه .

٤ - ما يكون عليه وجه الشبه من ظهور ووضوح أو دقة خروج إلى التأمل والتفكير فمن الأول : تشبيه الوجه باليد في الإشراف والشعر بالليل في السواد والحد بالورد في الحمرة والرجل بالأسد في الجرأة وغير ذلك من التشبيهات القريبة الواضحة . ومن الثاني تشبيه السرعة في كسف الأشمل بالشمس في الاستدارة والإشراف والحركة للضطربة وتشبيه الوراق بمصنف الفرائ في حركتي الانفتاح والانطباع حيث ينشأ عن الأولى ظهور وبرز وعن الثانية اختفاء وزوال إلى غير ذلك من التشبيهات التي يكون الوجه فيها حقيقة بعيداً يحتاج في الوقوف عليه وتحليله إلى كثير من التفكير والتأمل .

(٧٤) سورة البقرة الآية ٧٤ .

(٧٥) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

وقد نظر البلاغيون إلى هذه الصفات التي يتصف بها وجه الشبه والتمثيل التي
يوجد عليها وقسموا التشبيه بالنظر إلى كل حال منها إلى أقسام متفكك عليها إن شاء الله
فيما يلي وسنقرن كل قسم من تلك الأقسام بالشواهد المحللة للوضحة وذلك حتى تتضح
القاعدة من خلال الشاهد والله المستعان .

أقسام وجه الشبه

يتقسم وجه الشبه باعتبار حسنيته وعقليته وإفراذه وتركيبه وتعددته إلى سبعة أقسام :

أولها : أن يكون وجه الشبه واحداً حسياً كقولك تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الشَّجَرُ الْمُنْتَشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١) شبهت السفن الجارية في البحر بالجبال ووجهه الشبه : الضخامة .. فوجه الشبه واحد حسى . وكذلك طرقا التشبيه حسيان مفردان . ومن ذلك الحمرة في تشبيه الخلد بالورد ، والإشراق في تشبيه الوجه باليد والبرق للشمس في تشبيه البشرة بالحرير ولذة العلم في تشبيه الريق بالخمر وطيب الرائحة في تشبيه النكهة بالعصير .. فوجه الشبه في هذه الأمثلة - كما ترى - مفرد حسى .. وكذلك طرقا التشبيه .

ثما ينتزع وجه الشبه الواحد الحسى ؟ :

وجه الشبه المفرد الحسى لا ينتزع إلا من طرفين مفردين . كما في الأمثلة المشار إليها ، وذلك لأن تركيب الطرفين يستدعى تركيب وجه الشبه .. فيتوهم أن يكون طرفاه مفردين ، وكذلك الغالب^(٢) في هذا الوجه أن يكون طرفاه حسيين ، كما في الأمثلة ولا ينتزع من طرف عقلى إلا بتأويل وتحليل كما في قول ابن بابك :

وأرض كالأحلاق الكرام قطعنها وقد كحل الليل السماء فأبصرها

^(١) سورة الفرقان ، الآية : ٢٤ .

^(٢) تجزئ بعض البلاغيين انتزاع هذا الوجه من طرفين حسيين ضرورة امتناع أن يشترك بالحس من غير الحسى شيء ، انظر الإيضاح ج ٣ ص ٢٢ . وقد أوضحنا أن هذا الإدراك جائز عن طريق التحليل والتأويل .

فالمشبه في البيت مفرد حسى وهو الأرض .. والمشبه به : مفرد عقلى وهو أسلاك الكرام . وقد جمع بينهما الشاعر في وجه شبه حسى وهو : السعة أو الإمتداد والاتبساط ولكن هذا الوجه موجود في المشبه الحسى على جهة التحقيق وموجود في المشبه به العقلى على طريق التخييل والتأويل كما مر بنا .. وبهذا يتضح لك أن وجه الشبه المفرد الحسى يتزع في الغالب من طرفين حسيين وقد يتزع من طرف عقلى على جهة التأويل والتخييل . ويتحتم أن يكون انتزاعه من طرفين مفردين .

القسم الثانى : أن يكون وجه الشبه واحداً عقلياً ... ويتزع هذا الوجه من طرفين حسيين مفردين . كما في قول النبى - ﷺ - : "أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم لعنتهم" . فقد انتزع وجه الشبه وهو مطلق الإعتداء من طرفين مفردين حسيين وهما الصحابة - ﷺ - والنجوم ، ومن ذلك انتزع الشجاعة من الرجل الشجاع والأسد فى قولنا : هذا الرجل كالأسد . والوجه فى المثالين هو : الإعتداء والشجاعة واحد عقلى . كما يتزع من طرفين مفردين عقليين نحو قولنا : العلم كالحياسة فوجه الشبه وهو جهة الإدراك مفرد عقلى وقد انتزع من طرفين مفردين عقليين . وكذا قولنا الجهل كاللوت فى فقدان الإدراك لفقدان الإدراك مفرد عقلى وقد انتزع من مفردين عقليين ، ويتزع هذا الوجه أيضاً من طرفين مفردين مختلفين كانتزاع الاغتيال من اللبنة والسيخ عند تشبيهها اللبنة بالأسد فالشبه وهو اللبنة عقلى والمشبه به : الأسد حسى وقد انتزع منهما وجه الشبه المفرد العقلى وهو الاغتيال . وكذا تشبيه العدل بالقسطاس فى تحصيل ما بين الزيادة والنقصان ، فالشبه مفرد عقلى "العدل" والمشبه به مفرد حسى "القسطاس" . وقد انتزع منهما وجه الشبه المذكور وهو واحد عقلى .. وكانتزاع استطابة النفس من تشبيه العطر بالثناء وبالخلق الكريم فى قول الشاعر :

أهديت عطراً مثل طيب لثائه فكأنما أهدى له أخلاقه

فالشيء مفرد حسي وهو العطر والشيء به مفرد عقلي وهو البناء بالأعلاق
الكرامة . وقد انتزع منها الوجه المفرد العقلي وهو استعطابة النفس .. وبهذا يتبين لنا أن
التشبيه بالوجه المفرد العقلي لا ينتزع إلا من الأطراف المفردة للسبب المذكور في الوجه
الواحد الحسي ، وهو لا ينتزع من الأطراف الحسية وحدها ولا من الأطراف العقلية
وحدها بل يعمها جميعاً . ولذا يقال إن التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه
الحسي لأن الوجه الحسي - كما بينا - ينتزع من الأطراف الحسية غالباً ولا ينتزع من
الطرف العقلي إلا بتخييل وتأويل .

القسم الثالث : أن يكون وجه الشيء مركباً حسياً ، والغالب في هذا الوجه أن
ينتزع من طرفين حسيين ولا يمكن انتزاعه من الأطراف العقلية إلا بتخييل وتأويل - كما
مر في وجه الشيء الواحد الحسي - ومن ذلك قول التترامي :

وكأن النجوم بسين دجائها مسنن لاح يبهن ابتساع

قوله الشيء وهو الحقيقة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضية في جوانب شيء
مظلم . مركب حسي وقد وجد في الشيء على وجه التحقيق وفي التشبيه به عن طريق
التخييل والتأويل .

ويتأتى انتزاع هذا الوجه من طرفين مفردين . كما في قول ذي الرمة :

وسقط كمين الديك عاورت مساحبي

أباهما وهيأتها لوقمها وكسراً^(١)

(١) السقط : الدار الساقطة من الرند وهي تنزل منه ويوسطها أسود وحافتها حمراء كمين الديك ،
وعاورت : تلوأت وكان من عاداتهم عند استعراج النار أن يأتوا بعمودين يوضع أحدهما أسفل
ويسمى أثنى فيفرض فيه فريشة ويهر فيه عمود آخر يسمى أبا فنادوا طلال الزمن ولم تخرج النار
تأويوه حتى تخرج ... والفكر : ما تودع فيه النار بعد صروجها .

فرجه الشبه وهو الهيئة المولدة من اجتماع الحمرة والشكل الكروي وصغر الحجم مركب حسى وقد انتزع من طرفين مفردين هما : السقط "وهو ذلك الشرر للثبع من الرند" وعين الديك . ولا تنافى بين أفراد الطرفين وبين تركيب وجه الشبه لأننا نستطيع أن نلاحظ في الطرفين للفردين عدة أوصاف متشوّكة بينهما ومجموعة على هيئة معينة بحيث تحقق وجه الشبه المركب .

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأصبغ :

وقد لاح في الصبح الثريا - كما ترى -

كعقود ملاحية حين لوز^(١)

فرجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من تجمع أحياء بعض مستديرة صغيرة الحجم - في رأى العين وإن كانت كبيرة في الواقع - مجموعة على كيفية غرضية وهي أنها ليست تامة الالتصاق ولا تامة الانفراق هذا الوجه مركب حسى وقد انتزع من طرفين مفردين متقنين وهما : نجم الثريا مقبداً بكونه قد لاح في الصباح وعقود العنب مقبداً بكونه عتقود ملاحية في حال إسراج النور والتقدير لا يتلقى الأفراد كما مر بنا .

ومن طرفين مركبين كما في قول بشار :

كأن مشار القبح فسوق وهو سنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكب

(١) الملاحية : عنب أبيض في حبه طول .. ولوز أى : تنتج لوزه وأدرك نضجه والكشاف في قوله : "كما ترى" بمعنى على أى : على نحو ما ترى أما كشاف التشبيه فهي التي في قوله : كعقود ملاحية ...

فوجه الشيء وهو الحقيقة الحاصلة من تهاوى أحرار مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متحركة في جوانب شيء مظلم مركب حسي وقد انتزع من طرفين مركبين حسيين ، ومنه قول أبي طالب:

وكان أجرام النجوم لوامعا دور لشون على بساط أزرق

فوجه الشيء وهو الحقيقة الحاصلة من تفرق أجسام متألقة صغرة للقدر مستديرة الشكل على سطح جسم أزرق اللون صافي الزرقة ، مركب حسي وقد انتزع من طرفين مركبين حسيين .

ومن طرفين مختلفين في الأفراد والتركيب كتشبيه عمر الشقيق بأعلام ياقوت لشون على رماح من زبرجد .. فوجه الشيء وهو الحقيقة الحاصلة من اجتماع أشياء حمراء متحركة منصوبة على قائم أعرض ، مركب حسي وقد انتزع من طرفين مختلفين للشيء مفرد وهو عمر الشقيق والشيء به من المركبات الخيالية وهو الحقيقة المكونة من أعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد ، ومنه تشبيه التيلوفر بدبابيس عسجد قطبها من زبرجد فالوجه وهو الحقيقة الحاصلة من اجتماع شيء أحمر كروي منصوب على قائم أعرض مركب حسي وقد انتزع من مشيه مفرد ومشيه به مركب خيالي .

ومن ذلك تشبيه ضوء النهار الشمس بحالط نبات الأرض قلقت حدة ضوئه بالليل المقمر فوجه الشيء وهو الحقيقة الحاصلة من اجتماع أشعة ضوئية متباعدة انحطت بأجسام عظراء وحمراء فانكسرت حدة ضوئها ... مركب حسي انتزع من مشيه مركب ومشيه به مفرد مقيد ... وقد مرت بنا هذه التشبيهات .

بديع المركب الحسي :

تفاوت التشبيهات التي يكون وجه الشيء فيها مركبا حسيا ، في الحسن قيعتها يكون حسنا وبعضها أحسن وبعضها يبلغ حدنا كثيرا في الحسن والجمال ... ويرجع هذا التفاوت إلى مقدرة الأديب ونظرة الثاقبة في الحيات والحركات التي يتكون منها وجه

الشبه وإلى مقدار ما ينفذ من جهد فكري في استقصاء صفات الطرفين واستخلاص ما يلائم منها لعقد المشابهة ومراعاة الملائمة التامة بين اللون واللون والشكل والشكل والمحم والمحم والحركة والحركة .. فمن يستطيع أن يبرز في وجه الشبه صفات عدة تجمع بين اللون والشكل والمقدار والمحم أو يضيف إلى الشكل واللون حركة معينة أو يبرز في الحركة تنوعا يضاف عليها جمالا وروعة ... من يستطيع أن يصنع ذلك من الأدباء يكون تشبيهه أبدع وأحسن ونظيره أقوى وأثقل من الآخر الذي لا يستطيع أن يلمح من صفات الطرفين إلا اللون والشكل ولا يقدر على أن يبرز ويدع ويبرز ما فسى الطرفين من هيات وحركات متعددة ومتلازمة ..

وستعرض فيما يلي نماذج متعددة لما أبدع فيه الشعراء من هذه التشبيهات .

أولاً : ما كان وجه الشبه فيه مكوناً من هيئة الحركة الموحسودة فسى الطرفين متضمناً إليها بعض الصفات الأخرى المشتركة بينهما كاللون والشكل والمقدار فمن ذلك قول ابن المعتز :

والشمس كالمرآة في كلف الأشمل لما بسدت طالعصة فوق الجبل

جمع الشاعر في وجه الشبه بين الحركة السريعة وما ينشأ عنها من موج الضوء واضطرابه وبين الإشراق والاستدارة وذلك أنه نظر إلى الشمس عند طلوعها وإلى المرآة في يد الأشمل فرأى فيها إشراقاً واستدارة وحركة سريعة متصلة تتوآى لعين الناظر إلى كل منهما وهذه الحركة قد أحدثت موجاً في الضوء واضطراباً فبينما تراه منبسطة على سطح كل منهما وبكاد يفيض من جوانبهما إذا به يتقضب ويتجمع فسى وسطحهما .. فالشاعر قد استطاع أن يلائم ملائمة تامة بين ما في الطرفين من لون وشكل وحركة مضطربة متموجة وأن يركب من ذلك وجه الشبه فهو الهيئة الحاصلة من الإشراق والاستدارة والحركة السريعة وما ينشأ عنها من موج الضوء واضطرابه .. ولو اقتصرنا في بناء وجه الشبه على الإشراق والاستدارة وقدرنا بحسره من هذه الحركة ما يبلغ من الدقة والحسن هذا المبلغ .

ومن ذلك قول المهلبى الوزير يصف الشمس أيضا عند طلوعها :

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس غا حاجب
كانها بوقلة أحييت يحول فيها ذهب ذاهب^(١)

فقد جمع الشاعر أيضا في وجه الشبه بين اللون والاستدارة والحركة وما تنشئه في اللون من موج واضطراب فإن البوتقة إذا أجمت وخاب فيها الذهب لتشكل بشكلها في الاستدارة وأعدت تحرك فيها بجملة تلك الحركة المعجية كأنه بهم يأن يتبسّط حتى يلغى من جوانبها لما في عراضه من النعومة ثم يعود فيهبط إلى داخل البوتقة لما بين أجزائه من شدة التلاحم والاتصال فهو لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء وغوهر مما يتخلله الهواء ولذلك يتجمع لمعان الذهب في مركز دائرته ، كما تجمع الضوء في مركز المرآة المستديرة في تشبيه ابن المعتز . ولولا مراعاة هذه الحركة في تركيب وجه الشبه لما بنا التشبيه بهذه الصورة الرائعة ... وقول الصنوبري يصف غديرا في حديقته :

كأن فسى غدرانها حواجبا ظلمت غمط^(٢)

فقد جمع في وجه الشبه بين الحركة للتصلة وبين الشكل المنقوس الذى تقول تلك الحركة إلى حالة قريب من الاستواء وذلك أنه نظر إلى ماء الغدير وقد حركته الريح فأحدثت فيه أشكالا تبدو كأنها صف الدوائر ثم تتباعد أطرافها ويقطع الخواجا حتى تقارب الاستواء ، والتمس الشاعر لهذا شبيها فوجدته في حواجب العين إذا ما حركها أصحابها ومطرها شيئا فشيئا حتى يتمنى تقوسها ولذا أضاف إلى الخواجب ما يحقق هذه الحركة وهو قوله : ظلمت غمط حتى يتم الشبه وبهذا الصنيع أخرج التشبيه عن دائرة الابتذال وأدخله في دائرة الغريب البديع وصار وجه الشبه مركبا من الأشكال المنقوسة والحركة

(١) البوتقة : وعاء صغير يلبى فيه الصائغ الذهب والفضة .

(٢) الغدران : الأنهار جمع غدير ، وطمط ، غمط .

التوالي فهو الهيئة الحاصلة من توالي أقواس متحركة بحركة متصلة تقلل من انفصالها حتى تقرب من الاستواء..فلولا مراعاة هذه الحركة في بناء وجه الشبه لكان التشبيه قريباً مبتذلاً ولما بدا بتلك الروعة وبهذه الصورة البديعة .

ثانياً : ما كان وجه الشبه مكوناً فيه من هيئة الحركات الموجهة في الطرفين دون نظر إلى ما عداها من سائر الصفات ، من ذلك قول ابن المعتز في وصف اليرق :

وكان اليرق مصحف قار^(١) فانقلباً مسرة والفتاحا

فقد شبه حركة اليرق عندما ينشق عنه السحاب فيظهر ثم يختفي بحركة المصحف يوالى صاحبه فتحه وإغلاقه ..فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من توالي حركتين في اتجاهين مختلفين ينشأ عن إحداهما ظهور والفتاح وعن الأخرى إخفاء وانطياق ... ولم يعد الشاعر بما في الطرفين من صفات أخرى كلون اليرق حين ينشق عنه السحاب ولون المصحف حين يفتح القارئ لأن شيئاً من ذلك لا يتعلق به غرضه الذي هو وصف اليرق بتتابع الحركة وتواليها دون قصد إلى ما يصاحب هذه الحركة من بريق ولمعان ...

وقول الأعرابي يصف السفينة في البحر تتقاذفها الأمواج :

تقص السفين بجانيه كما يبتزو الرياح خلالاه كروع^(٢)

شبه حركة السفينة في البحر والروح يعلو بها ويسفل ويحلبها من جانب إلى جانب في حركة سريعة مضطربة بحيث لا تكاد تلمسها صاعدة حتى تراها نازلة ولا تراها على اتجاه حتى تراها على اتجاه غيره ، بحركة الفصل استهواه الماء للتجمع من بقايا المطر فأخذ يشب فيه ويبتزو محدثاً حركات متقلبة مضطربة وإلى جهات مختلفة على غير نظام ولا ترتيب ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تجمع حركات سريعة مضطربة وإلى جهات مختلفة على

^(١) قار : مخفف قارئ قلت همرته ياء ثم أهل إعلال قص .

^(٢) تقص : تلب ، والسفين اسم جنس واحد سفينة ، والكروع ، ماء السماء ، والرياح : الفصل .

غير نظام ، ولم ينظر الأعمش في تشبيهه إلى شيء من صفات الطرفين سوى هذه الحركات .

وقول أحمد بن سليمان بن وهب يصف روضة :

حفت بسرو كالقبان تلحقت يحضر الحرير على قسوم معتدل
فكألهما والرياح جاء يميلها تفي العناق لم يمنعا الخجل^(١)

شبه في البيت الأول شجر السرو في اعتداله وطول قامته وحضرة أوراقه بالجوارى الحسن ذوات القوم المعتدل وقد تلحقن بالحرير الأخضر ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وجود أجسام منتصبه معتدلة القائمة تحيط بها أشياء ذات لون أخضر وهذا خارج عما غن فيه لأن الهيئة المركبة خالية من الحركة.

أما في البيت الثاني فقد شبه حركة شجر السرو والرياح بميل فروعها بعضها إلى بعض ثم ترد إلى أصل وضعها بحركة عاشقين تقدما في حفر يفتان المعانقة ثم يفاجآن بأعين الرقباء فيرتدان إلى حيث كانتا في سرعة الحائلين المتزعمين . ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تحرك جسمين حركتين متقابلتين إلى جهتين مختلفتين تحدث إحداهما تقارب الجسمين وتحدث الأخرى سرعة انفراقهما . وهي هيئة متزعة من الحركة بمسودة عن كل وصف آخر من صفات الطرفين . وقد لاحظ الشاعر أن الحركة الثانية في التشبيه أسرع من الحركة الأولى لأن حركة الشجرة المعتدلة في حال رجوعها أسرع لا عمالة مسن حركتها في حال خروجها عن مكانها بتأثير الرياح ، فحقق ذلك في التشبيه بقوله ثم يمنعا الخجل لأن الحركة المسببة عن الخجل أسرع من الأخرى إذ إزعاج الخوف أقوى أبدا من إزعاج الرجاء . ومما يلاحظ أيضاً أن الشاعر لم يصرح بالتشبيه به فلم يقل كأن

^(١) القبان : الجوارى جمع قبة وهي الجارية ومن يشبهن بالسوفي اعتدال القد وقد يشبه السرو بهن في ذلك فيكون من التشبيه القلوب وتلحقت: اتخذت لحافا ، والخجل: الحياء .

شجر السرو عاشق يفيض التعانق بل طواه طبا في لطم الكلام حتى يحيل إلينا أن الشجر نفسه هو الذي أراد أن يتعانق ثم رده الخجل . وهذا كله مما زاد التشبيه حسنا وإبداعاً وأضفى عليه رونقاً وبهاء .

وقول امرئ القيس يصف حواءه :

مكر مكر مقيس السيل مديس معاً

كجلمود صخر حطه السيل من عل^(١)

شبه الخواد في حركته السريعة وابن قياده وسرعة انغراقه حيث يرى في لحظة واحدة يكر ويلر ويقبل ويدير فينبعا نرى كلاله إذا بنا في نفس الوقت نرى صدره فحاشيه ، شبهه بجلمود الصخر دفع به السيل من أهلى الجبل فوق الجلمود تحت تأثير قوتين قوة الجاذبية الأرضية وقوة دفع السيل له ولذا فهو يتحرك حركات سريعة متواصلة بحيث نرى جوانبه كلها بنظرة واحدة وفي آن واحد .. ووجه الشبه هو حركة الشيء إلى جهات متعددة في سرعة فائقة تكاد تزيح جوانبه كلها في وقت واحد بنظرة واحدة .

ثالثاً : ما كان وجه الشبه فيه مأخوفاً من هيئة السكون الحاصلة في الطرفين لم يكونا من اجتماع الأركان المفردة عن الحركة فيهما .

من ذلك قول المتنبي يصف إلقاء كلب الصيد :

يقعى جلوس البدوى المصطلي بأساربع مجدولة لم تجمدل^(٢)

شبه هيئة الكلب في إقعائه بهيئة البدوى المستلقي بالنار فإنه يجلس على إتييه واقعاً ركبتيه ماداً يتيه إلى المدة .. ووجه الشبه هو الهيئة المركبة الحاصلة من وقوع

^(١) للكر : سريع الكر ، وللقر : سريع القر والجلمود : الحجر الصلب ، ومن عل : من فوق .

^(٢) يقعى : يجلس على إتييه ورجليه ناميباً ذراعيه .. والمصطلي : المستلقي المجدولة : انكسرة الخلق .. ولم تجمدل : لم تجمع فهي مفترقة في أرجاعها الخاصة ومولفها اليانة .

الأعضاء المختلفة في مواقعها الخاصة .. وهذا الوجه متزعزع من عدة لوضاع في الطرفين ساكنة لا حركة فيها .

ومن ذلك تصوير الشعراء هيئة المصلوب ووقع كل عضو من أعضائه في موقع خاص وقد غيم السكون عليها فامتدت هذه الهيئة وطالت بلا حركة تغير من صورتها . وقد اختلقت الصور التي أبرز الشعراء فيها هذه الهيئة .. فمنها قول الأبيات الأعرابي :

كأنه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع إلى توديع موحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته موصل لتمطيه من الكسل^(١)

شبه المصلوب في البيت الأول وهو قائم في المذبح وقد مالت عنقه إلى جانب كتفه وفي وجهه صفة الموت بعاشق تجمدت حواسه في موقف الوداع وقد مالت عنقه وفي وجهه صفة العشق .. ووجه الشبه هو هيئة السكون الخاضعة من القامة المنصبة ، والأذرع الممتدة والأصابع المائلة والرجوه المنصرفة وقد طالت هذه الهيئة بلا حركة تغير من أوضاعها .. وفي البيت الثاني شبهه بقائم من نعاس لم ينشط بعد من لوثة النوم واسترخاء العضلات فأخذ يطمط ماذا ذراعيه إلى جانبيه وعنقه إلى جهة صدره ، وقد وصل تمطيه من شدة كسله فاستمرت هذه الهيئة ، فوجه الشبه هو هيئة السكون الخاضعة من القامة المنصبة والأصابع المائلة والأذرع الممتدة مدا متواصلا .

ومنها قول دجيل الخراساني :

لم أر صفا مثل صف الزوط تسعين منهم صلبوا في عط
من كل عال جذعه بالشط كأنه في جذعه المشتط

(١) الصفحة : يظن الكف ، واللثة : استرخاء العضلات ، والنعاس النوم .

أخو نعامس جيد في التمثلي قد خاسر النوم ولم يغط^(١٦)

فقد شبه هيئة المصلوب بهيئة التمثلي حين خاسره النوم ثم بالغ في تمطيه فوصفه
باجدد ليدل على طول بقائه على هذه الهيئة الساكنة .

ومنها قول ابن الرومي :

كأن له في الجبو حبلا يوعه إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل^(١٧)

شبه المصلوب بصورة من يقبض الخيال بئراعيه فهو يمددهما إلى جانبي كتفيه
ما دام يروع أي : يقبض بالباع وقد حقق الشاعر في المشبه به هيئة السكون الدائم التي
رآها في المشبه ، وذلك بقوله : إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل فالذي يروع لا يترك يديه
ليمرر الحبل بينهما بل الحبل يتأرجح ويمر بين يديه فاليدان في حالة مد دائم بلا حركة ..
ووجه التشبه هو الهيئة الحاصلة من القامة المنتصبة والأذرع الممتدة مدا متواصلا .

موازنة بين هذه التشبيهات :

يتأمل هذه التشبيهات نجد اختلافا دقيقا بين إبراز كل صورة منها لبيئة المصلوب
وأعضاء الساكنة سكونا متواصلا . فالأصغر في بيته الأول قد حقق الصغرة التي رآها في
وجه المصلوب ، وهي صغرة الموت بأن جعله كالعاشق الذي اصفر وجهه من كثر العشق
وحقق أيضا دوام السكون بأن جعل مد الصلابة في يوم وداع ورجل فهو قد سكن وتحجر
في مكانه لرجل عشيقه عنه ، ولكن فاته إتمام أعضاء الهيئة فالمصلوب مدت يداه والعاشق قد

^(١٦) الرط : طائفة من غنم خرجوا على النعصم ويعرفون بالنور أو بالنعصر فشردهم للنعصم وصلب
منهم هذا العدد في حمل مؤلف من أشعار عالية الجلوخ .. والتشبيط : إخراج في طوقه عين
الحد .. وخاسر: صاغة النوم .. ولم يغط: لم ينهر ويتردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من
حواله .

^(١٧) يوعه: يقبضه بالباع . وأتيح : عرض له .

مد بدا واحدة ، وفى بيته الثانى حقق هيئة المصلوب فى القام من العباس بأن جعله متعطيا مائاً ذراعيه ثم حقق دوام السكون بجعله التمتعى متوصلا بالذكر سبب الواسلة وهو اللوحة والكسل ، ولكن فاته تحقيق صفة الموت الموجودة فى المصلوب .

ودعيل فى تشبيهه قد حقق هيئة المصلوب فى هيئة الداسل فى النوم للشرف عليه بأن جعله متعطيا . ولكنه أخطأ فى تحقيق دوام السكون لأعضاء التمتعى إذا لم يجعله مواصلا لتعطيه بل جعله مبالغاً فيه "جد فى التمتعى" والمبالغة فى فعل الشيء لا تقتضى استثنائه لأن الذى يبلغ فى الفعل لا يستطيع مواصلة ، ثم لم يذكر سبب جده فى التمتعى كما ذكر الأصيل سبب مواصلة وقد فات دعيل ما فات الأصيل من تحقيق صفة الموت الموجودة فى المصلوب فى هيئة للشبه به ، وابن الرومى فى تشبيهه قد حقق هيئة المصلوب فى هيئة من يورع الحبال وسحق أيضاً دوام سكون الأعضاء واستقرارها على هيتها بقوله : إذا ما اقتضى حبل أتبع له حبل وذكر كذلك السبب فى إبطاله مد الذراعين وهو يورع الحبال الكثيرة فهي حبال فى البحر كثيرة وكلما اقتضى حبل أتبع له آخر ... ولكن فاته ما فات الأصيل فى بيته الثانى وما فات دعيل من تحقيق صفة الموت فى الجوه والموجودة فى وجه المصلوب فلم يحققها فى التشبيه به وفاته شيء آخر وهو إقام أعضاء الجوه فقد مد الذراعين ولكنه لم يعل العنق وقد تحققت هذه الإمامة فى العاشق الذى مد صفيحة وفى التمتعى الذى واصل لمطيه والذى جد فيه .. فالعاشق مالت عقله إلى جانب كفه وللتمتعى قد مد عقله إلى جهة صدره .. ولا نرى هذه الإمامة فمن يورع الحبال^(١١) ...

ومن التشبيهات التى جاء وجه الشبه فيها مكونا من اعتلاط الألوان المبردة من الحركة قول ابن المعتز يصف زهر المرجس :

كان عيون المرجس الغض حولنا هذاهن در حشوشن عقيق^(١٢)

^(١١) وقيل إن أما العباس الذى قد حاصر النوم والقائم من العباس يرى فى وجهها الصغيرة صفة التعب والإرهاق والتكاسل .

^(١٢) المرجس : نوع من الزهر أبيض اللون وفى وسطه نقطة بخلاف لونها لون بقية الزهرة وتكون غالباً سوداء ويشتبه المرجس بالعيون كما فى البيت ولشبه العيون أيضاً بالمرجس لذلك ... والنعن : على يوضع بها النعن .. العقيق : أحمر اللون ...

فقد شبه زهر الزرجى بمداعن در حشورهن عقيق ووجه الشبه : الحقيقة المكونة من
بياض قد تلف حول سواد أو حمرة .

وقوله يصف الثريا وسط القلām :

وأرى الثريا في السماء كأنها **قدم تبت من ثياب حذاء^(١)**

شبه الثريا في السماء وسط ظلام الليل بقدم يبت من ثياب سوداء ووجه الشبه :
الحقيقة المكونة من بياض ظهر في وسط سواد.. وقول أبي طالب الرقي :

وكان أجرام النجوم لوامعا **درو نثرون على بساط أزرق**

فوجه الشبه في البيت هو الحقيقة المكونة من أجرام بيضاء مضيئة صغيرة تترت على
صفحة شيء أزرق صافى الزرقة ...

وقد يهرك الشاعر أحد اللونين كقول بشار :

كان مشار النبع فوق رهوسا **واسياقنا ليل تهاوى كواكب**

وقول البحتري يصف فرسا :

تسرى أحجالة يصعدن فيه **صعود البرق في الغيم الجهام**

والتشبيه في هذه الأبيات قد أوضحناه فيما سبق ..

القسم الرابع: أن يكون وجه التشبيه مركبا عقليا كقوله تعالى: ﴿عَلَّ الْقَلْبَيْنِ
حُمُلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجَمَّارِ يُخْتَلَمُ أَسْفَاراً^(٢)﴾ شبهت حال اليهود
الذين حملوا التوراة وحفظوها في صدورهم ثم لم يعملوا بما فيها ولم يفهموا حقيقة

(١) ثياب الحذاء: ثياب تلبسها المرأة حزنا على زوجها وتكون غالبا سوداء .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

مرماها بحال الخمار يحمل كتب العلم النافعة ويتعب في حملها وهو جاهل بحقيقة ما فيها .

ووجه التشبه هو القيمة الحاصلة من حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه ... وهو مركب عقلي انتزع من عدة أمور روعيت في الطرفين فقد روعى .. حمل أشياء ... وهذه الأشياء ينتفع بها أكمل نفع ... والحامل لها يتحمل التعب والشقة في استصحابها ولا يجنى من وراء تعبها فائدة ..

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ بَيْتٍ يُخْسِفُ الطُّغْمَانُ مَاءًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَقَّاهُ حَتَّى... ﴾^(١١) شبيه حال الكفرة في جمعهم بين الكفر وأعمال البر التي يعملونها في الدنيا وبحسبونها نافعة ومقبولة عند الله ثم يرونها خاسرة محيطة بيوم القيامة لأنها لم تقدر بالإيمان الذي هو شرط قبولها .. بحال الطغمان يرى السراب من بعيد فيحسبه ماء سريوي فلهما فإذا بلغه لم يجد شيئا .. ووجه التشبه هو الحقيقة العقلية الحاصلة من للتفكير المقطع مع الخير للوئس .. وقد انتزع هذا الوجه من عدة أمور روعيت في طرفي التشبيه وهي : حال الكافرين وقد عملوا أعمال بر لم تقدر بالإيمان فلم تنفعهم في الآخرة لفقدان شرط قبولها ولذا فهم يؤخسون بأشد العذاب .. وحال الطغمان مع السراب الذي ظهر له فيحسبه ماء نافعا فجد في الوصول إليه والحصول عليه ثم عاب أمه عندما وصله وأدرك أنه خيال واشتد آلمه وعذابه حيث بقي على حال ظمئه التي كان عليها .. ومنه قول ابن الجوزي :

أصبر على مضض الخمر د فسان صيرك قتله
فالنار تاكل بعضها إن لم تجهد مائها تاكله

^(١١) سورة النور ، الآية : ٣٩ .

فقد شبه حال الحاسد بهمله الخسود بالإعراض عنه حتى يموت غيلاً بحال النار لا تمد بالخطب الذي يديم بقائها فها كل بعضها بعضاً حتى تصير رماداً . ووجه الشبه هو الميزة العقلية الحاصلة من سرعة القضاء لعدم الإسداد بما يسبب البقاء والحياة .
وقول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر الفضيلة طويت أجناح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود^(١)

شبه حال الفضيلة يتعرض لها الحاسد ليسوزها ويغض من قيمتها ويؤذي صاحبها فيكون ذلك سبباً في ظهورها وشروع أمرها بحال العود مع النار فإنها تظهر طيب رائحته وتسبب انتشارها فبعم النفع بها ، ووجه الشبه هو الميزة الحاصلة من ظهور فضل الشيء بالتصالح بآثر شديد الضرر له ...

القسم الخامس : أن يكون وجه الشبه متعدداً حسياً كشبيه نهر دجلة بنهر النيل في طوله والتساعه وعذوبة مائه ، وكشبيه فاكهة بآخرى في اللون والطعم والرائحة .

السادس : أن يكن وجه الشبه متعدداً عقلياً كشبيه الأنصار بالمهاجرين في قوة إيمانهم بالله ومحبتهم للرسول ﷺ والتفاني في نصرة الحق . وكشبيه الصقر بالغراب في حدة النظر وكمال الخذر وإخفاء السفاد^(٢) .

السابع : أن يكون وجه الشبه متعدداً مختلفاً بعضه حسى وبعضه عقلى كشبيه الرجل بالشمس في إشراف الوجه وتباهة الشان .

(١) العرف : الرائحة . والعود : طيب من الطيب يتخرب به .

(٢) السفاد : نزو الذكر على الأنثى .

مقارنة بين وجه الشبه المركب ووجه الشبه المتعدد :

وجه الشبه المركب لابد أن ينتزع من عدة أمور معتبرة في كل من الطرفين بحيث إذا ترك بعضها لا يتم وجه الشبه بل ويضيع الغرض الذي يقصده للتكلم من التشبيه لأنه يهدف إلى مزج هذه الأمور وخلطها واستخلاص هيئة تركيبية منها .. أما الوجه المتعدد فإن الأمور المعتبرة في الطرفين لا تخرج بل يظل كل أمر منها مستقلاً بحيث يمكن الاستغناء عن بعض هذه الأمور دون أن يفسد التشبيه فقولنا : المهاجرون كالأنصار في قوة الإيمان وحمية الرسول والتفاني في نصرة الحق يمكن الاستغناء عن صفة أو صفتين من الصفات الثلاث ويظل التشبيه بين الطرفين صحيحاً في الصفة المتبقية .. وبناء على هذا الفرق بين الوجهين لا يجوز لنا أن نختار وجه الشبه في قول كثير :

لقد أطمعني بالوصال تيسماً وبعد رجائي أعرضت وتولت
كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها أفضعت وتجلت^(٦٦)

هو ظهور بواذر الأمل في حصول شيء مرغوب فيه لمن هو شديد الحاجة إليه .. على أن يكون التشبيه حاله مع حبيته وقد لاحت له متسمة قطع في وصافها .. والتشبه به : حال قوم عطاش شديد الحاجة إلى الماء لاحت لهم غمامة مطمعة ، لأنها بهذا الصنيع لتكون قد فصلنا أجزاء التشبيه المركب وعقدنا التشابه بين جزء في التشبيه ونظيره في التشبه به برحه شبه مستقل فبفوت بهذا الغرض الذي يرمي إليه الشاعر من المركب إذ إن غرضه أن يصور حاله مع حبيته وقد بدت له متسمة قطع في وصافها ولتكن رجاء الوصل في نفسه وعندئذ أعرضت عنه وتولت .. بحال قوم عطاش لاحت لهم غمامة مطمعة ما برحت حين تمكن في أنفسهم رجاء أسفارها أن أفضعت وتجلت .. وهو يعبر بهذا التصوير عن وقوع اليأس في نفسه إثر تمكن الرجاء فيها ووجه الشبه بين

^(٦٦) الغمامة : السحابة ، أفضعت وتجلت : تفرقت وانكشفت . وأبرقت بمعنى غسست وتعرضت لهم .

الطرفين هو اتصال ابتداء مطمح بالنهاه مؤسس وهذا الوجه منتزع من الأمور المجمعة في
اليتين بحيث لا يمكن الاستغناء عن بعضها .

وعلاصة القول في هذا أن وجه الشبه المركب من عدة أمور لا يمكن تجريده من
بعض هذه الأمور لأنه مبني على اتحاد الأجزاء ومرجعها وتلاحمها وأن وجه الشبه للتعدد
يمكن الاستغناء عن بعضه لأنه ليس مبنيًا على اتحاد الأمور المحققة له وتلاحمها .. فإذا قلنا :
فلان كالماء يصفو ويكدر . كان وجه الشبه متعددًا وهو الصفاء والكدر لأن وأن
المطف تقيده مطلق الجمع ولهذا يجوز الاستغناء عن الكدر ويبقى تشبيهه بالماء في الصفاء
سليما صحيحًا فيقال : هو كالماء يصفو ، أما إذا قلنا : فلان كالماء يصفو ثم يكدر
أو يصفو فيكدر كان التشبيه مركبًا لأن القاء و ثم تقيدها معنى زائدًا على مجرد الجمع وهو
الوئب .. وبهذا المعنى الزائد امتزج الصفاء والكدر والتحما وتحقق تركيب وجه الشبه ..
وكذا إذا اعتبرت الموازاة للمعية أو للحال وليست مجرد العطف كان الوجه مركبًا ويتنوع
عندئذ الاستغناء عن إحدى الصفتين .

كيف يكتسب وجه الشبه ؟

وجه الشبه - كما علمنا - هو الصفة الجامعة بين الطرفين : التشبه والتشبيه به .
فإذا أراد المتكلم أن يعقد تشبيهًا بين أمرين كان عليه أن يحضر في ذهنه ويحدد الصفة التي
اسرعت انتباهه في التشبه ثم يفيض النظر عما عداها من صفات ويطلب نظيرًا لهذه الصفة
التي اسرعت انتباهه في شيء آخر يكون مشبهًا به .. ويجب أن تكون هذه الصفة متماثلة
في التشبه به ... ويتحتم على المتكلم أن يفيض النظر عما في التشبه به من صفات أخرى
غير هذه الصفة وعما بين الطرفين من تباين أو تباعد ... فمثلًا إذا اسرعى انتباه المتكلم
شجاعة رجل فطلب لها نظيرًا في الأسد وجب عليه أن يصرف نظره عما في الرجل
والأسد من صفات أخرى غير الشجاعة وأن يفيض بصره عما بينهما من تباين في
الجنس .. وإذا أعجبه منظر السفينة يتلاعب بها الموج في حركات مختلفة فوجد شبهة لها
في حركات الفصيل صرف نظره عما بينهما من تفاوت في الحجم واللون ومن تباين في

الجنس ... وإذا لغت نظره هيئة المصلوب فوجد نظراً لها في قائم من نعاس يتمطى أعرض عما بينهما من اختلاف الحياة والوَت .. ولذا كان لزاماً على الناقد أن يلق على وجهة نظر الأديب وأن يتحقق من غرضه فلا يقول كيف يشبه فرجل الشريف الإنسان بهيوان مفوس .. وكيف يشبه السفينة الضخمة بهيوان صغير الحجم .. وكيف شبه المصلوب بقائم يتمطى من نعاس والحياة ما تزال تدب في جسم الممتطي .

التراج وجه الشبه من التضاد :

قد يلجأ للكلام إلى أن يشبه الجبان بالشجاع أو البعيل بالكريم لغرض يهدف إليه . وقد علمنا أن وجه الشبه وصف مشترك بين الطرفين تتعقد به المشابهة كالشجاعة الموجودة في كل من الرجل الشجاع والأسد . فكيف يتم تشبيه الجبان بالشجاع أو البعيل بالكريم والصفة الموجودة في الشبه تضاد الصفة الموجودة في الشبه به ؟ والجواب : أن هذا التشبيه يتم عن طريق التنزيل أي : تنزيل التضاد بين الوصفين منزلة التناسب ، ثم يتزع وجه الشبه من التضاد المنزل منزلة التناسب لتحقيق الغرض الذي يرمى إليه للكلام . فمثلاً إذا أراد التكلم أن يسخر من الجبان أو أن يتهكم بالبعيل قال : أنت أسد شجاع . وأنت كحائم في الكرم .. ولزّل التضاد الحاصل بين الجبان والشجاعة وبين البعيل والكرم منزلة التناسب فصار الجبان شجاعاً والبعيل كريماً تنزيلاً ، وأصبح الكرم وصفاً مشتركاً بين البعيل وحائم تحقيقاً في الشبه به وتنزيلاً في الشبه .. وكذلك أصبحت الشجاعة وصفاً مشتركاً بين الطرفين تحقيقاً في الأسد وتنزيلاً في الجبان ، وعندئذ يتزعان وجهي شبه فيقال : هذا البعيل كحائم في الكرم .. وذلك الجبان كالأسد في الشجاعة ولا يقال في التضاد لأن اشتراكهما في التضاد لا يفيد السحرية والتهكم . وكذا إذا أراد المتحدث أن يمارح صديقاً بخيلاً أو يفاكه صديقاً حياناً قال له : أنفلق علينا فأنت حائم ودافع عنا العدو فأنت الأسد تنزيلاً للبعيل والجبان اللذين فيهما منزلة الكرم والشجاعة ويصبح الصديق البعيل الجبان موصوفاً بالكرم والشجاعة تنزيلاً كما يتصف حائم بالكرم والأسد بالشجاعة تحقيقاً .. ويكون وجه الشبه هو الشجاعة والكرم ،

ولا يصح أن يقال إن وجه الشبه هو التضاد لأن اشتراك الطرفين في التضاد لا يلبد المزاح والمفاكهة اللذين يهدف إليهما التكلم بهذا التشبيه .

وبهذا يتضح لنا أن انتزاع وجه الشبه من التضاد يكون لغرض المفاكهة والمزاح أو السخرية وتهكم .. ويتم هذا الانتزاع عن طريق التنزيل بأن ينزل التضاد بين الوصفين منزلة تناسب اعتمادا على ما يريد المتكلم من سخرية وتهكم أو مزاح ومفاكهة ثم يتزع وجه الشبه من التضاد للنزل منزلة تناسب لتحقيق الغرض المشار إليه

التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي

ينقسم التشبيه باعتبار إفراد وجه الشبه أو تركيبه وحسبته أو عقليته إلى تشبيه تمثيلي وتشبيه غير تمثيلي وتختلف آراء البلاغيين في التفرقة بين هذين النوعين وتحديد معنى كل منهما على النحو التالي :

أولاً : رأى الإمام عبد القاهر الجرجاني : فرق عبد القاهر بين التشبيه التمثيلي والتشبيه غير التمثيلي فرأى أن التشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه أمراً يندأ لا يحتاج إلى تأويل وإعمال فكر وصرف عن الظاهر لأن التشبيه فيه يشارك التشبيه به في صفته ومثاله تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه وبالحلقة في وجه آخر . وكذلك من جهة اللون كتشبيه الحد بالورد والشعر بالليل والوجه بالهزار والسيف بعين الديك .. أو جمع الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنفود الكرم المنور والرجس بخدها من درجسوهن عقيق . وكذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح في الاستواء والطول وتشبيه القند اللطيف بالغصن في اللتني واللونة .. ويدخل في الهيئة حال الحركات في أجسامها كتشبيه الناهب على الاستقامة بالسهم للسيد ومن تأمل هذه الأرمية فهتت بالغصن تحت البارج^(١) . وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الخواص كتشبيه أطيط^(٢) الرجل بأصوات الفراريج في قول ذي الرمة :

كأن أصوات من إيهائن بنسا أواخر المس إنقاض الفراريج

وتشبيه صريف أتياب البعر بصياح البوازي كقول ذي الرمة أيضاً :

كأن على أتيابها كل سحرة صياح البوازي من صريف اللواتك^(٣)

(١) البارج : الريح القديفة .

(٢) أطيط الرجل : صوته .

(٣) السحرة : السحر الأعلى أي أول السحر وهو ما قبل الشعر . والصريف : صوت الناب . واللواتك : جمع لانتكة وهي الضع من لأك الطعام إذا مضغه .

وأشبه ذلك من الأصوات المشبهة له .. وكشبهه بعض الفواكه الحلوة بالمعسل والسكر وتشبه اللون الناعم بالحرير والخشن بالمشح^(١١) ، والوجه بعض الرياحين برائحة الكافور ، وكذا التشبيه من جهة الغريزة والطبع كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة وبالعلب في المكر ، والأعلاق كلها تدعى في الغريزة نحو السحابة والكرم والوفاء والظلم والغدر . فالشبه في هذا كله بين لا يجرى فيه التماثل ولا يفتقر إليه في تحصيله . وأى تأويل يجرى في مشابهة الخلد للورد في الحمرة وأنت تراها ههنا كما تراها هناك وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل .

ويسمى عبد القاهر هذا النوع : التشبيه غير التمثيلي أو التشبيه الظاهر أو التشبيه الصريح أو التشبيه الأصلي الحقيقي وهو أهم عند من التشبيه التمثيلي .

الضرب الثاني : التشبيه التمثيلي وهو عند عبد القاهر مالا يكون الوجه فيه أمراً بيتاً بنفسه بل يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التماثل والصرف عن الظاهر لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية ويتحقق ذلك فيما إذا كان وجه الشبه ليس حسياً ولا من الأسلاك والغرائز والطباع العقلية الحقيقية ولكنه يكون عقلياً غير حقيقي أى غير مقرر في ذات الموصوف . ومثاله قولنا : هذه حجة كالشمس في الظهور . فقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها . ولكن هذا التشبيه لا يتم إلا بتماثل وذلك أن نقول حقيقة ظهور الشمس أو غيرها من الأجسام ألا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها والشبهة تظهر الحجاب فيما يدرك بالعقول لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شبيهة فيه . ولذا توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صفة حكم أو فساد ، فإذا ارتفعت الشبهة قيل : هذا ظاهر كالشمس . فقد احتجنا في تحصيل الشبه بين الحجة وبين الشمس وهو إزالة

(١١) السح : كساء غليظ من الشعر .

الحجاب في كل ، إلى مثل هذا التأويل والصرف عن الظاهر . ثم إن ما طريقه التأويل يتفاوت تفاوتاً شديداً فمنه ما يقرب مآخذة يسهل الوصول إليه ، ومنه ما يحتاج إلى قدر من التأمل ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجها إلى فضل روية ولطف فكرة فمن الأول ما مر من تشبيه الخجة بالشمس . ومن الثاني قولنا : كلام ألفاظه كالماء في السلاسة والتنسيم في الرقة والنعسل في الخلاوة ، فالمراد أن اللفظ لا يستغلق ولا يشبه معناه ، ولا يصعب الوقوف عليه فليس بغريب وحشي وليس في حروفه تكرير وتناثر يكدر اللسان فصار لذلك كالماء الذي يسوغ في الخلق والتنسيم الذي يسرى في البدن ويتصل بالمسالك اللطيفة منه ويهدي إلى القلب روحاً ونشاطاً والنعسل الذي يلد طعمه وتهش النفس له ويحب الطبع إليه . فوجه الشبه إذاً هو الاستحسان وميل النفس الذي هو لازم من لوازم الخلاوة وقد احتجنا في إدراكه إل مثل هذا التأمل . وهو أدعى قليلاً في حقيقة التأمل ونحوه حالاً في الحاجة إليه من تشبيه الخجة بالشمس ومن الثابت قولهم : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها ، فوجه الشبه في هذا التشبيه يحتاج إلى فضل روية ولطف فكرة ، وإلى كثير من التأمل والصرف عن الظاهر حتى يمكن استخراج الوقوف عليه وذلك لغرضه ودقته . وقد مررنا عند القاهر هذا النوع : التشبيه التمثيلي أو التمثيل وهو عنده أحسن من التشبيه . كما بينا ثم يسوق شواهد كثيرة لكل نوع من النوعين فمن شواهد التشبيه قول قيس بن الخطيم :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى

كعتقود ملاحية حين نورا

وقول ابن المعتز :

كأن عيون الترحس الغض حوئنا

مناهن درخشوهن عقيق

وقوله :

وتروم الثريا في الغروب مراصا كاتكباب طمر كاد يلقى اللجام^(١٦)

وقوله :

وأرى الثريا في السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حصاد

وقوله :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الخلال بالعيد
يتلو الثريا كفناظر شره يفتح لسانه لأكل عقود^(١٧)

فرجعه الشبه في هذه الأبيات ظاهر بين لا يحتاج إلى تأويل لأنه من المركبات الحسية ولذا كانت من قبيل التشبيه غير التمثيلي عند عبد القاهر .. وقد مررت بنا هذه التشبيهات .

ومن شواهد التمثيلي قول ابن المعتز أيضًا :

أحمر على مضمض الحمو دفران صبرك قاتله
فالنسار تاكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

^(١٦) الطمر : القرس الجراد ، وللمراد به هنا أن يكون ذا لون أسود ، والجمام : مضمض فهو كالثريا ، والطمر كالليل ووجه الشبه : ظهور شيء أبيض مستطيل في جوانب شيء مظلم .

^(١٧) سقم الخلال : أراد صغره وأسنده في اللعاب ، ويتلو : يتبع ، والفاجر : الذي يفتح فمه «بالشعر» : شديد النهم والرغبة في الأكل ، فالشبه : لخلل وللشبه به : الفرجل القناظر فمه لأكل عقود ، ووجه الشبه : هيئة أحرام بضاء يحيط بها شيء مقوس .

وقول صالح بن عبد القدوس :

وإن من أدبته فسى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تسراه مورقنا لساخرا بعد الذى أبصرت من ييسه^(١١)

فرجه الشبه فى هذه الأبيات من المركبات العقلية التى تحتاج إلى فضل رؤية وإعمال فكر ولذا كانت من قبيل التشبيه التمثيلى عند عبد القاهر .. وخلاصة رأى عبد القاهر أن التشبيه غير التمثيلى ما كان وجه الشبه فيه حسياً أى مدركاً بإحدى الحواس الخمس الفاعلة وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس .. سواء كان هذا الوجه الحسى مفرداً أم مركباً .. وكذلك ما كان الوجه فيه عقلياً حقيقياً أى : ثابتاً ومقررراً فى ذات الطرفين كالأخلاق والفرائز والطباع .. والتمثيل أو التشبيه التمثيلى ما كان وجه الشبه فيه ليس حسياً ولا من الأخلاق والفرائز والطباع العقلية الحقيقية ، بل يكون عقلياً غير حقيقى أى : غير متقرر فى ذات الطرفين فلا يكون شيئاً ظاهراً بنفسه بل يحتاج فى تحصيله إلى تأويل لأن التشبيه لم يشارك الشبه به فى صفته الحقيقية .. سواء أكان هذا الوجه العقلي مفرداً أم مركباً .

ثانياً رأى السكاكي : يرى السكاكي أن التشبيه غير التمثيلى ما كان وجه الشبه فيه مفرداً بتوحيده حسياً أو عقلياً ، أو كان مركباً حسياً .. فمثال ما كان الوجه فيه مفرداً وحسباً تشبيه الحد بالورد فى الحمرة والشعر باللبل فى السواد والريش بالخمير فى طيب المذاق .. إلخ .

^(١١) لعله تشبه للورد فى صباه بالعود السقى وإن غرسه ، ووجه الشبه : التحول من حال النقص إلى حال الكمال بسبب التعمد بالعلاج فى الوقت الذى يحدى فيه العلاج .

ومثال المفرد العقلي : تشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة وبالحجر في الكرم وبالذهب في الفكر والدعاء... وتشبيه الحبة بالشمس في إزالة الخجاف والكلام بالعسل في ميل النفس .. إلخ . ومثال المركب الحسي :

كان مشار النقع فوق رؤوسنا وأسبالتا ليل تهاوى كواكبها

إلى آخر ما مر بنا من المركبات الحسية .. أما التمثيل عنده فهو ما كان وجه الشبه فيه مركباً عقلياً كقولہ تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ النَّارِ الَّتِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١١) فوجه الشبه في الآية الكريمة أن كلا من المتألقين ومستوقد النار تعاطى الأسباب المقربة لتحقيق آمالهم وحين ظهرت دلائل النجاح انقلب الأمر على عكس ما أملوا . وهو هيئة عقلية انتزعت من أسور متعددة . وقوله عز وجل : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَاتُ أَنَّهُمْ لَمْ يُخَيَّلُواهَا كَمَثَلِ الْجِبَابِ يُخَيَّلُونَ أَشْفَارًا﴾^(١٢) فوجه الشبه وهو حرمات الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه ، هيئة عقلية مركبة لا تنزعها من أسور متعددة .. وعدم إدراكها بالحواس .

ثالثاً : رأى الخطيب وجمهور البلاغيين أن التشبيه غير التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه مفرداً حسياً أو عقلياً ، والتشبيه التمثيلي ما كان الوجه فيه مركباً سواء أكان حسياً أم عقلياً .. فمقدار التفرقة عندهم بين التشبيه والتمثيل تركيب الوجه والفراده بغض النظر عن كونه حسياً أم عقلياً .. فإذا كان وجه الشبه هيئة منتزعة من شيئين أو عدة أشياء كان التشبيه تمثيلاً سواء أكانت هذه الهيئة حسية أم عقلية .. وإذا كان وجه الشبه مفرداً بنوعيه أي حسياً أو عقلياً كان التشبيه غير تمثيلي .

(١١) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

(١٢) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

وخلاصة هذه الآراء في التفرقة بين التشبيه والتشثيل والتي هي مبنية على إفراد وجه الشبه أو تركيبة وحسبته أو عقليته ، أنه إذا كان وجه الشبه مركبا عقليا غير حقيقي . كما في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الصَّوَارِثُ ﴾^(١١) وقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَشْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ يَفْتَخِرُونَ ﴾^(١٢) كقصور ابن المعتز : اصبر على مضيق المسود .. يقول صالح : " وإن من لذته في الصبا " وقول أبي تمام : " وإذا أراد الله نكسر فضيلة " كان التشبيه تمثيلا بإجماع الآراء .

وإذا كان الوجه مركبا حسيا كما في قوله بشار : " كأن مشار النقع " وقول أبي طالب : " وكان أحرام النجوم .. " وقول ذي الرمة : " وسقط كعين الديك " .. كان التشبيه تمثيلا عند الخطيب وجمهور البلاغيين وغير تمثيلي عند عبد القاهر والسكاكي لكونه حسيا .

وإذا كان وجه الشبه واحدا عقليا غير حقيقي أي غير متقرر في ذات الطرفين .. كما في قولنا : كلام كالعسل . وحجة كالشمس وهم كالخلقة للفرقة . كان التشبيه تمثيلا عند عبد القاهر فقط وليس تمثيلا عند السكاكي والخطيب والجمهور لفقده التركيب الذي يشترطونه في التشبيه التمثيلي .. وعبد القاهر يفتض النظر عن هذا التركيب .

وإذا كان الوجه واحدا حسيا كما في قولنا : عند كالورد وشعر كالليل وريق كالغمر وبشر كالحرير . أو واحدا عقليا حقيقيا لكونه من الأخلاق والغرائز والطباع الحقيقية كما في قولنا : هذا الرجل كحام كرمنا وكأحنف حلما وكإيأس ذكاء وكالأسد شجاعة وكالكلب وفاء . كان التشبيه غير تمثيلي بإجماع الآراء لفقده التركيب الذي يشترطه السكاكي والخطيب وجمهور البلاغيين . ولكونه حقيقيا أي : متقدرا في ذات الطرفين وعبد القاهر يشترط في التمثيل أن يكون وجهه عقليا غير حقيقي .

^(١١) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

^(١٢) سورة النور ، الآية : ٣٩ .

التشبيه الجميل والتشبيه المقصّل

ينقسم التشبيه باعتبار حذف وجه الشبه أو ذكره إلى قسمين تشبيه مجمل وتشبيه مفصّل .

فالتشبيه الجميل :

ما حذف فيه وجه التشبيه كقولنا : هذا الرجل كالأسد والعلماء كالنجوم ..
ووجه التشبيه المخلوف قد يكون واضحاً ظاهراً يعرفه الخاصة والعامة على حد سواء
كقولنا : وجه كالدبر . وشعر كالليل وبعد كالورد ورجل كالأسد .. وقد يكون دقيقاً
مستقياً يحتاج في إدراكه إلى فكر وتأمل وعندئذ يجب أن يذكر في العبارة ما يرمي إلى
وجه الشبه المخلوف ويدل عليه .

ما يدل على وجه الشبه عند حله إذا كان دقيقاً عفياً .

والذي يرمي إلى الوجه المخلوف ويدل عليه إذا لم يكن ظاهراً واضحاً إيسا
وصف التشبيه به بصفة يفهم منها هذا الوجه المخلوف كقول كعب الأشقرى قى وصف
بنى لهيلب للحجاج لما سأله عنهم : هم كالحلقة للفرقة لا يدري أين طرفها . فقد
وصف التشبيه به وهو الحلقة للفرقة بأنها ليست معلومة الأطراف . وهذا الوصف أرمأ
إلى وجه الشبه ودل على أنه : التناسب الكلى الخائى من التفاوت . ولا شك أن الانتقال
من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غاية فى الدقة لأن العامة يتبادر إلى
ذهنهم تناسبهم فى الصورة والشكل ولا يدرك التناسب الكلى إلا الخاصة ولذا احتاج
التشبيه إلى وصف التشبيه به بهذا الوصف الذى أرمأ إلى وجه الشبه ودل على أنه :
التناسب الكلى الخائى من التفاوت.

ومن ذلك قول زياد الأعجم :

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما تلقى فى البحر يفرق

فوجه الشبه هو عدم ظهور الأثر في كسل منهما ، يريد أن يحجابه ضم لا يؤثر
فيهم لأصانته في الشرف وعرفتهم في الجدد كما لا يؤثر في البحر ما يلتقي فيه من
كوساخ وأقذار وقد أرمأت الحملة الحامية وهي : مهما تلقى في البحر بفريق والتي وقعت
وصفا للمشي به : البحر .. أرمأت إلى وجهه الشبه ودلت عليه .

وقوله النابغة الذبياني :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها من كوكب

شبه الممدوح والملوك بالشمس والكواكب ومجلة : إذا طلعت لم يبد منها
كوكب وقعت وصفا للمشي بهما فأنيأت عن وجهه الشبه المخلوف ودلت عليه وهو :
القوة الكبرى التي تسوق ما عدلها .. فالشاعر يريد أن عزه الممدوح وسلطانه وفضائله تحفى
مالسائر الملوك من قوة وعزة وسكازم كما تحفى الشمس إذا طلعت أضواء الكواكب .
وإذا أن يكون الدال على وجهه الشبه المخلوف وصفا للمشي والمشي به كليهما كما في
قول أبي تمام :

صدقت عنه ولم تصدف مواهبه عسى وعساوده عسى فلم يلق
كالمعيت إن جنته وإفلاك ريقه وإن ترحلت عنه بخ في الطلب^(١١)

شبه الممدوح بالمعيت ووجه الشبه هو الإفاضة والإحسان في حال الإقبال وفي
حال الإعراض وقد أنبأ بهذا الوجه ودل عليه وصف المشبه بأن عطاياء لا تنقطع في حال
الغبية وحال الحضور ووصف المشبه به وهو المعيت بأنه يوفيك بمائه الصافي إن طلبته .
وإن ترحلت عنه اجتهد في إمدادك به . ولو لم يوصف الطرفان بهذين الوصفين لبادر إلى
فهم العامة أن المقصود مجرد تشبيه الممدوح بالمعيت في كثرة العطاء .

(١١) صدقت : كبريت، والوعاب : الخواتم .. وريقه : لونه وأفضله .. وخ : أخ .

والتشبيه المفصل :

ما ذكر فيه وجه الشبه كقولنا : وجهه كالبلدر حسنا وعنده كالورد حمرة وشعره كالليل سواداً وريقته كاشعر ملها وبشره كالحرير نعومة .. وهذا الرجل كالأسد شجاعة .. سواء أكان المذكور هو نفس الوجه كالأمثلة للمذكورة وكما في قول ابن الرومي :

ياضيه البلدر في الحسن وفي هذا المثال

جد فقد تشجير الصخرة بالماء الزلال^(١)

وقول أبي بكر الخالدي :

يا ضيه البلدر حسنا	وطيناء ومنه لا
وشيه الفصن لينا	وقوامنا واعتدالا
أنت مثل الورد لونا	ونسيمها وبلايا ^(٢)
زارنا حتى إذا ما	صرنا بسا القرب زالا

أو كان المذكور وصفا يستلزم وجه الشبه كقولنا : كلام كالعسل في الخلاوة فليست الخلاوة هي وجه الشبه الحقيقي .. ولكن الوجه الحقيقي هو : ميل النفس وشعورها باللذة وهو لازم من لوازم الوصف المذكور "الخلاوة" فاستغنى بذكر اللزوم عن اللازم مجازاً . ومنه قرعهم : حجة كالشمس في الظهور فالوجه الحقيقي هو إزالة مطلق حجاب فيشمل حجاب الليل الذي يمنع إدراك البصرات وحجاب الشبهة التي تمنع إدراك العقولات ، وهذا الوجه من لوازم الوصف المذكور "الظهور" فاستغنى به عنه تساعها أو مجازاً .

(١) جد : يعني بالوصال ، الزلال : العذب الصافي

(٢) الزلال : الفتوة ، ويروي : ملأ بمعنى سرعة الزوال والمشاركة من إطلاق اللزوم وإرادة اللازم .

التشبيه البعيد والتشبيه المبتذل

ينقسم التشبيه باعتبار ما يتصف به وجه الشبه من وضوح أو دقة تخرج إلى التفكير إلى قسمين : تشبيه قريب مبتذل وتشبيه بعيد غريب .

القريب المبتذل :

هو ما ينقل فيه الذهن من الشيء إلى الشيء به دون حاجة إلى إعمال فكر وتفتيش نظر ، ويرجع ذلك إلى وضوح وجه الشبه وظهوره ، كتشبيه الوجه الحسن بالبدن والرجل الشجاع بالأسد ، فإن الذهن لا يجد صعوبة في إدراك هذا الحسن وتلك الشجاعة في البدن والأسد . وتشبيه الرجل الكريم بالقيث والحد الجميل بالورد ، فالذهن لا يجد عناء في إدراك الكرم والجمال في القيث والورد . ولا يعنى وصف هذه التشبيهات بالقرب والابتذال أنها رديئة مستكرهة ولكن المراد أنها قريبة التناول سهلة المأخذ يستوى فيها الخاصة والعامة وكثيراً ما يحتاج إليها الأدب لتوضيح معانيه وتأكيدها .

العوامل الموجبة لابتذال التشبيه :

بعد التشبيه قريباً مبتذلاً إذا تصف وجه الشبه فيه بصفة أو أكثر من الصفات الآتية :

١ - كونه أمراً بجملاً لا تفصيل فيه كتشبيه الحد بالورد في الحمرة والمصباح بالنجوم في الإضاءة والرجل بالأسد في الشجاعة فالحمرة والإضاءة والنجوم أمور جملة لا تفصيل فيها والجملة أسبق إلى النفس من التفصيل دائماً .

٢ - أن يشتمل وجه الشبه على قليل من التفصيل ويكون الشيء به من الأمور التي تتكرر على الحس فيستدعي هذا التكرار سرعة حضورها في الذهن عند إرادة التشبيه وبذلك يزول أثر التفصيل القليل الموجود في وجه الشبه ويصبح التشبيه قريباً مبتذلاً . مثال ذلك : تشبيه الشمس بالمرأة المجاورة في الاستدارة والإشراق ، وتشبيه الثياب ذات

النفوس بأزهار فروخ في اجتماع الألوان ، وتشبيه العيون بالرجس في اجتماع الياض والسواد وتشبيه السيوف بالرق في الإشراق واللمعان فرجه الشبه في هذه التشبيهات به قليل من التفصيل للملاحظة في شيئين ولكن تكرار رؤية الأمور المشبهة بها أثر هذا التفصيل القليل الملاحظ في وجه الشبه وجعل إدراكه سهل التناول قريب المأخذ وقليل التشبيه لذلك قريباً مبتذلاً لاقتضاء تكرار التشبه به على الحس سرعة انتقال الذهن .

٣ - أن يشتمل وجه التشبه على قليل من التفصيل ويكون التشبه به قريب الحضور في الذهن عند حضور المشبه فيه لا ليكرر التشبه به على الحس ولكن لتقرب المناسبة بين الطرفين وتقاربهما في الجنس . فالمعاني تنداعى دائماً في الذهن إذا قربت المناسبة بينهما ومثال ذلك : تشبيه حرة الماء الصغيرة بالكوز وتشبيه الحبة الكبيرة بالسوداء بالإحاصي^(١١) في الشكل والمقدار وتشبيه برج القاهرة بمنارة القلعة . فالتشبه به في هذه التشبيهات يتبادر إلى الذهن عند حضور المشبه فيه لتقرب المناسبة بينهما ولهذا زال أثر التفصيل القليل المشتمل عليه وجه الشبه للملاحظة في شيئين : الشكل والمقدار ، وبقي التشبيه قريباً مبتذلاً ، لا اقتضاء قرب المناسبة بين الطرفين سرعة انتقال الذهن من المشبه إلى المشبه به .

والتشبيه البهيد الغريب :

مالا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر وإطالة وذلك لحفاء وجه الشبه في يادى الأمر ودقته . كقول ابن المعتز في وصف ظهور البرق وحفاته :

وكأن السرى مصحف قمار فانطابعا مسرة وانفتاحا

فرجه الشبه وهو هيئة توالى حركتين في اجتماعين مختلفين ينشأ عن اجتماعهما ظهور وانفتاح وعن الأخرى عفاء وانطباع . لا ينتقل الذهن في إدراكه والوقوف عليه

(١١) الإحاصي جمعها : إحاص وهو شجر له ثمر قليل الطعم .

من التشبيه إلى التشبه به إلا بإطالة النظر وإعمال الفكر لدقته وإغفاله فهو حركة خاصة تحتاج من الأديب أو القارئ إلى أن يغض النظر عما عدلها بما في اليرق من إشراق وما في المصنف من لون حين يفتح القارئ .

العوامل الموجهة لغواية التشبيه :

يعد التشبيه غريباً بعيداً إذا تصف بواحد أو أكثر من الأمور الآتية :

الأول : أن يكون التشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه من الأمور الوهمية كما في تشبيه السنان بأناب الأغول والطلع بربوس الشياطين . أو من المركبات الخيالية كتشبيه عمر الشقيق بأعلام بالقات تشرت على رماح من زرجد فالأمور الوهمية والمركبات الخيالية لا تحقق لوجودها فهي نادرة الحضور في الذهن وقد يكون التشبه به له وجود محقق إلا أنه لا يتكرر على الحس ولا يتغير بالبال إلا بعد تفكير طويل كتشبيه الشمس بالمرأة في كنف الأكل فالمرأة في يد الأكل من الأمور التي لا يقع عليها البصر إلا نادراً فربما قضى الإنسان دهره ولا يتفقد له أن يرى مرأة في يد الأكل . ومن ذلك تشبيه حال الذين حملوا التوراة ثم لم يعملوها بحال الخمار يعمل كتيب العلم في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾^(٦٦) فصورة الخمار يعمل أسفاراً من الصور التي لا تكرر على الحس .. ووجه التشبه من المركبات العقلية التي يتغير استخراجها من الطرفين على غير الخاصة وما من شك في أن نادرة حضور التشبه به في الذهن تقتضي إلغاء وجه التشبه ونسبة إدراكه لأن الوجه وصنف من الطرفين فإذا علم أحد الطرفين ونادر حضوره بالذهن علم وجه التشبه ونادر إدراكه وتعلم على العامة .

^(٦٦) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

الثاني : أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند ذكر المشبه ليعد الصلة بينهما ، من ذلك قول ابن المعتز يصف زهر البنفسج .

ولا زُوْجِيَّةَ ترهبو بزوقتها بين الرياض على حر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت^(١)

فقد شبه زهر البنفسج بأوائل النار في أطراف كبريت ، ولا مناسبة بين الطرفين فالمشبه زهر ندى يفرح عطرا والمشبه به نار يابسة محرقة فهما جنسان متباعدان يندر أن يحضر للمشبه به في الذهن عند حضور للمشبه فيه وقد جمع الشاعر بينهما على الرغم من هذا التباين فاكسب التشبيه غرابة وبعدا . ومن ذلك تشبيه الشعر بالنار والبرق بمصحف القارئ ، وإبرة روق الأذن بقلم أصاب من الدواة مدادا . فالبرق شاع بين الطرفين في هذه التشبيهات كما لا يخفى ولذا كانت تشبيهات غريبة بعيدة .

الثالث : أن يكون وجه الشبه كثير التفصيل . من ذلك ما مر من تشبيه الشمس بالراة في كف الأشل حيث روعي في وجه الشبه الشكل واللون والحركة المضطربة المستمرة التي ينشأ عنها قمرج الضوء .

ومعنى التفصيل في وجه الشبه : إطالة النظر والتأمل في صفات كل من الطرفين لمعرفة ما تقع به المشاركة بينهما وما تقع به المخالفة . ثم تأمل الصفات المشتركة بين الطرفين . هل هي موجودة في كلا الطرفين بدرجة واحدة أم بينهما تفاوت ؟ وهل هذا التفاوت يفسد الغرض من التشبيه ؟ إن كان يفسده فعلى الأديب أن يجمع ويفرق ويثبت ويحذف في صفات كل طرف حتى يستقيم التشبيه ويعتق الغرض الذي يرمى إليه

^(١) اللازوردية : البنفسج وهي لينة تشبهية إلى حمر يسمى اللازورد والفراد تشبه أزهار البنفسج : وترهبو : تنكرو : وحر اليواقيت من إضافة الصفة إلى الوصف وإنما حمل المشبه به أوائل النار في أطراف الكبريت لأنها تكون حمراء صافية لا زرقاء .

فالمراد بالتفصيل إذاً ألا ننظر في صفات الطرفين نظرة إجمالية بل نظرة تفصيلية دقيقة .
ويتضح لنا ذلك في هذه الشواهد .

يقول امرؤ القيس :

حملت ردينيا كأن مسنانه سنا حسب لم يتصل بدخان^(١)

شبه سنان الرمح بسنا الذهب في الإشراف ولكنه لاحظ أن السنا يحوى الدخان الذى يؤثر في وجه الشبه فحذف هذا الدخان وانتزعه من السنا بقوله * لم يتصل بدخان فزاد السنا بهذا تألقاً وضياءً وتم تحقق الشبه بين الطرفين .

وقال أحبة :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كمنقود ملاحية حين لسوركا

شبه الثريا بالمنقود في الهيئة للكونة من : الشكل والمقدار واللون والمساحة المتقاربة بين الأجزاء ولكي يتم هذا الوجه في جانب الشبه به جعله منقود ملاحية وقبده بهذا القيد "حين توركا" وبهذا التفصيل تم تحقق الوجه بين الطرفين . وقال ابن المعتز يصف طلوع القمر .

كانا وضوء الصبح يستعجل الدجى

نظير غرابسا ذا قوادم جسون^(٢)

شبه سواد الليل وقد بدت في جوانبه لمع مشيئة من نور الدجى بغراب أسود في أطراف جناحيه ريشات بيض تظهر لامعة في سواده ووجه الشبه هو الهيئة للكونة من

(١) ردينيا : الرديى : رمح منسوب إلى رديية وهي امرأة كانت تلوم الرماح.. وسنا الذهب : ضوء .

(٢) الدجى : جمع دجية وهي الظلمة ، والقوادم : كواحل ريش الطائر ، والجسون : جمع جون وهو الأبيض أو الأسود والمراد هنا الأبيض .

اجتماع البياض والسواد وأن السواد أخذ يتبدد في عجلة أمام البياض الذي انتشر في حواشيه وجوانبه . وقد غلب الشاعر أن ضوء المصباح يسوق ظلام الليل ويستعجله ولما لم يجد تظلم ذلك في الغراب أضاف إلى صفته أنه كان حبيساً في بند قناتس ثم أظفر فهو يتابع طيراته ويجد فيه .. وحقق ابن المعتز بهذه الإضافة الشبه كاملاً بين الطرفين . ولو أنه اكتفى بذكر الغراب وبياض قوادمه ولم يجعله طائراً أو جعله طائراً من تلقاء نفسه لا عين إزعاج لاحتل التشبيه ولما كان لقوله : " يستعجل الدجى " نظير في التشبيه به .

وقال أبو نواس يصف البازي :

كأن عينيه إذا ما ألقاها قصان قبضا من عقيق أحمر
في هامة غلباء تهدي منسرا كعطقة الجيم بأكف أعسر^(١)

شبه الجزء العلوي الذي يرى من منقار البازي بالعطقة العليا لحرف الجيم وهي التي تهدي من اليسار إلى اليمين ، وقد فصل الشاعر تلخيصاً دقيقاً في مراعاة وجه التشبيه فقال : "عطقة الجيم" ولم يقل كالجيم لأن الجزء الأسفل من المنقار الذي يشبه العطقة السفلى للجيم لا تقع عليه العين وجعل عطقة الجيم مكتوبة بكف أعسر لأن الأعسر يريد من الخناثها عهداً في طرفها الأيمن تعريفاً إلى أسفل يشبه التعرج الذي يتهى به منقار البازي .. ثم أراد أن يؤكد أن التشبيه في الصورتين قد روعي فيه الخط الأعلى فقط من الجيم فقال :

يقول من فيها بعقل فكراً لو زادهما عيناً إلى فناء ورا
فاتصلت بالجيم صارت جعفرأ

^(١) كثر : أدرك ثأره ، وثبها : شفا ، ولغامة : رأس كل شيء وتطلق على الخفة ، والغباء : الثوبية ، تهدي : تقدم ، والمنسر : منقار الطير الخارج ، وعطقة الجيم : خطها الأعلى ، والأعسر : الذي يكتب بيمينه .

فيه بقوله "فانصلت بالجيم" إلى أن السرد العطفة الأولى فقط ونفس إرادة العطفين : الثالثة التي تكون في الجيم التفصلة والثانية التي تجتمع من اليمين إلى اليسار لتصل عطفة الجيم الأولى ببقية حروف الكلمة لأنها وسيلة للوصل ولا يلتفت إليها عند عدم إرادة الوصل . ولذلك هذا التفصيل قال : "يقول من فيها بعقل فكرا" فبه إلى أن بالشبه به حاجة إلى فضل رؤية وإعمال فكر لئتم تحقيق الشبه بين الطرفين .

هذا وتختلف مرتبة التفصيل في وجه الشبه باختلاف الأمور المرحبة والصفات المعنوية في الطرفين . فأدنى مراتبه ما روعي فيه وصف واحد كتشبيه التفتيح بأوائل النار في أطراف كويت بمجامع الخمرة الصالحية التي لا يشوبها لون آخر . وأعلى من هذا ما روعي فيه أمران كاجتماع البياض والسواد في تشبيه غرة الفرس وسط وجهه الأسود بالشرق الصبح في جوانب الليل . وما روعي فيه ثلاثة أمور أعلى مما روعي فيه أمران وهكذا حتى يبلغ الغاية في غر قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا عَثَلُ الْحَيَاةُ الْمَيِّتَا كَمَاءٍ يُزْلَقَا مِنْ السَّمَاءِ فَاسْتَلَقَا بَوْنَاتٍ أَرْضُهَا يُسَاءُ يَتَكَفَّلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَصْلَحَتِ الْأَرْضُ وَغُرَّتْهَا وَازْيُتَّتْ وَهَلْ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاذًا امْرِئًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ﴾^(١) فقد اجتمعت عشر جمل في جانب الشبه به كل جملة منها تقيد وصفا لا تقيد الأخرى وهذه الأوصاف قد تضامت والتحمت لأداء وجه الشبه بين الطرفين وصارت كأنها جملة واحدة بحيث لو حذف منها شيء لأخل ذلك الحذف بالمعنى من التشبيه . وما يلاحظ في الآية الكريمة أن هذه الجمل المتتابعة قد وقعت صفة لاسم نكرة "مساء" ولي أداة التشبيه . ومنه قول النسي رحمته : "الناس كسابل مائة لا تجد فيها راحلة" فجملة "لا تجد فيها راحلة" وقعت صفة لأجل مائة . والسرد : أن الكامل في الناس قليل فكل مائة لا تجد فيها واحدا يوصف بالكمال . وقد بلى أداة التشبيه اسم موصول فقع الجملة بعده صلة له كقوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ كَمَثَلُ الْيَاسْرِ إِسْوَقَ نَارًا فَلَمَّا

(١) سورة يونس ، الآية : ٢٤ .

أعطاهما ما خولته ذهباً الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون^(١١). أو اسم معرفة غير موصول فتكون الجملة بعده مستأنفة جواباً لسؤال مقدر كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتْلَبُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْسَ مَثَلًا﴾^(١٢) فجملة "فمَنْ أَتْلَبُ" وقعت جواباً لسؤال مثار تقديره: ما حانها؟ وسواء ولى الأداة اسم نكرة أو معرفة موصول أو غير موصول فإن وجه الشبه هيئة تركيبية متزعزعة من مجموع الجمل الواقعة بعد الاسم ولا يمكن أن يكون هذا الاسم هو المشبه به لاستحالة استقلاله بالدلالة على المقصود من التشبيه بدون الجمل المذكورة بعده وإنما احتيج إليه ليكون ركيزة تعتمد عليها تلك الجمل المتتالية التي يتكون منها التشبه به.

موازنات:

وبناء على ما تقدم من العوامل الموجبة لغرابة التشبيه وبعبارة يكون قول امرئ القيس في صفة سنان الرمح:

حلفت ودينها كأن سنانها منى لى لم يوصل بدخسان

أعلى طبقة وأكثر غرابة من قول عنترة العبسي في وصف السيف:

يتابع لا يتطسى غيروه بأبيض كالقيس للذهب^(١٣)

وذلك أن كلا من الشاعرين لاحظ عدة أمور في الطرفين يتكون منها وجه الشبه وهي: اللون المخصوص وما فيه من بريق ثم الاهتزاز والاضطراب ولكن امرأ القيس زاد

^(١١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

^(١٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

^(١٣) القيس للذهب: البار الموقدة، والظهور في قوله: يتابع لورده بن حابس وفي قوله: غيروه لفضلة الأسدى وكان لورده ثار عنده، والأبيض: السيف.

فى التفصيل وأمعن فى النظر والتأمل فوجد فى الشبه به صفة لا يتم بها التشبيه وهى الدخان الذى يعلو رأس الشعلة فنفاه وحرد السنه منه وأكسب تشبيهه زيادة فى الغرابة والبعد . ومعلوم أن هنا لا يقع فى خاطر الشاعر لأول وهلة بل لابد له من أن ينعم النظر والتأمل فى أحوال الطرفين فيثبت ويهدف ويجمع ويفرق حتى يستقيم له التشبيه ويكتمل وجه الشبه ، وكذلك يكون بيت بشار :

كان مشار النقع فوق رءوسنا وأسافنا ليل تهاوى كواكبـه

أعلى طبقة وأبعد غرابة من بيت المتنبي :

يزور الأعداى فى مماء عجاجة أمته فى جانيها الكواكب^(١١)

ومن قول كلثوم بن عمرو العناني :

تبلى منابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكبـه البيض الماتـر^(١٢)

وفذلك أن أبـ"الطيب والعتابي اقتصرا فى التفصيل على أن كرىنا عبورة أشياء مشرقة لامعة وسط مسود قائم غلام حالـك . ولكن بشارا زاد فى التفصيل وأمعن فى النظر والتأمل إذ وجد السيوف فى الحركة تتحرك حركات سريعة مضطربة إلى جهات مختلفة فهى تملو وترسب وتستقيم وتخرج وتلاشى فيصدم بعضها بعضها ثم تتفرق ، وهى ذات أشكال مستطيلة .. فعبر عن هذه الدقائق بكلمة واحدة وهى قوله "تهاوى" لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها فى التهاوى استطالة لأشكال وتواقع وتداخل وبهذا اكتمل وجه الشبه وكان تشبيه بشار آمنة

^(١١) المعاجزة : الغبار ، والأسنة جمع سنان وهو نصل فرسح ، والضمير فى قوله : يزور يعود إلى الضمير .

^(١٢) السابك : جمع سبك وهو طرف الحمار ، وسقفا أى خيرا مثارا كالسقف فهو استعارة ، والبيض الماتر : للسيوف القواطع جمع منار .

فى الإبداع والغربة وكذلك يكون قول ابن المعتز فى وصف الأذريون وهو
عباد الشمس :

مَنِّيَا لِرَوْحَاتِ لَنَا مِنْ كَلِّ نَوُورٍ حَالِيَةٍ
عَمِيونَ أَذْرِيونَهُمَا لِلشَّمْسِ فِيهَا كَالِيَةٍ
مَدَاهِنَ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةٍ^(١١)

أوفى تفصيلا وأكثر غربة من قوله فى صفة الأذريون أيضًا :

وطاف بها ساقٍ أدبٍ بِمِزْلٍ كخَبَجٍ عِشَارٍ صَانِعِهِ الْفَتَكُ
وَحُثِّلَ أَذْرِيونَةُ فَوْقَ أَذْنِهِ ككَاسٍ عَقِيقٍ فِي قَرَارَتِهَا مَسَكٌ^(١٢)

فقد شبه فى الأبيات الأولى عيون الأذريون أى : أزهاره التى تتجه إلى الشمس
دائرة معها كأنها ترعاهما ، شبه هذه الأزهار بأوعية صغيرة من الذهب الأصفر فيها بقايا
من دهن أسود مصنوع من جملة أطياب يسمى بالغالية ، وشبه فى البيتين الآخرين : نفس
الزهر وقد تزين به الساقى حاملا إياه فوق أذنه بكأس من العقيق الأحمر فى قرارتها مسك
أسود . وكان التشبيه الأول أفضل وأعجب لأن زهر الأذريون : جسم مستدير يحيط
بجوانبه أوراق متجاوزة صفراء فى بعض أنواعه وحمراء فى البعض الآخر ، وفى وسطه

^(١١) الور : الزهر ، والأذريون : ورد له أوراق حمراء فى وسطه ينبو وارتفاع وقد يكون أصفر ،
وكالية : تنور معها حيث دارت ، اسم فاعل من كالأ ، ومداهن : جمع مدهن وهو حبق الدهن ،
وغالية : أعلاط من الطيب .

^(١٢) المِزْل : ما يصفى به الشراب وهو شبه حلقة الضرع فى اللبن ولحمه يسيل الشراب منه ، والعمار :
الكثير النحول والطرف أى الذى يورد بلا عمل ووجهه التشبه بين المِزْل والمختصر : الاختصار
فيها ، وحمل أَذْرِيونَةُ فوق أذنه : هذه عادة الفرس يمسكون هذه الورود فوق آذانهم ، والعقيق :
حجر أحمر .

قرص أسود اللون يرتفع سواده متناقصاً شيئاً فشيئاً إلى جوانب الأوراق وهو لا يعلو حواف الزهرة بل يكون منخفضاً عن مستوى الأوراق كأنه في قعرها . وتأمل التشبيهين نجد أن ابن المعتز قد راعى اللون فحيث رأى بعض الزهور صفراء جعلها كالذهب وعندما رأى البعض الآخر حمراء جعلها كالمعيق . ولاحظ الشكل المستدير فجعل الزهرة مرة كاللدن ومرة كالكلأ .. وراعى اللون الأسود في وسط الزهرة فجعله مرة غالية ومرة مسكاً . ولاحظ أن هذا السواد لا يعلو حواف الزهرة فجعله مرة بقايا غالية ومرة مسكاً في قرارة الكلأ ، أما ارتفاع السواد في تناقص تدريجياً إلى جوانب الأوراق فقد لاحظته في التشبيه الأول إذ دل عليه بقوله : "بقايا غالية" وبقايا الغالية يكون سوادها إلى جانب القاع كشد ثم يتف تدريجياً كلما ارتفعنا بالاستعمال إلى الحافة وهذا التدرج يساعد عليه ما في دهن الغالية من مرونة ونعومة وتلك ملاحظة دقيقة لم يراعها في التشبيه الثاني إذ دل على السواد فيه بقوله : "في قرارتها مسك" والمسك جامد لا لأن فيه فإذا استقر في القاع ثبت ولم يمتد إلى جوانب الكلأ كما هو شأن الغالية ولذا كان التشبيه الأول أكثر غرابة وأكمل في استيفاء وجه الشبه بين الطرفين .. وكذا يكون قول أبي طالب الرقى :

وكأن أجرام النجوم لوامعا دور نشرق على بساط أزرق
أعلى طبقة وأكثر غرابة من قول ذي الرمة :

كحلاه في سرج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب^(١)

وترجع الغرابة هنا إلى تدرج وجود التشبه به في البيت الأول إذ لا يكاد يرى السرج دوراً منتشرة على بساط أزرق ولكنه كثيراً ما يرى في سوق الصاغة الفضة مجروحة بالذهب إما على طريق الخلط وإما على طريق التحلية والطلاء .. فاليتم الأول أجود

^(١) البرج : أن يكون يامض المين محلقاً بالسواد كنه لا يفتب من سوادها شيء . والتعج : البيضاء الخالص والمراد : أن صفرتها يشوبها يامض خالص وهو محمود عندهم .

ونقرب لهذا من البيت الثاني وليس مرجع الغرابة والجرودة إلى كثرة التفصيل والاستقصاء
كما في المرازقات السابقة بل إلى ندرة وجود المشبه به .

القيمة الفنية للتشبيهات الغريبة :

تعد التشبيهات البعيدة الغريبة من أبلغ التشبيهات وأكفها وأكثرها تأثيراً في
النفس لأنها تحتاج - كما قلنا - إلى إعمال الفكر وإطالة النظر في أحوال الطرفين
والانتشيز في صفاتهما للوقوف على وجه الشبه بينهما والشبه إذا تلب بعد طلب وتفكير
طويل يكون أوقع في النفس وأشد تأثيراً وأرسخ في الذهن وأثبت .

ويفرق بين إعمال الفكر وإطالة النظر الذي يحتاجه التشبيه البعيد وبين إطالة
التفكير في التعقيد الذي يمثل بفصاحة الكلام ؛ لأن إطالة التفكير وإعمال النظر في التشبيه
الغريب إنما هو غرض وراء المعاني اللطيفة والأسرار الدقيقة وذلك أن عدم ظهور وجه
الشبه عند النظرة الأولى لا ينشأ عن خلل في بناء التشبيه وإنما ينشأ من دقة الحس وغرابته
مما يهوج إلى إطالة النظر فيما صنع الشاعر ، هل استقصى الصفات الجامعة بين الطرفين أم
لا ؟ وإذا اشروط هنا شرطاً فهل اشروطه هناك ؟ وهل لهذا الشرط مدخل في التشبيه ؟ وإذا
بالغ في صفة في جانب المشبه فهل راعى هذه المبالغة في الجانب الآخر . وهكذا تدور
في تفكيرنا حول استقصاء جوانب الشبه واستخراج دقائق التشبيه التي لا تظهر لنا عند
النظرة الأولى :

فمثلاً قول البحوي في المديح :

دان على أيدي العفاسة وشاسع	عن كل لد في السدى وضريب
كالبدر أفرط في العلو وضوءه	للعصية السارين جسد قريب

يحتاج منا إلى إطالة النظر والتأمل لندرك أنه أراد بالشسوع في جانب المشبه بعد
المرحلة والمكانة لا بعد المكان ، ونعرف السر في أنه قال في جانب المشبه به أفرط في العلو
ليقابل ما أثبت في جانب المشبه من شدة البعد المعنوي عن الأنداد ، ونقف على هدفه من

المبالغة في قوله : "حد قريب" ليشاكل بين حالتي القرب والبعد في بلوغ كمال منها حد النهاية ، فإطالة النظر إذا إنما هي للوقوف على دقة الصنع وإسراز الحسن وجمال التعبير . أما إطالة التفكير لعدم ظهور المعنى في التعقيد اللفظي فالسبب في ذلك يرجع إلى تحليل واقع في تركيب الكلام بعدم جريانه على قوانين النحو المشهورة في نظام بناء الجملة وترتيب أجزائها بالتقديم والتأخير وغير ذلك ، وفي التعقيد المعنوي يرجع إلى تحليل في استعمال الأساليب المجازية على غير شروطها للرغبة كاستعمال الاستعارة بقرينة خفية لا يتكشف بها المعنى المراد . ولذا كان التعقيد مذموماً معيماً لأننا تطويل النظر فيه حتى نصل إلى المراد بدون فائدة وبلا ثمرة تجنى .

وسائل التصرف في التشبيه القريب بما يجعله غريباً :

يستطيع الأديب المتمكن أن يتصرف في التشبيه القريب المبتذل فيخرجه عن ابتذاله ويحوّله إلى تشبيه غريب بعيد بإحدى الوسائل الآتية :

١ - أن يبتدئ للمتشبه به صفة لا يتأتى وصفه بها ثم يترعرعها منه وينسج على انزعاجها تفضيل التشبه على التشبه به . كقول المتنبي مادحاً :

لم تلق هذا الوجه غمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

في البيت تشبيه ضمني لوجه الممدوح بالشمس . وتشبيه الوجه بالشمس تشبيه قريب مبتذل ولكن المتنبي تصرف فيه بجعله الحياء صفة من صفات الشمس ثم انزعجها منها وجعل الشمس تفقد حياءها بمرآتها على الظهور أمام الممدوح ، وهذا التصرف أكسب التشبيه غرابة وأزال عنه صفة الابتذال والقرب .
وقد يبتدئ الأديب الصفة ولا يترعرعها كقول أبي نواس مادحاً أيضاً :

إن السحاب تستحي إذا نظرت إلى شلال فقامته بما فيها^(١)

(١) البدن : الكرم ، وما في السحاب : هو المطر .

التشبيه في البيت ضمنى كذلك وهو تشبيه للمذبح بالسحاب في الكرم والإخالة ، وتشبيه المذبح بالسحاب تشبيه قريب ميثاق ولكن تصرف أبي نواس وإضافته صفة الاستحياء للسحاب أزال ابتذاله وحوله إلى غريب بعيد والفرق بين هذا التشبيه وبين التشبيه في بيت المتنبي أن الصفة هنا باقية وهناك مسلوكة .

٢ - أن يضيف إلى التشبيه ما يفيد تساوى الطرفين في وجه التشبيه بحيث لا نستطيع أن نحدد أيهما مشبه وأيها مشبه به ..

كقول أبي تمام :

فردت علينا الشمس والليل راغم

بشمس فم من جانب الخدر تطلع

فوالله ما أدري : أحلام نسائم

ألت بنا أم كان في الركب يوشع^(٩٩)

استعار لفظ "الشمس" لحييته الحسناء فهي استعارة مبنية على تشبيه الحسناء بالشمس وتشبيه الحسنان أو وجهيه بالشمس تشبيه قريب ميثاق قصوره أبو تمام بعيدا غريبا بما أضافه إليه من تساؤلات تسوى بين الطرفين مبالغة في إضاءة وجه الحبيبة التي بدت من جانب الخدر فبدت ظلام الليل وبدت جوانب الأفق مضيئة مساطعة وعندئذ

^(٩٩) راغم : اسم فاعل من رغم بمعنى : ذل وإنما حصل هذا اليل لزواله بطلوعها. «الخدر : السر الذي يحد للحارية أو كل ما يوارى به .. ألت : نزلت .. لم كان في الركب يوشع : يشير إلى قصة يوشع بن نون حتى موسى - عليهما السلام - واستبقاه الشمس فقد روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس عاف أن تعقب قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل في المسبب فلا يحمل له القتال فدعا الله فرد الشمس حتى فرغ من قتالهم .

تعجب وتساءل في حيرة : ألعنا الذي أرى حلما ؟ أم وجه الحبيبة أراح ظلمة الليل ؟
أم كان يروى - عليه السلام - في ركب القوم فرد بدعائه الشمس بعد مغيبها ؟ هذا
التشكك وتلك التساؤلات سوت بين الطرفين وحولت التشبيه من قريب مبتدل إلى بعيد
غريب .

٣ - التشبيه المشروط : وهو أن يقيد التشبيه أو التشبيه به بقيد يبرز فضل التشبيه
على التشبيه به .. وذلك كالتقيد بأسلوب الشرط أو الاستثناء أو الاستدراك فمما جاء
بأسلوب الشرط قول رشيد الدين الموطأ :

عزماته مثل النجوم فواقيا لو لم يكن للثاقبات أقول

شبه عزائم المندوح التي تفوق المصابيح بالنجوم التي تلعب الظلام وتبدده ..
وتشبه العزائم بالنجوم قريب مبتدل فصوره الشاعر بهذا الشرط بعيدا غريبا إذ جعل
العزائم تفوق النجوم وتفضلها لأنها نافذة الأثر على الدوام والنجوم أثرها مقصور على
وقت طلوعها دون وقت أنوارها ..

ومنه قول بدیع الزمان الحمذاني :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكيا

لو كان طلس الحيا يطر الذهب

والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت

والأسد لو لم تصد والبحر لو عذب^(١)

فهذه التشبيهات قريبة مبتذلة ولكن الشاعر أزال ابتذالها وحولها إلى تشبيهات
بعيدة بإضافة أساليب الشرط المذكورة .

^(١) الغيث : المطر ، وصوبه : عطاؤه ، والحيا : قوجه ، وطلق الوصه : ضاحكه .

ومما جاء بأسلوب الاستثناء قول أبي تمام :

مهما الوحش إلا أن هاتما أوالس قنا الحسب إلا أن تلك ذوابيل^(٢١)

تشبيه النساء بقر الوحش في جمال العيون وحسنها تشبيه قريب مبتذل وكذلك تشبيههن بالرماح الخطية في اعتدال القامة ولكن إضافة هذا الشرط "الاستثناء" حولت التشبيه من الابتذال إلى الغرابة ، فالسورة يفضلن البقر الوحشي بالأفكس والملاطفة ويفضلن الرماح بالنضارة والنعومة .

ومما جاء بأسلوب الاستدراك قول ابن بابلك :

ألا يا رماض الحزن من أبرق الحمى

تسيمك مسروق ووصفك متحلل

حكيت أبا سعد فشرك نشره

ولكن له صدق المعوى ولك الليل^(٢٢)

شبه في البيت الأول رقة نسيم الريح بركة طبع المندوح وطيب خلقه تشبيها ضمتها مقلوبا .. ثم شبه في البيت الثاني رقة النسيم أيضا بركة طبع المندوح تشبيها صريحا مقلوبا : فشرك نشره ، واستدرك فجعل المندوح أفضل من النسيم لما له من دوام الحياة وتعلق القلوب به ولما للنسيم من اللل والسأم إذا ما لم تحمله الأجساد .. فالتشبيه في البيتين قد تحول من الابتذال والقرب إلى البعد والغرابة بمسبوقين : ما شرط فيه بالاستدراك وبجته مقلوبا .

(٢١) لها : بقر الوحش ، واحدة : مهاة ، والقنا : الرماح واحدة قنة ، والحط : اسم بلد تصنع فيها ، والفوايل : الجافة .

(٢٢) انفرن : الأرض الثقيلة المرتفعة ، وأبرق الحمى : موضع . والنسيم : الرائحة ، والوصف : الضارة والبهجة ، ومتحلل : مدعى .. ونشر : الرائحة .. وصدق المعوى : ثباته ، والليل : السأم .

٤ - قلب التشبيه : وقد يخرج التشبيه عن الابتذال إلى الغرابة بالقلب وادعاء أن التشبيه أعم من التشبيه به في وجه الشبه كقول البحري :

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللغضب نصيب من تشبيها^(١١)

شبه طلعة البدر بمحاسن الركة ، وتشبى الغضب بتشبيها تشبيها ضمنيًا مقولها ، والتشبيه للقلب يفيد البالغة يجعل الأصل في وجه الشبه فرعاً والفرع أصلاً وقد ازدادت هذه البالغة بقوله : "شيء من محاسنها" ونصيب من تشبيها" وكان الشبه بينهما لا يتحقق إلا بتقليل من الحسن وشيء يسير من التشبى وبهذا تحول التشبيه من الابتذال إلى الغرابة . ومنه قول ابن وهيب :

وبدا الصباح كأن غربه وجه الخليفة حين يمتدح^(١٢)

تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح تشبيه قريب مبتذل ولكن الشاعر حوله إلى تشبيه غريب عن طريق القلب بادعاء أن وجه الخليفة أصل في الإشراق والضياء .

٥ - الجمع بين عدة تشبيهات : وكذلك يخرج التشبيه عن الابتذال بجمع عدة تشبيهات تدور كلها في نطاق واحد : كقول البحري :

كأنما يسهم عن لؤلؤ منضد أو سرد أو أقحاح

شبه ثغر المرأة المتسهم باللؤلؤ للنظوم والورد والأقحاح وبهذا الجمع تحول التشبيه إلى الغرابة والبعد .. وكقول امرئ القيس :

(١١) المحاسن : جميع حسن على غير قياس لأنه لا واحد له من لفظه ، والغضب : الغصن ، وتشبيها تماثلها وتنبؤها .

(١٢) الغرة في الأصل : البياض في جهة الفرس وقد استعيرت هنا لبياض الصبح .

له أبطالا ظلي وساقا نعاما وإرخاء مسرحان وتقريب تنقل^(١)

شبه خاضعتي حواءه بخاضعتي الظلي في الضمور وساقيه بساقى النعام في الصلاة والثناة ، وجره بإرخاء المسرحان في السهولة واللين وعذوه في سرعة بتقريب ولد الثعلب وكلها تشبيهات تدور حول القوس فصارت بهذا الجمع بعيدة غريبة . وازدادت لطفًا وحسنًا .

(١) أبطالا الظلي : خاضعتاه ، والمسرحان : القليب ، وإرخاءه : جريه في سهولة ، والفتيل : ولد الثعلب ، وتقريبه : عذوه بأن يرفع يديه معا ويهزها معا عند جريه أو عذوه .

مبحث أدوات التشبيه

أدوات التشبيه : ألفاظ تدل على المماثلة والاشتراك بين أمرين وهي حروف وأسماء وأفعال . فالحروف هي : الكاف وكان : أما الكاف : فهي الأصل لبساطتها وتفيد التشابه في جميع استعمالاتها والأصل فيها أن يليها التشبه به كقوله تعالى : ﴿وَوَلَّى الْجُحَادُ الْمُنَاقَاةَ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١) وكقول العري :

أنت كالشمس في الضياء وإن جاوزت كيونان في علو المكسان^(٢)

فلفظ : "الأعلام" في الآية الكريمة ولفظ "الشمس" في البيت قد وليا الكاف وهما متشبه بهما . فإن وليها غير التشبه به كان مقاديرا بعدها كما في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌ يُجْعَلُونَ أَصَابِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَرَارٌ الْمَوْتِ﴾^(٣) . فالتشبه به في الآية محذوف تقديره : نر كمثل ذوى صيب بدليل قوله في الآية : ﴿يُجْعَلُونَ أَصَابِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ وقوله في الآية قبلها : ﴿يَمُتْلِهِمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾^(٤) ، فالآيات مسوقة لبيان حال المشاغبين فيما يكابدونه من حيرة وشدّة بسبب ظهور نفاقهم بعد أن توهموا أنهم قد آمنوا على حياتهم بأفهام الإسلام وقد مثلوا أو لا بحال من هو في أشد الحاجة إلى النار فاستوفدها فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، ثم مثلوا ثانيا بحال قوم أصابهم مطر شديد فيه ظلمات ورعد وبرق وصواعق مهلكة تهدد حياتهم بالوت وكانوا يتوقعون فيه الفزع والرعباء .

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٤ .

(٢) كيونان : زحل وهو أعلى الكواكب السيارة .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٦٩ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

ونظير ذلك في دعويل الكاف على مشيه به مقدرة قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِجِينَ مَنِ الْنَصَارَى إِنِّي اللَّهُ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ الْنَصَارُ اللَّهُ﴾^(١) . إلا لا شبه بين كون المسلمين أنصار الله وبين قول عيسى ، وإنما الشبه بين كونهم أنصاراً للنبي ﷺ وكون الخوارج أنصاراً لعيسى ، فوجب أن يكون التقدير : كونوا أنصار الله كما كان الخوارج أنصاره حين قال لهم عيسى ابن مريم : من أنصاري إلى الله .

وقد يليها مفرد لا يأتي التشبيه به وذلك إذا كان التشبه به مركباً ويكون هذا المفرد له اتصال وثيق بالتشبه به المركب . كما في قوله تعالى : ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْخَيَافِ الثُّنْيَا كَمَا أَتَزَلَّاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَفَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾^(٢) .

فليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء بل المراد تشبيه حالها في لغزتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بالمقيدة الحاصلة من كون النبات بعد نزول الماء شديد التفسر والاضطرار ثم بعد ذلك تراه قد هيس فطوره الرياح كأن لم يكن ، ووجه التشبه : التلف والهلاك عقب الإعجاب والاستحسان ، فالكاف هنا لم تدخل على التشبه به وهو النبات وإنما دخلت على اللفظ للماء باعتباره عنصراً مهماً في تكوين النبات وأوراقه وفروعه وثماره .

وأما كان فإنها تفيد المشابهة غالباً وذلك إذا كان خبرها جازماً ، وبليها التشبه غير قوله تعالى : ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَمَا هُمْ جَرَاةٌ مُتْتَبِرِينَ﴾^(٣) .

(١) سورة الصف ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٥ .

(٣) سورة القمر ، الآية : ٧ .

وقولنا : كان النجوم مصاييح ، يقول امرؤ القيس :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصاييح رهبان تشب للقبال

شبه النجوم بمصاييح رهبان لقرط ضيائها وتمهد الرهبان لمصاييحهم وقيامهم عليها لتزهر حتى الصباح فكذلك النجوم زاهرة طوال الليل وتتضائل للصباح كتضائل للمصاييح لها . فإذا كان غيرها مشتقا فالأرجح أنها لا تفيد المشابهة وإنما تفيد الفطن بوقوع الخير الذي بعدها نحو قولنا : كان زيدا قائم وكان السماء ممطرة . فالعنى أننا نلطف بقيام زيد ونلطف بمطار السماء لأن قائما صادق على زيد وممطرة صادقة على السماء ولا معنى لتشبيه الشيء بنفسه .

والأسماء التي تفيد التشبيه هي : مثل وشبه ومماثل ومحاك ومشابه ومضاه ونحوها مما يؤدي معنى المشابهة . فإن كان الاسم جامداً وله التشبيه به نحو : هذا الرجل مثل الأسد وشبه البدر وإن كان مشتقا وله التشبيه نحو : أنت مماثل الأسد ومحاك البدر ومشابه عمرًا ومضاه حاتما ، فقد دل الاسم في هذه الأمثلة الضمير العائد على التشبيه .

والأفعال التي تفيد التشبيه هي : شابه وحاكى وبشابه وبشاهى ونحوها من الأفعال المتعدية الدالة على معنى المشابهة . فإن كانت الأفعال لازمة كتشابه ومماثل فإنها لا تدل على التشبيه لأن التشبيه يقتضى إلحاق الأدنى في وجه الشبه بالأعلى حقيقة أو ادعاء وهذه الأفعال اللازمة إنما تدل على وجود التشابه بين الشئين اللتقتضى مساواة كل واحد منهما للآخر في وجه الشبه . فقولنا تشابه عمرو وبكر في الوفاء ، المعنى أنها تساويا فيه وليس أحدهما أعلى منزلة من الآخر . والأمر ليس كذلك إذا قلنا : عمرو يشبه بكرا لأنه يفيد أن بكرا أعلى مرتبة في وجه الشبه من عمرو ولذا شبه به وقد يذكر فعل ينشئ عن التشبيه نحو علم وتيقن إن قرب وجه الشبه وحقق وحسب ومحال وظن إن بعد وجه الشبه عن التحقيق وأعلى عن الإدراك لمقال : علمت محمدا بحرا وتيقنت أنه حاتم وحسبت عمرا أسدا وعلمته حاتما ولفنته إهاسا . وإنما قلنا إن هذه الأفعال تنبئ عن

التشبيه لأن التشبيه في الواقع مستفاد من الأدلة للمقدرة فيه كما في نحو : محمد أسد وعمر بن بحر .

هذا وتختلف أدوات التشبيه في الدلالة عليه فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه : كأنه لو هو ككذا أو يشبه لو يماثل أو شبه ككذا أو علمته بحراً ، ورأيت غيша ، وثبتت أنه حاتم ، ونحو ذلك من الأفعال التي تبين بالتشبيه وتدل على اليقين .. وما قارب الصدق قلت فيه : نراه أو نخاله أو نحسبه أو يكاد ونحوها من الأفعال التي ترشد إلى التشبيه وتدل على الظن والرحمان أو المقاربة ، وقد علمت أن التشبيه لم يقدر بهذه الأفعال وإنما أتيد بأداة مقدرة^(٢١) .

(٢١) انظر عبار الشعر ، ص ٢٤ .

التشبيه المرسل والتشبيه المؤكد

ينقسم التشبيه باعتبار ذكر أداته وحذفها إلى قسمين : تشبيه مرسل وتشبيه مؤكد .

فالتشبيه المرسل : ما ذكرت فيه أداة التشبيه نحو : أنت كالأسد ومنه قوله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّا أَكُولُ﴾^(١) وقوله عز وجل : ﴿مَّا يَلْقَا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكَمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢) وكقول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه

أساريج طيسى أو مساويك إسحل^(٣)

والتشبيه للمؤكد : ما حذفته منه أداة التشبيه كقوله تعالى : ﴿وَنَرَى الْجِبَانَ تَحْصِيهَا جَائِدَةً وَهِيَ تُفْرِقُ السَّحَابِ﴾^(٤) أي : تمر مرًا كتمر السحاب .

كيف تبنى جملة التشبيه المؤكد ؟

يختلف بناء جملة التشبيه للمؤكد باختلاف الصيغ التعريفية التي تدل على التشبيه وهي كثيرة أبرزها ما يلي :

(١) سورة القمل ، الآية : ٥ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٦ .

(٣) تعطر : تناول ، والرحص : اللون وصف لأصبعها ، والشثن : فليلط ، والأساريج : جميع أسروع وهو مرد يكون في البقل والأماكن الرطبة أيض اللون معتدل الطول لساعه الشمس عصر القرى تشبه به أنامل النساء.. وطنى : اسم موضع ، والإسحل : شعر له غصون يستاك بها .

(٤) سورة القمل ، الآية : ٨٨ .

١ - أن يقع التشبه به عبراً للتشبيه سواء كان التشبيه مذكوراً في الكلام كقول

الحماسي :

هم البحور عطشاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقى بهم هُهم^(١)

وقول امرئ القيس :

فحينئذ غربا جلدول في مفاضة كمر الخليلج في صفيح مصوب^(٢)

شبه سيلان الدموع من العينين بسيلان الماء من غربي الجلدول وأداة التشبيه محذوفة وقد وقع التشبيه به عبراً للتشبيه كما في البيت السابق : "هم البحور" فهما تشبيهان مؤكدان ثم شبه سرعة جريان الدموع من العينين بسرعة مر الماء في الخليلج التحليل تشبيها مرسل لأن الأداة المذكورة كما ترى .. أو كان التشبيه مقدرًا كما في قوله تعالى : ﴿حَمَّ كَيْفَ عَثَى لَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣) وكقول عمران بن حطان :

أسد على وفي الخروب نعامه فتخاء تنفس من صفيح الصافر

فالتشبيه مبتدأ محذوف تقديره : هم صم : وهو أسد .. ونعامه وقد وقع التشبيه به

عبراً له .

(١) بهم : واحد بهمة وهو الشجاع الذي لا يدرى كيف يؤتى لاستبهار شاته .

(٢) قريمان : الدولان ، والمفاضة : الأرض الواسعة ، والجلدول : النهر الصغير وأراد به هنا : البحر ، الخليلج : النهر الصغير الذي يتفرع من النهر الأعظم والمتراد به هنا : بحرى الماء إلى الروضة ، والصفيح : حجارة كبيرة على جاني الجلدول لتلا يهدم والصبوب : المنحدر ، وهو أسرع لحوى الماء .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٦٨ .

٢ - أن يقع المشبه به حالا صاحبها هو المشبه كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُنشِرًا وَلَدِيمًا وَذَعِيًّا إِلَىٰ آلِهِ يَاقُوبُ وَيُوسُفُ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(١١) فقد شبه النبي - عليه الصلاة والسلام - بالسراج المنير والمشبه به حال وصاحب الحال هو الضمير المنصوب في قوله تعالى : "أرسلناك" فعائد على النبي - عليه الصلاة والسلام - .

٣ - أن يقع المشبه به مضافا إلى المشبه كقول ابن خلدون الأندلسي :

والريح تعبت بالفصون وقد جرى

ذهب الأصيل على حين الماء^(١٢)

شبه الماء باللحجين وقد وقع المشبه به "اللحجين" مضافا إلى المشبه "الماء" . أما ذهب الأصيل فإن أريد بالأصيل أشعة الشمس قبيل الغروب فهي مشبه والذهب مشبه به ويكون من إضافة المشبه به إلى المشبه وإن أريد بالأصيل : الوقت ، كانت الجملة من قبيل الاستعارة ويكون هدف الشاعر أن يعبر عن صفرة شعاع الشمس في هذا الوقت فشبهه بالذهب واستعار له لفظ الذهب على سبيل الاستعارة التصريحية .. ومنه قول ابن حمديس الصقلي يصف نقوس الخلال :

كأنهم أدهم الإطلام حين لجأ

من أشهب الصبح الذي نعل حافره^(١٣)

(١١) سورة الأحزاب ، الآيات : ٤٥-٤٦ .

(١٢) الأصيل : أراد بها إما أشعة الشمس قبيل الغروب وإما الوقت ما بين العصر والمغرب . واللحجين : القضة .

(١٣) الأدهم : الفرس الأسود ، والأشهب : الفرس الأبيض ، ولما تشبه الليل بالفرس الأدهم والصبح بالفرس الأشهب ، وقد استعمل الفعل الذي يكون في رجل الفرس للهِلال لشابهته له في البقعة والإنعطاف .

شبه ظلام الليل بالفرس الأدهم والصبح بالفرس الأكسهب وقد وقع المشبه به مضافاً إلى المشبه في التشبيهون ثم استعار نعل الخافر للهِلال . وفي البيت تحييل حسن بديع حيث صور الشاعر ثلث معركة بين الليل والصبح انتصر فيها الصبح وفر الليل منزحاً من مطاردة الصبح له واستعان الليل على سرعة الفرار والحرب بإلقاء نعله ليكون ذلك عوناً له على سرعة الفرار والنجاة ، وقد أخذ الشاعر من مختلفات المعركة نعل حافر القرس قشبه به الهلال وبنى على التشبيه استعارته الغريبة .

ومثل قول الشريف الرضي يدعوا الله أن يرطب قبور أحبائه :

أرسي السيم يواذكهم ولا يرحث حوامل المزن في أجداثكم تضع
ولا يزال جنين التبت ترعسه على قبوركم العراضة الهيمع^(١١)

شبه المزن بالحوامل والتبت بالجنين وقد وقع المشبه به وهو "الحوامل" و"الجنين" مضافاً إلى المشبه وهو : "المزن" و "التبت" .

والمعنى : ما زال السحاب المتلح بالقاء الشبه بالحوامل المنتفضة بطونها بالأجنة يسقط على قبوركم ، ولا يزال التبت الأنضر اللوزق الشبه بالأجنة الصغيرة يرويه على قبوركم السحاب المطر .

أما الرضيع والإرضاع فهما ترشيح للتشبيه ويجوز أن يجعل كلا منهما استعارة مستقلة بأن تشبه سقوط الأمطار من السحاب بوضع المراكب حنينها . وتغذية الماء النازل من السحاب للنبات بإرضاع الأم ولذا بالذين ثم حذف المشبه واشتق من المشبه به "الرضيع والإرضاع" : تضع وترضع على سبيل الاستعارة التيمية . ومنه قول الجحوى :

عصام صحاح لا يحسب له حبا ومسر حرب لا يضيغ له وتر^(١٢)

^(١١) أرسي : ثبت وهي جملة دفاتية . والمزن : السحاب ذو الماء ، والأحداث : القبور ، والعراضة : السحاب العريض والطيح : المطر .

^(١٢) الصحاح : لغوه والكرم ، ومسر الحرب : مشعلها ، والوتر : الخنجر .

شبه السماح بالغمام وقد جاء المشبه به "الغمام" مضافاً إلى التشبيه وهو "السماح".

٤ - أن يقع التشبيه والمشيبه به مفعولين للفعل من الأفعال التي تنصب مفعولين مثل علم ورأى وحسب وظن وحال ونحوها فهذه الأفعال تيسر بالتشبيه وترشد إليه وليس أدوات إلى الأداة تكون مقدرة .. من ذلك قولنا : علمت محمداً بحراً ورأيت أسداً وحسبت الرجل شمساً وعلمته يدراً وغلننته كوكباً . فقد وقع كل من التشبيه والمشيبه به مفعولين للأفعال المذكورة وهذه الأفعال قد أثبتت بالتشبيه ، أما الأداة فهي مقدرة والتقدير : علمت محمداً كالبحر .. وكالأسد .. إلخ .

ومن ذلك قول البحري :

وإذا الأسنه خالطتها خيلها فيها خيال كواكب في الماء^(١)

شبه الأسنه إذا خالطتها الدروع بخيال الكواكب يبدو في الماء بجامع الصفاء واللمعان فالمشيبه هو الضمير المنصوب في "خيلها" المعالدة على الأسنه مع الجار والمجرور "فيها" والضمير في "فيها" يعود إلى الدروع . والتشبيه به : "خيال كواكب في الماء" ولا يقتضي أن التشبيه والمشيبه به قد وقعاً مفعولين للفعل "خال" الذي أرشد إلى التشبيه وأن أداة التشبيه هي الكاف المقدرة والتقدير : خيلها فيها كخيال كواكب في الماء .

^(١) الأسنه : الرماح ، والضمير في خالطتها يعود إلى الدروع وفي خيلها للأسنه . يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروع بخيال الكواكب حين يبدو في الماء لأن الأسنه تكون لاسمه كالكواكب والدروع تكون صافيه كاللؤلؤ .

مبحث أغراض التشبيه

هذا هو الركن الخامس من أركان التشبيه وهو الغرض منه كإسباب والدواعي التي تعمل الأديب على عقد التشبيه كإغاية التي يرعى إليها البليغ بتشبيهه ويقصد إلى تحقيقها كإفادة التي يريد المتكلم أن يوصلها إلى السامع باستخدام الأسلوب التشبيهي . وهذه الأغراض تعود في الغالب إلى التشبيه وقد يرجع بعضها إلى التشبيه به .

الأغراض العائدة على التشبيه :

١ - بيان إمكان وجوده وذلك إذا كان التشبيه من الأمور الغريبة التي يستبعد حصولها ويدعى استحالتها ، كما في قول المتنبي :

فإن تفق الأنعام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

ادعى المتنبي أن مجروحته قد تناهى في الصفات الفاضلة إلى حد صار به جنسا منفردا بناته أشرف من جنس الإنسان وهو في الواقع منهم ، وهذه دعوى بعيدة غريبة تحتاج إلى بيان إمكاناتها وإثبات أن لها نظيرا في الموجودات الثابتة .. ولذا قال : "فإن المسك بعض دم الغزال" وعلى الرغم من أنه من جنس الدماء إلا أنه تناهى في الصفات الشريفة إلى حد يتوهم لأجله أنه نوع آخر غير الدم لتفوقه بشرف رائحته .. والتشبيه في البيت ضمنى ، التشبيه : حال المدحوح في تفوقه على أهل زمانه تفوقا صار به كأنه جنس منفصل عنهم ، والتشبيه به : حال المسك في تفوقه بشرف رائحته على الدماء حتى صار كأنه جنس آخر .

ووجه التشبيه : خروج بعض أفراد الجنس بفضائله عن جنسه مع ملاحظة الأصل في بقاءه داخل الجنس بالاتساق إليه .

والغرض من التشبيه : بيان إمكان التشبيه بإثبات نظيره له كما بينا .

ومن ذلك قول البحري :

دان على أيدي العفاة وشاسع عن كل ند في الندى وحريب
كالبدر أفرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جسد فريب

وصف المذبح بصفتين متناقضتين في الظاهر ثم زال هذا التناقض الظاهري
بالشبه به الذي بين أن ما ادعاه الشاعر نظروا في الوجود .

وقول ابن الرومي :

قالوا : أبو الصقر من شيان قلت لهم

كلا لعمري ولكن منه شيان

كم من أب قد علا بيان ذرا شرف

كمما علا برسول الله عدنان

فالشبه : أبو الصقر وقد شرفت به قبلكه وتلك دعوى غريبة لأن العادة أن
يشرف الفرع بالأصل لا العكس ولكن الشبه به وهو رسول الله ﷺ وقد شرفت به
عدنان أي العرب قاطبة قد أزال هذه الغرابة إذ بين أن ما نظروا في الوجود .

٢ - بيان حال الشبه بمعنى إيضاح صفته وذلك إذا كانت صفة الشبه مجهولة
وحالها غير معلومة للمخاطب فيقصد التكلم إلى بيان هذه الصفة وإيضاح تلك الحال ..
من ذلك قول الأحمسي :

كان مشيتها من بيت جارتها

مسر السحابة لا ريث ولا عجل

شبه مشية المرأة من بيت الجارة حين تزورها بحرور السحابة التي تعمل المطر
والغرض بيان حال الشبه . وقول الآخر :

كان سهيلا والتجسوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

شبه هيئة سهيل وقد تقدم النجوم بهيئة الإسماء بتقديم الصفوف في الصلاة والغرض بيان حال التشبيه وإبراز هيئته .

ومن ذلك تشبيه الشعر باللؤلؤ في السواد والوجه بالبرق في الإشراف والخد بالورد في الحمرة . فهذه التشبيهات أمثلة للمخاطب لكون الشعر وإشراف الوجه وحمرة الخد فالتضخيم لجهة التشبيه وباتت عنده صفته .

٣ - بيان مقدار الخيال وذلك إذا كانت صفته معلومة للمخاطب والمجهول مقدارها من القوة والضعف أو الزيادة والنقصان .

من ذلك قولنا : سواد هذا الشعر كسواد الليل وحمرة هذا الوجه كحمرة الورد . فاللخاطب يدرك من التشبيه هنا مقدار السواد والحمرة لا نفس الصفة ، ومنه قول الحسن بن وهب :

ممداد مثل خافضة الغراب وأقلام كثر فقه الحساد^(١)
فسواد المداد معلوم والتشبيه أماد شدته ورهافة الأقلام معروفة والتشبيه أماد عظم دقتها ، وقول الأسر :

فأصبحت من ليلي اللنداء كقبايض على الماء خاتنه فزوج الأصابع
أماد التشبيه مقدار حاله في علاقته بفتاته وأنه بلغ أقصى غاية في الحرمان وعيبة الأمل .

٤ - تأكيد حال التشبيه وتقريرها في نفس السامع . وذلك إذا كان كل من الحال ومقدارها معلومين وكريد بالتشبيه تأكيد انصاف التشبيه بالصفة كتشبيه من لا يحصل

^(١) الخاتمة : إحدى ريشات عشر في مقدم الجناح يقال لها حواف . والرهفة : الدقة ، والمداد جمع حديد وهو القاطع يحن السيف القواطع .

من سحبه على طائل بالراقم على الماء وبالقابض عليه . وتشبيه الحمار الذي يتخبط في أمره بالثقل في صحراء مظلمة . ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْبَرْقَ فَوَقَّعْنَاهُمْ كَأَنَّهِ ظُلُمٌ﴾^(١) ، بين التشبيه في الآية ما لم نقر به العادة وهو رفع جبل الطور فوق رؤوس اليهود بما حشرت به العادة وهو الغمامة أو الظلمة وذلك لتأكيد وتقرير هذا الأمر الحاصل .

وقول ابن الرومي :

يسأل الوعد للأخلاء مصحبا وأبى بعد ذلك بدل العطاء
فلسدا كالحلاف يسوق للعبي سن ويأبى الإثمار كل الإساءة^(٢)

فالشاعر بين في البيت الأول صفة للشبه ومقدارها من بدل الوعد وعدم الوفاء بها ثم جاء بالشبه به في البيت الثاني ليقرر ذلك ويؤكدده .

٥ - تزيين المشبه وتجميله . وذلك عند إرادة مدحه والوعظ فيه .

كقول الشافعي ماحدا :

فيا لك خمس والملك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
وقول الآخر يصف حارية سوداء :

أكسبها الحسب أنها صيغت صيغة حب الللوب والحدق
أبرز التشبيه في البيت تزيين المشبه للتزيين فيه .

٦ - تشويه المشبه وتقيحه وذلك عند إرادة الذم والتقصير منه كقول الشاعر :

وإذا أشار محمدا فكأنه قسرد يقهقه أو عجوز تلطم

^(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧١ .

^(٢) الحلاف : صنف من المصنفات وليس به . وهو عروق ولا يضر منى حلاته ؛ لأن السيل يأتي به سببا فيبت من حلاته كسبله .

وقول الآخر في وصف مغبها صوته :

وإن شئنا قصوته صوت دجاجة يمسك

وكقوله في تشبيه الأنامل وتقيحها :

وترى أناملها دبست على مزمارها كخناس دبست على أوتار

فهذه التشبيهات قد أبرزت المشبه في صورة مشرقة قبيحة . وقد أشار ابن الرومي إلى الغرضين السابقين بقوله :

تقول هذا مجاج النحل قدحه وإن تعب قلت ذا لي الزنايبور^(١)

فعد إرادة تزيين فريق وتجميله تصفه مجاج النحل وعند إرادة تقيحه والتنفير منه تشبهه بقى الزنايبور .

٧ - إثارة الشعور باستحسان المشبه واستطرافه : وذلك بأن يكون المشبه به مما يندر عظمه بالبال لكونه لا وجود له في الواقع أو للبعد بين المشبه والمشبه به في الجنس . فيظهر المشبه عندئذ في صورة الشيء العجيب الذي يثير في النفس كوامن الاستحسان والإعجاب . من ذلك تشبيه فحم فيه حجر متقد يبحر من المسك موجه الذهب ، وتشبيه حجر الشقيق بأعلام من ياقوت منشورة على رماح من زبرجد ، وتشبيه الفيلوفر بدبابيس مسجد قطبها من زبرجد ، وتشبيه النجوم في أديم السماء بدرر نثرت على بساط أزرق . ففي هذه التشبيهات نجد المشبه به من المركبات الخيالية التي يندر عظمها بالذهن ولذا يبرز المشبه في صورة عجيبة ممتعة تثير في النفس كوامن الاستحسان والإعجاب والاستطراف ومن التشبيهات التي جمع فيها الشاعر بين طرفين

^(١) الفاج : فريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل : عسله ، والزنايبور جمع زنبور وهو : ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

متباعدين في الجنس فأتار بهذا الجمع استحسان النفس واستطرافها للمشبه ، تشبيه الثريا بمنقود العنب المنور - وتشبيه الريق بمصحف القارئ - وتشبيه زهر البنفسج بأوائل الشار في أطراف كويت وتشبيه الفرس بملمود الصخر^(١) .

فمجمع المشبه به في هذه التشبيهات من جنس بعيد عن جنس المشبه يجعل حضور المشبه به وخطوره باليال نادراً عند حضور المشبه فيه ، الأمر الذي يحتاج من الأديب إلى إطالة النظر ليجمع بين الطرفين المتباعدين ومن هنا كان استحسان المشبه واستطرافه .

ومما جاء من ذلك أيضا قول عدى بن الرقاع :

ترجى أغشن كأن يسرة رواقه قلم أصوات من الدواة مدادها^(٢)

شبه الشاعر طرف قرن الظبية بقلم أصاب من الدواة مداداً ولا يخطر ببال أحد وبخاصة إذا كان يلوياً أما لم يمارس الكتابة والقلم ، لا يخطر بهاله عندما يرى قرن الظبية أقلام ومداد الدواة ولذلك نجد جريراً قد أشفق على عدى حين سمع الشطر الأول من البيت وقال : ماذا يقول هذا الأعرابي الجلف بعد ذلك ويم يشبه ؟ فلما قال : "قلم أصاب من الدواة مدادها" فحاه بالمشبه به من مكان أبعد ما يكون صلة بالمشبه مع إحكام وجه المشبه بين الطرفين تحولت شفقة جرير على عدى إلى حسد له لأنه أحس بقطعه وعنفوته على الإتيان بما لا يستطيع هو أن يأتي به^(٣) .

(١) قد مررت بك هذا التشبيهات فارجع إليها .

(٢) ترعى : تسوق والضمير للظبية ، والأغشن : الذي في صوته غنة وهو ولعها ، والروق : القرون ، ويقرنه : طرفه .

(٣) النظر الإيضاح ، حد ٣ من ٤٣ .

وهكذا كلما تباعد الطرفان في المجلس أثار التشبيه في النفس كرامن الاستحسان والاستطراف لأنه يرى الشبان مثلين متباينين ومختلفين مؤثلمين ويرى القصور الواحدة في السماء والأرض وفي خلقه الإنسان وحلال الروض ، ومبنى الطباع على أن الشيء إذا برز من مكان لم يبعد ظهوره منه وخرج من موضع ليس يبعد له كانت النفس به أشغف وأعجب . وأعجب من هذا إذا شبه الشيء الواحد بضدين في آن واحد كما يقال في الممدوح : هو حياة لأوليائه موت لأعدائه وكقول أبي علي محمد بن الحسين :

أنا ناز في مرتقى نظر الحبا سد ماء جبار مع الإخوان
وقول أبي تمام في صفة الشيب :

له منظر في العين أبيض لاصح ولكنه في القلب أسود أسفع^(١)

وتشبيه الشيء الواحد بضدين يبرز للشبه في صورة عجيبة غريبة ويبرز في النفس كرامن الاستحسان والتعجب والاستطراف^(٢) .

ما الذي يشوب في وجه الشبه لتحقيق تلك الأغراض ؟

يرى بعض البلاغيين أن تحقيق تلك الأغراض وإفادتها تأمة يقتضي أن يكون وجود وجه الشبه في الشيء به أقوى وأتم وأشهر وأعرف من وجوده في الشيء . فإذا قلنا : هذا الرجل كالأسد شجاعة ، وجب أن يكون وجود الشجاعة في الأسد أقوى وأكمل من وجودها في الرجل الشجاع وكذا يشوب أن يكون اتصاف الأسد بها أشهر وأعرف عند الناس وأظهر وأوضح لديهم من اتصاف الرجل الشجاع بها^(٣) .

(١) الأسفع : الأسود المشرب بحمرة والاسم منه : السفعة .

(٢) انظر أثير البلاغة ، ج ١ ص ٢٤٦-٢٤٨ .

(٣) انظر الإيضاح ، ج ٣ ص ٤٠ .

ولكن الأرجح وما عليه أكثر البلاغيين أن هذا الحكم ليس على إطلاقه فالذى يشترط في وجه الشبه كى تتحقق هذه الأغراض أن يكون وجوده في الشبه به كاشهر وأعرف وأظهر وأوضح لأننا نلحق الغامض بالواضح كى يتضح الغامض فإذا كان الوجه في الشبه به أقل وضوحا منه في الشبه ما صلح أن يكون بئانا له . أما من حيث القوة والكمال فالأمر يختلف حسب الغرض المراد من التشبيه فإذا كان الغرض تقدير وتأكيد ثبوت الصفة فلا بد أن يكون وجه الشبه أقوى وأعم في الشبه به من المشبه لأن الضعيف لا يصلح أن يكون مؤكداً ومقرراً لما هو أكمل منه وأقوى . وإذا كان الغرض بيان المقتدار فهو يحتاج إلى تساوى الطرفين في وجه الشبه كى يتضح المقتدار ولذا ينبغي أن يكون للشبه والمشبه به على قدر سواء في الانصاف بوجه الشبه . وإذا كان الغرض بيان إمكانية الشبه فيكنى لإثبات إمكانية أن يوجد للشبه به وأن يحصل في الخارج قريبا كان أو بعيدا . كما إذا كان الغرض تزيين الشبه أو تقيحه أو استطرافه أو بيان حاله فيكفى لتحقيق هذه الأغراض وضوح وجه الشبه في المشبه به دون حاجة إلى زيادته وقوته ، بل قد يكون وجه الشبه في المشبه أقوى وأكمل منه في الشبه به كما في قوله تعالى : ﴿لَا تَلَوُا السُّجُودَ وَالْأَرْضَ مَثَلُ نُورٍ كَمِثْكَافٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾^(١) إذا لا يتأني أن يكون نور المصباح في المشكاة أقوى وأكمل من نور الله - جل جلاله - ولا مساويا له بل هو أضعف منه وأنقص كما لا يخفى .

ومن ذلك قول أبي تمام في مدح أحمد بن المعتصم :

إقدام عمرو في صحابة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

^(١) سورة النور ، الآية : ٢٥ .

فالقيام يقتضى أن يكون اتصاف الأمير أحمد بوجه الشبه أقوى وأتم من اتصاف هؤلاء المذكورين به ولذا لما أخذ على أبي تمام أن الأمير أكثر من أن يشبه فى ذلك هؤلاء أشد مرتعلاً .

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروفاً فى السدى والباس
فإنه قد ضرب الأقل لسوره مثلاً من المشكاة والسياس

وعلاصة القول فى هذا أن وجه التشبه من حيث الشهرة والوضوح يجب أن يكون فى التشبه به أشهر وأعرف وأظهر وأوضح حتى يتحقق الغرض من التشبيه أياً كان هذا الغرض ومن حيث القوة والكمال يختلف وجوده حسب الغرض المراد من التشبيه كما بينا .

نقد وموازنة :

وبناء على ما افترط فى وجه الشبه ضعف النقاد قول البحتري فى وصف غلام الليل وبيان مقدار سواده :

على باب قنسرين والليل لا طبع جوانبه من ظلمة بمسند^(٦٦)

أراد أنه سهر مع إسرته على باب هذه المدينة بعد أن نام الناس وغابت أعين الرقباء واسودت جوانب الأفق ثم أراد أن يعبر عن شدة سواد الليل ومقدار حلو كنهه فشبهه بالمداد الأسود والمداد كحل شهرة فى صفة السواد من الليل كما أنه أثقل منه فى شدة السواد وبهذا لا يكون التشبيه محققاً للغرض منه وهو بيان مقدار الصفة فى التشبه . واستحسنوا فى ذلك قول ابن الرومى :

حيز أبى حلفى لهاب الليل كأنه السوان دهم الخيل

^(٦٦) قنسرين : مدينة مشهورة بالقام قرب حلب .

يسجل للإحسان أى سجل بغير وزن وبغير كيل^(١)

حيث شبه الحبر بقلعة الليل فحقق بذلك الغرض من التشبيه وهو بيان مقدار سواد الحبر واستوفى الشرط الذى يقتضيه بيان المقدار من كون وجه الشبه فى المشبه به أشهر وأظهر إذا الليل أشهر فى الظلام من الحبر ، ومن وجوده على التساوى فى الشدة فى كل منهما . لأن الشاعر أراد المبالغة فى وصف الحبر بالسواد ، فسواد الحبر يساوى فى مقداره سواد الليل بناء على ما أراده الشاعر من المبالغة وإلا فإن سواد الليل أشد .

الأغراض العائدة على المشبه به :

يعود الغرض من التشبيه على المشبه به عند قلب التشبيه . والتشبيه المقلوب هو الذى يجعل فيه ما هو الأصل فى وجه الشبه مشبهًا وما هو المقلوب مشبهًا به . فهو يقوم أساسًا على الغرض والتحليل والادعاء بجعل ما هو فرع فى وجه الشبه أصلًا فيه وما هو أصل فرعًا قصدًا إلى المبالغة فى ثبوت وجه الشبه للمقلوب الذى صار أصلًا . ولذا فإن الغرض العائد على التشبه به فى التشبيه المقلوب هو فى الواقع عائد على التشبه ، لأن المشبه به كان فى الأصل مشبهًا قبل أن يقرب التشبيه .

وأهم هذه الأغراض ما يلى :

١ - المبالغة فى اتصاف المشبه به بوجه الشبه وإيهام أن الوجه فى المشبه به أشهر وأقوى منه فى المشبه .

^(١) لعب الليل : الراد : غلظة الليل وجعلها لعلًا ليحاش بينها وبين ما فى الحبر من سيولة . ودعم الخيل : سودها .

من ذلك قول ابن وهيب في مدح الخليفة المؤمن :

وسلما الصباح كأن غرقه وجه الخليفة حين يتسبح

جعل ما هو أصل في الضياء وهو الصباح مشبها وما هو قرع فيه وهو وجه الخليفة مشبها به قصدا إلى المبالغة في إعلاء شأن المؤمن وتأكيده مدحه بإشراق الوجه .
وقول البحري :

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تنهيا

جعل ما هو الأصل في وجه الشبه وهو : طلعة البدر والقضيب مشبها وما هو القرع فيه وهو محاسن الفتاة وتنهيا مشبها به بهدف المبالغة في إثبات الوجه للمشبه به ثم ازدادت هذه المبالغة بشيء خارج عن إضافة التشبيه وهو جعل ما في البدر وما في القضيب شيئا قليلا ونذرا يسيرا مما يوجد في الفتاة . "شيء من محاسنها . نصيب من تنهيا" ... ومنه قول الآخر :

رب ليس قطعته كصندوق وفراق ما كان فيه وداع

جعل الصندوق أصلا في السواد والليل فرعا فيه وإن كان وجود السواد في الصندوق والفراق على طريق التحييل وفي الليل على جهة الحقيقة . ومنه قول الله - عز وجل - : ﴿وَأَمَّا النَّارُ فَيُفْلِلُ الرَّبُّ﴾^(١) . جعل مستحلوا الربا البيع فرعا في الإباحة والحل ، والربا أصلا فهما وذلك قصدا إلى المبالغة في إثبات إباحة الربا واستجابة لأطماع تجوسهم وشدة حرصهم على جمع المال من أي طريق . وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا كُمْ لَا تَخْلُقْ﴾^(٢) جعلهم الله لتمامهم في عبادة غير الله وتسميتهم لهذه

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٧ .

المعبودات آلهة بمنزلة من يعتقد أن من لا يخلق أحق بالعبادة ممن يخلق فرعا ، ولذلك جعل من لا يخلق أصلاً في استحقاق العبادة قسبه به ، وجعل من يخلق مشبهاً على طريق التشبيه القلوب مبالغة في تصوير جهلهم وعنادهم في الشرك . وكان الأصل أن ينكر عليهم جعلهم غير الخالق شبيهاً بالخالق في استحقاق العبادة .

٢ - بيان شدة الحاجة إلى المشبه به كتشبيه الخالق "اليد" في إشراقه واستدارته بالرخيف . وتشبيهه المثلث في طيب رائحته بالشواء ، وذلك تشبيهاً إلى شدة حاجته للرغيف والشواء ويسمى هذا الغرض بالمظهر المطلوب ، وهو لا يحسن إلا في مقام الطمع في حصول الشيء الذي جعل مشبهاً به .

موازنة :

وردت تعبيرات التشبيه فيها ضمنى وتفيد هذه التعبيرات المبالغة في المديح بإشراق الوجه وإضاءته كقولهم : لا أدرى أوجهه أنور أم الصبح . وغرته أضوأ أم اليد ونحو ذلك مما يفيد المساواة في الإشراق والإضاءة بين الطرفين حتى أصبح من الصعب التفريق بينهما بالزيادة أو النقصان . كما ورد قولهم إذا أرادوا الإفراط في المبالغة : نور الصباح يخفى في ضوء حبيته ونور الشمس مسروق من نور وجهه ونحو ذلك مما يفيد أن نور الوجه واليمين تقاروا في الإضاءة والإشراق نور الصباح ونور الشمس . وعندما تقارن بين المبالغة في هذه الأساليب والمبالغة في بيت ابن وهيب .

وبسلا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح

يُحد أن المبالغة في البيت قد فاقت المبالغة في هذه الأساليب وذلك أنه في التكاليف الأولى وقتت المبالغة عند حد المساواة بين وجه الممدوح والصبح وبين غرته واليد في الإشراق والإضاءة فلم يصب إلى مرتبة التشبيه في البيت الذي أفاد أصالة وجه الخليفة في الإشراق وجعل نور الصباح مقبلاً عليه . وفي القولين الآخرين جاءت المبالغة على نفس القدر الذي جاءت عليه في البيت مع قارى دقيق له اعتباره وهو أن المبالغة في التكاليف

مبالغة صريحة مكشوفة ليست مبنية على أصل مسلم في عقول الناس لأنها سبقت
بأسلوب الخير العام المتعرض للصدق والكذب . أما المبالغة في البيت فهي مبالغة مستترة
خفية حيث بنيت على أصل ثابت في عقول الناس وهو أن المشبه به في كل تشبيه أصل
في وجه الشبه والمشبه مقيس عليه . فمخرج المبالغة عن طريق التشبيه يجعل السامع يتلقاها
بالقبول والامتحسان لبنائها على أصل معتبر وطريق متبعة . .

التشابه

تأمل التشبيهات المقدمة في أغراض التشبيه نجد أن الناقص من وجه الشبه قد أُلحق بالزايد فيه بناء على ماقرر من أن وجه الشبه يجب أن يكون أكثر وضوحاً وظهوراً في المشبه به منه في المشبه . وفي بعض الأغراض يجب أن يكون أقوى وأهم سواء كان وضوحه وتمامه حقيقياً كما في الأغراض المعاللة على المشبه أو ادعائياً كما في الأغراض المعاللة على المشبه به ... فإذا لم يقصد بالتشبيه إلحاق الناقص بالكامل بل قصد تساوي الطرفين في وجه الشبه بحيث يصلح كل واحد منهما لأن يكون مثبهاً ومشبهاً به دون ترجيح لأحدهما على الآخر .. فالأحسن عندنا العدول عن صيغة التشبيه إلى صيغة التشابه ، كما في قول أبي إسحاق الصائى :

تشابه دعوى إذ جرى ومذاقضى فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
فوالله ما أدرى أياهما أسبلت جفوني أم من عروني كنت أشرب (١)

أراد أن الدمع والمذاق تساويان في الحيرة أو في الصفاء مساواة جعلته لا يستطيع أن يميز بينهما ولذا عدل عن التشبيه واستخدم صيغة التشابه وقد أكد هذه المساواة بالبيت الثاني الذي أعاد وقوعه في الحيرة وعدم التمييز بين الدمع للسكوب والخمر للمشربة . ومنه قول صاحب بن عباد في الخمر أيضاً :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابهها فتشاكل الأمر
فكأنما حشر ولا قسح وكأنما قدح ولا حشر (٢)

١ - المذاعة : القصر حيث بذلك لأنه لا شراب يستطاع إقامة شربه غيره .. والقوة : الدمع . والتشابه يسون الخمر والدمع إما في الحيرة فيكون ادعائياً وإما في الصفاء فيكون حقيقياً .
٢ - القدح فكأنش ... وكأن في البيت فتشاكل التشابه لا التشبيه ...

ادعى المساواة بين الحمر والكأس في الصفاء فعدل عن التشبيه إلى التشابه ثم أكد هذه المساواة بالبيت الثاني الذي أفاد أنهما أشكلا عليه فلم يستطع أن يميز أحدهما من الآخر ..

ويبرز عند إرادة التساوي بين الطرفين في الصفة استخدام صيغة التشبيه لأن العنود عنها إلى التشابه - كما قلنا - على جهة الأفضلية والاستحسان ، ولذا حاز استخدام صيغة التشبيه عند إرادة التساوي بين الطرفين بقطع النظر عن زيادة وجه التشبيه في أحدهما عن الآخر .. كتشبيه غرة القوس بالصبح بقصد المساواة بينهما في وجه الشبه وهو "ظهور منور في مظلم" وقطع النظر عما يوجد من تفاوت بين قوة الإشراق وسعة مناه في الطرفين .. وكذا تشبيه الصبح بغرة القوس دون أن تعد ذلك من التشبيه المقلوب الذي يقتضى زيادة الياغة. وتشبيه الشمس بالمرأة المجلوة والمرأة المجلوة بالشمس فحرد اجتماعهما في الاستدارة والبالو دون نظر إلى ما بين نور الشمس ونور المرأة من تفاوت .. كتشبيه الشمس بالدينار الخارج من السكة في قول ابن المعتز :

وكان الشمس الميرة دينا ر جلته حدالده الضراب (١)

وتشبيه الدينار بالشمس دون نظر إلى ما بينهما من تفاوت في الحجم ومقدار التألؤ... وكذا تشبيه ظهور ضوء الصبح بين غلام الليل بعلم أبيض على دياج أسود في قول ابن المعتز :

والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم (٢)

(١) حدالده الضراب ، الزام بها آلات فسك .

(٢) الله : كل ترب حديد أو حروب مقلتا .. وفزاز : علم القرب .. والرقوم : المعطط

فقد نظر إلى مجرد حصول يابض في سواد أكثر منه ولم ينظر إلى التفاوت بين مقدار البياض في الصبح ومقداره في العلم الأبيض... وربما سأل سائل : إذا كان الطرفان متساويين في وجه الشبه بغض النظر عما بينهما من زيادة أو نقصان فما الذي اقتضى جعل غرة الفرس مشبها والصبح مشبها به ثم العكس أو جعل الشمس مشبها والمرأة مشبهاً به ثم قلب التشبيه ما دامت المبالغة بالقلب غير مقصودة ؟..

والجواب : أن الذي اقتضى ذلك ليس ملاحظة ما بين الطرفين من زيادة أو نقصان وإنما ملاحظة أخرى ترجع إلى مقام الكلام ومنازل الحديث فإذا كان الحديث يدور حول الفرس جعلت غرته مشبهاً ، وإذا كان يدور حول الصباح جعل هو الشبه لأن الحديث عنه والغرض من التشبيه متروجه إليه .. وكذا القول في الشمس والمرأة أو الشمس والدينار فإن كان الحديث يدور حول الشمس قدمت وجعلت هي الشبه لأن العناية منصبة عليها والحديث إنما هو عنها وإن دار الحديث حول الدينار أو حول المرأة قدم ما يدور حوله الحديث وجعل مشبهاً لأنه موضع الاهتمام والغرض من التشبيه متروجه إليه...

التشبيه الحسن والتشبيه القبيح

يتقسم التشبيه باعتبار الغرض منه إلى قسمين : تشبيه حسن مقبول وتشبيه قبيح مردود .

فالحسن المقبول : ما كان محققاً للغرض الذي عقد التشبيه من أجله وانما به يمكن يكون وجه الشبه أشهر وأعرف في الشبه به وذلك في كل غرض من أغراضه . وأتم وأكمل إذا أريد تأكيد الصفة وتقريرها في الشبه كتشبيه السفن بالجمال والرجل الضخم

بالفيل . وإذا كان الغرض بيان المقدار فيجب أن يكون الوجه على درجة واحدة في الطرفين . وإن كان الهدف بيان الإمكان وجب أن يكون وجه التشبيه مسلماً به في التشبيه به حاصلاً فيه معترفاً به من المخاطب . وإن كان الغرض من التشبيه عائداً على التشبيه به فإن صفتي الموضح والكمال تكونان أكثر في المشبه به على طريق التخييل والادعاء . إلى آخر ما وقفنا عليه من حديثنا عن ألفراض التشبيه .

أما القبيح المردود : فهو ما أحل بالغرض المقصود من التشبيه ولم يف به . إما لعدم وجود شبه بين الطرفين . أو لكون الوجه بعيداً أو غير واضح في التشبيه به . وإما لتناقض التشبيه مع الذوق السليم وبجائزاته للبلع القويم . فمن ذلك قول الكميت :

كان العظام من عليها أراجيز أسلم تهجو غفارا (١)

فقد عابه نصيب وقال له : " أعطت ماهجت أسلم غفارا قط " ومراده أن الراجح أن يكون التشبيه بشيء واقع معروف ... وقول الفرزدق :

يمشون في حلق الحديد كما مشت جرب الجمال بها الكحل المشتغل (٢)

شبه الرجال في حلق الحديد بالجمال الغريب وهو تشبيه بعيد لأنه إن أراد السواد فلا مقارنة بينهما في اللون ، إذ الحديد أبيض وإن أراد شيتاً آخر فهو غير واضح ... ومع ما فيه من البعد فقيه أيضاً مسخف وغثاله لتناهيه مع الذوق والطباع السليمة ...

وقول المراء :

وخال على خديك يندو كاله سنا البدر في دعجاء باد دجونها (٣)

- ١ - قطامط : صوت غليان القدر . وفي لسان العرب مادة "قطط" ، أسلم وغفار : قيثان كانت بينهما مهابة ، وبهذا يكون الكميت قد شبه بشيء وقع معروف فلا حب في البيت .
- ٢ - الكحل : القطران تعلق به الإبل وأشعل يله بالقطران كثره حليها .
- ٣ - الدعجاء : السواد صفة لمصرف جلوف والظفر : ليلة دعجاء ، ودجونها : سوانحها .

ورداً على هذا التشبيه ترجع إلى أن الخدود بيض والمتعارف عليه أن يكون الخد
أسود فتشبه الخدود باللؤلؤ والخد يمتلئ بالدر تشبيه ناقص للعادة ، ومخالف لما تعارف
عليه الناس ..

وقول لمن بن حريم في مدح بشر بن مروان :-

إنا قد وجدنا أم بشر كأم الأسد مذكارة ولودا

فوجه الشبه : " مذكارة ولوداً " غير عقيق في التشبيه به لأن أم الأسد ليست
كذلك ..

وقول أعرابي في صفة الشيب :

وما زلت ترجو نيل سلمى وودها
ومسلا حاجيك الشيب حتى كأنه
وتبعد حتى ابيض منك المسايح
ظياء جرى منها سبيح ويسارح^(١)

شبه الشعر الأبيض في حاجبيه بظياء مسوانح وبسوارح وليس هنالك وجه شبه
واضح بين الشيب والشيب به ...

وقول آخر في وصف روض :

كان شقائق النعمان فيه
ثياب قد روين من الدعاء

فالتشبيه مصيب والوجه عقيق ولكن العيب أنه من بشاعة ذكر الدعاء وهو
بصد وصف زهر جميل في روض أنيق ..

وقول بعض الأعراب يصف شدة غيظه :

فلو رأيت أخت جيراننا
إذ أنا في النار كاني حار

١ - السابح : حرف الرئي ، والسبح والسبح : ما ولاك ماله ، وفارج : ما ولاك ماله ، فتأمل بالأول
وتظهر من ههنا ..

شبه نفسه بالخمار في شدة الغرور . . فهم يقولون: "أغور من حمار" وهذا التشبيه وإن كان صحيحاً فإنه لا يحسن بالإنسان أن يشبه نفسه بالخمار لاسيما بلفظ الإطلاق كما في البيت . . لأن هذا يتنافى مع الذوق السليم .

وقول أبي عون الكاتب في صفة الخمر تهتز في زجاجةها وقد علاها زيد :
تلاعبها كلف المزاج عجية لها وليجري ذات بيتها الأتس
فتزيد من تبه عليه كأنها غريرة خدر قد تحبطها المسى

فلو أن في هذا كل بدیع لكان مقبلاً بشعاً . . . ومن ثا يطيب له أن يشرب شيئاً يشبه زيد الصروع وقد تحبطه الشيطان من المس . . ؟

وقول الشنفرى يصف حركة السيوف في القتال :
تراها كأذئاب الحسيل صوادراً وقد نهلت من الدماء وغلت^(١)

شبه حركة السيوف وقد ارتوت بدماء القتلى بحركة أذئاب الحسيل عندما تلقى بأسنانها فهي تحرك أذناها فرجة باللقاء . . ووجه الشبه وإن كان صحيحاً وبخاصة إذا اعتونا أن لون الدماء قد قرب بين لون الأذئاب ولون السيوف . . إلا أن اللوح السليم ينفر من مثل هذا التشبيه .

ومن تلك التشبيهات الغريبة ما مر بنا في قول ابن شرف القيرواني في معقبة البرى وترك البقاني :

غري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المتندم

لعدم تحقق وجه الشبه في المشبه به . .

١ - الحسيل : واد القرة ويقطع على الفراخ والجمع . . صوادراً : رواشداً يقال صدر عن ثاء وعن السيل : رجع . . والدمع تبيض الفود . . نهلت : القهل قول العرب . . وغلت : الغل : الشربة الثانية ، والشرب بعد الشرب تبعاً . . يقال غل بعد نهل . . وفراء : اقتراف السيوف بدماء القتلى .

وقول البحري في وصف مقدار سواد الليل :

على باب فسرين والليل لا طخ

جوانبه من طلحة مجداد

لأن المشبه به وهو : "المجاد" أقل شهرة واكتمالاً في صفة السواد من المشبه وهو الليل . . .

هذا وقد عاب مصوم المتنبي قوله :

بليت بلى الأطلال إن لم ألق بها وقوف شحيح ضاع في الوب خائفة

إذ قالوا: أراد المتنبي في إطالة الوقوف قبائح فن قصيره فكم عسى هذا الشحيح أن يقف على حاله مهما بلغ شحه والخاتم مما لا يخفى في الزاب إذا طلب ، ولا يصعب الحصول عليه إذا خشي عنه . . . وقد رد هذا القول بأن المتنبي أراد بالتنبيه : الصورة والصفة والهيئة التي يقف عليها بهذه الأطلال أي : لأقفل بها قليلاً خاضعاً ، خاضعاً متأسلاً ، كهيئة الشحيح في وقوفه بحثاً عن حاله فإنه يقف قليلاً خاضعاً متأسلاً . . . ثم أنه لم يرد التسمية بين الوقوفين ، في القادر والزمان والفسورة ، وإنما أراد لأقفل وقوفاً زائداً على القدر المعتاد ، خارجاً عن حد الاعتدال ، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله .

ونظيره قول الآخر :

رب ليل أمد في نفس العا شق طولا قطعته بالتحجاب

فنفس العاشق مهما بلغ من الطول لا يمتد امتداداً تقصر أجزاء الليل ، والشاعر إنما أراد أن الليل زائد في الطول على مقادير الليالي كزيادة نفس العاشق على الأنفاس .

التشبيه الضمني

هو التشبيه الذي يفهم من المعنى ويتضمنه سياق الكلام . . والفرق بينه وبين التشبيه الصريح أن التشبيه الصريح يوضع فيه المشبه والمشبّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، أما التشبيه الضمني فيلمح فيه الطرفان من المعنى ولا يبنى جملة على إحدى صور التشبيه التي عرفناها . . وغالباً ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برفاهة وتعليلاً للمشبه .

انظر الى قول أبي تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

شبه حال الرجل الكريم المحروم من الغنى بقمم الجبال لا يستقر عليها ماء السيل ، ولم يأت التشبيه صريحاً في صورة من صور التشبيه بل جاء ضمنياً مفهوماً من معنى الكلام وقد وقع فيه التشبه به تعليلاً للمشبه ، كما ترى .

ومثله قول أبي الطيب :

من يهن يسهل الهوان عليه ما جرح حيث إيلام

شبه حال من اعتاد الهوان فسهل عليه قعله بحال البيت لا يتألم إذا جرح ، وقد فهم التشبيه من المعنى فهو تشبيه ضمني . . . ومن ذلك قول الفرزدق يهجو جريراً :

ما ضر تغلب وائل أهجوتها أم بلت حزن تناطح البحران

شبه هجاء جرير "تغلب وائل" ببركة في جمع البحرين فكما أن بركة في جمع البحرين لا يؤثر فكذلك هجاءه "تغلب" قوم الفرزدق لا يضر له أثر .

ومنه قولنا : لا أخرى : لوجهه: أنور أم الصبح .. وغرته أضواء أم البدر ..
ونور الصباح يلقى في ضوء وجهه .. ونور الشمس مسروق من نور حبيته ...

وقول المتنبي :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا يوجه ليس فيه حياة

وقول أبي نواس :

إن السحاب تستحي إذا نظرت إلى نناك فلماسته بما فيها

وقول الجوى :

في طلعة البدر ضئ من محاسنها وللقضيب نصيب من ثلثيها

فهذه التشبيهات جميعها ضمنية وقد مرت بك فارجع إليها

ومنه قول الفرزدق :

قوارض تأتي وتغفرونها وقد يملأ القطر الإناء فيغتم

شبه ضمنية القوارض تأتيه ويغفرها القوس بالقطر الذي يملأ الإناء على صغر
مقناره ، وهو يشير بذلك إلى أن الكثرة تعمل الصغر من الأمور كبراً .

مراتب التشبيه

إذا أراد للكلم أن يعقد تشبيها بين أمرين ، فقد يذكر جميع أركان التشبيه ، وقد
يهدف بعض هذه الأركان ، وتختلف مراتب التشبيه من حيث ما يقيد من قوة اللفظة
وحدة التحليل حسب ما يذكر من أركان التشبيه ..

قانون هذه المراتب: ذكر الأركان الأربعة كقولنا: "زيد كالأسد شجاعة"، وبغيد التشبيه عندئذ أصل المبالغة التي يحققها كل تشبيه ولا مجال فيه لتحييلات العقل وترجماته .

المرتبة الثانية: حذف أداة التشبيه فقط كقولنا: محمد أسد شجاعة ، وحذف الأداة يفسح أمام العقل ميدان التوهم بأن التشبيه والتشبيه به شسج واحد . . . فالتشبيه عندئذ يفقد قوة المبالغة . .

المرتبة الثالثة: حذف وجه التشبيه فقط ، نحو "محمد كالأسد" وعندئذ تذهب النفس كل مذهب وتحييل أن التشبيه والتشبيه به يتحدان في جهات كثيرة ، وإن كان القصور اجتماعهما في صفة واحدة . . وفي هذا إفادة لقوة المبالغة كالمرتبة الثانية .

المرتبة الرابعة: حذف أداة التشبيه والوجه معا نحو : محمد أسد ، وهذه المرتبة أقوى المراتب إذ المبالغة فيها مضاعفة ، لأن حذف الأداة أفاد أن المشبه عين المشبه به ادعاء . وحذف وجه التشبيه يجعل النفس تذهب كل مذهب في تقدير الوجه ، ولهذا أطلق البلاغيون على هذا التشبيه اسم : التشبيه اليلغ . .

ومما يجدر ذكره أن حذف المشبه في أي مرتبة من تلك المراتب لا يؤثر فيما يفيد التشبيه من مبالغة ، ولا يخرج من مرتبته إلى مرتبة غيرها ، فإذا قلنا : كالأسد في الشجاعة ، بحذف المشبه اعتمادا على قرينة ما ، لا تتغير مرتبة هذا التشبيه في إفادة أصل المبالغة ، ولا يخرج التشبيه عن مرتبته الدنيا بحذف المشبه .

هذا وتختلف منزلة التشبيه أيضا باختلاف الأداة المستعملة ، فقولنا : كأن زيدا أسد ، أبليغ من نحو : زيد كالأسد . . كما تختلف كذلك باختلاف وجه التشبيه وطرفي التشبيه إفرادا وتركيبا وتعددا ، وعقلية وحسية ، على نحو ما مر بنا في هذا الفصل .

الفصل الثاني الحقيقة والمجاز

حقيقة الأمر : يدّعي شأنه . . . وحقيقة الرجل : ما يلزمه حفظه ومنعه ويمنى عليه الدفاع عنه ، وجمعها حقائق . . . والحقيقة في اللغة : ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه ، والمجاز ما كان بضد ذلك ، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه من الحقيقة لمعان ثلاثة : الاتساع والتوكيد والتشبيه . . . فإن عدم هذه الأوصاف كان الحقيقة البتة (١) .

فالحقيقة في اللغة : وصف على وزن : "فعل" إما بمعنى مفعول من قولنا : حَقَّقْتُ الشيءَ أي : أثبتته فهو حقيق أي : مثبت وإما بمعنى فاعل من قولنا : حَقَّقَ الشيءَ أي : ثبت فهو حقيق أي : ثابت . . . قال عز وجل : "لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (٢) .

واللحن : لقد ثبت القول . . . ثم نقل هذا اللفظ "حقيقة" من الوصفية وجعل اسماً للكلمة المستعملة فيما وضعت له باعتبار أنها مثبتة فيما وضعت له أو ثابتة فيه .

والنهاء في لفظ "حقيقة" ليست للتأنيث إذ يجوز أن نقول : هذا اللفظ حقيقة ولو كانت للتأنيث لما صح أن يقال ذلك . . . وإنما هي للدلالة على نقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية ولإشعار بالأصل الذي كانت عليه الكلمة قبل النقل .

١ - عطر لسان العرب مادة حق ص ٩١٦ .

٢ - سورة يس الآية ٧ .

هذا والحقيقة والمجاز إذ أطلقنا صرفاً إلى الحقيقة اللغوية والمجاز اللغوي ولا يحتاجان إلى تقيدهما باللغويين إلا في مقام المقارنة بينهما وبين الحقيقة العقلية والمجاز العقلي للفرقة بينهما .

والحقيقة في الاصطلاح : هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في الاصطلاح الذي جرى به العاطف . . . فلفظ "الأسد" إذا استعمل في الحيوان المفوس كان حقيقة لاستعماله فيما وضع له في كافة الاصطلاحات . . . ولفظ "الصلة" إذا استعمل يعرف الشرع في الأموال والأفعال للفتحة بالتكبير المختصة بالتسليم كان حقيقة . . . وإذا استعمل يعرف أهل اللغة في الدعاء كان حقيقة أيضاً لاستعماله فيما وضع له أصبح هذا الاصطلاح كذا . . . ونلاحظ في التعريف أن الكلمة قد قيدت بقيد ثلاثة :

- ١ - **كونها مستعملة :** فالكلمة قبل الاستعمال أي الكلمة التي وضعها الوضع ولم تستعمل لا تدخل في اللغة ، فلا تسمى حقيقة كما لا تسمى مجازاً . . .
- ٢ - **وفيما وضعت له :** خرج بهذا القيد الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في جميع الاصطلاحات : اللغوية والشرعية والعرفية فإنها تكون مجازاً . . . وخرج أيضاً الخطأ النسائي وهو ما استعمل في غير ما وضع له خطأ ، كقولك لصاحبك : عد هذا الفرس مثبواً إلى كتاب ، فمثلي هذا لا يسمى "حقيقة" لاستعماله في غير ما وضع له ولا يسمى مجازاً لعدم وجود علاقة بين الفرس والكتاب . . . **والموارد بالوضع :** تعيين اللفظ للدلالة على معناه بنفسه من غير قرينة . . . فدلالة اللفظ على معناه المجازي ليست وضعية ، لاحتياجه إلى القرينة النابعة من إرادة المعنى الوضعي . . . ودلالة التشريك على أحد معنييه الموضوعين له وضعية ، لأن القرينة التي احتاج إليها التشريك تعين أحد المعنيين الموضوعين لهما اللفظ لغة ، وأبست كقرينة المجاز التي تعين معنى لم يوضع له اللفظ .

٣ - في اصطلاح التخاطب : خرج بذلك الكلمة التي يستعملها المتكلم في غير ما وضعت له في اصطلاحه ، كالصلاة يستعملها الشرعي في الدعاء ، فهي مجاز بحسب اصطلاحه وإن كانت حقيقة في اصطلاح القوي .

أقسام الحقيقة : وتنقسم الحقيقة باعتبار المصطلح الذي ترجع إليه إلى أربعة أقسام :

١- الحقيقة اللغوية : وهي ما وضعها واضع اللغة ودلت على معنى مصطلح عليه في تلك الواضحة فمرجع الدلالة فيها إلى وضع اللغة كاستعمال لفظ الإنسان والفرس والجبل والشجرة والزهرة والسماء والأرض والنوم واليقظة والأم والأب وغير ذلك من الألفاظ في معانيها الموضوعة لها في عرف اللغة .

٢ - الحقيقة الشرعية : وهي اللفظة التي ينسبها أهل الشرع لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي كالصلاة والركعة والسجود والركوع والكفر والإيمان والإسلام ، فهذه الألفاظ نسبت معانيها اللغوية ودلت بالشرع على معان أخرى صارت فيها حقائق شرعية فمرجع الدلالة فيها إلى اصطلاح أرباب الشرع .

٣ - الحقيقة العرفية الخاصة : وهي ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عرف خاص كاستعمال لفظ : المبشأ والخمر والداعل والمقعول والرفع والتعصب والخمر والجزم ، في معانيها المصطلح عليها في عرف التحريين فقد صارت هذه الألفاظ حقائق في معانيها التي اصطلاح عليها تخريباً ونسباً التحاة معانيها اللغوية وكذا استعمال الاستعارة والتشبيه والمجاز عند البلاغيين والسكران والمرضى والمفهر عند المتكلمين .

٤ - الحقيقة العرفية العامة : وهي ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عرف عام لم

يتعين صاحبه كاستعمال لفظ "الدابة" عند كثير من الناس في الدلالة على الحيوان الذي يستخدمونه في حياتهم اليومية ، كالحمار والبقرة والجمال والبغل والفرس ، وهي موضوع في أصل اللغة للدلالة على كل مصادب على الأرض ، قال تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىَّ اللَّهُ وَرَبُّهَا) (١) فصار استعمالها في الدلالة على الحيوان الذي يستخدمونه ، حقيقة في عرفهم ولو أطلقوها على معناها الوضعي ، لكانت مجازاً عند كرماء هذا العرف العام . .

(١) سورة هود آية : ٦ .

المجاز

المجاز في اللغة مصدر ميمي على وزن "مفعَل" وهو إما أن يكون بمعنى المجاز والتعدية من جاز المكان بوزنه إذا تعداه وقُطِعَ . . . وقد سميت به الكلمة التي جازت مكانها الأصلي وتعدته لغوي أو التي جاز بها التكلم معناها الأصلي إلى غيره فتكون هذه التسمية من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل أو المفعول . . . وإما أن يكون بمعنى مجاز الجواز والتعدية من قومهم : جعلت هذا مجازاً إلى حاجتي أي طريقاً إليها فهو من جاز المكان أي : سار فيه وسلكه إلى كذا ، لا من جازه إذا تعداه ، فيكون لفظ المجاز اسم مكان وقد أطلق على الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها .

إنكار المجاز والخييلة : يزعم البعض أن اللغة كلها حقيقة ، وينكرون المجاز ، ويذهبون إلى أنه غير وارد في القرآن الكريم ولا في كلام الناس .

وحجتهم أن المجاز أحد الكذب والقرآن منزّه عنه ، وأن التكلم لا يعدل إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة (١) .

ويزعم البعض الآخر أن أكثر اللغة عند التأمل مجاز لا حقيقة ، فقولنا : قُتِلَ زيد مجاز ، لأن زيدا لم يفعل كل القيام بل فعل بعضه ، فهو من وضع الكل موضع البعض للاتساع والتوكيد ولذا يقال : قام قومة وقومتين . . . قياماً حسناً وقياماً قبيحاً .

وكذا قولنا : "ضربت زيدا" مجاز أيضاً ، لأن القائل فعل بعض الضرب لا كله ، ولأنه ضرب بعض زيد لا جميعه ، فقد ضرب يده أو رجله أو ناحية من توابع جسده ولهذا فإنه إذا احتاط جاء ببدل البعض فيقول : ضربت زيدا رأسه لو كتفه . . ثم هو مع

(١) نظر الإقناع ص ٢ من ١٧ وقرئان ص ٢ من ١٢٩ .

فذلك متجاوز لأن الضرب وقع ببعض الركن وبجزء من الكتف (١) . . . وهذان الرأيان مبنيان على خطأ في التصور وعلى كثير من التدقيق الذي تنفر منه طبيعة هذه اللغة . . . ويوضح ذلك فيما يلي :

١ - أن المجاز قد ورد في اللغة وفي القرآن الكريم فتحين نقول : "رايت أسداً" وتريد رجلاً شجاعاً . . . والله عز وجل يقول : (وَأَمْسَأَلِ الْقَرْيَةَ) (٢) ويقول : (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرُّخْمِ) (٣) . . . والقرينة لا تسأل ، وليس للذِّل جناح ، فالعنى على المجاز .

٢ - أن المجاز يقارن الكذب من جهتين :
الأولى : أن الكذب لا تأويل فيه والمجاز مبني على التأويل والصرف عمن الظاهر .
الثانية : أن المجاز لا يد فيه من نصب قرينة على إرادة خلاف الظاهر من اللفظ ، مائعة من إرادة المعنى الحقيقي له . . . أما الكذب فليس فيه قرينة على إرادة غير الظاهر ، بل إن قائله يبدل قصارى جهده لترويج ظاهره وإبراز صحة ماطله .

٣ - أن القائلين بأن أكثر اللغة مجاز قد بنوا رأيهم على كثير من التدقيق الذي تنفر منه طبيعة اللغة ؛ لأنه تدقيق لا يصل بنا إلى غاية مرحبوة . فلو قلنا : مرض زيد ، أفادت هذه الجملة الإخبار بمرض زيد ولو ذهبنا تدقيق : أى مرض أصابه؟ أى جزء منه مرض؟ أرجله أم فضده أم بطنه أم صدره أم رأسه أم يده

(١) انظر التفصيل ص ٢٠٧ من ٤٤٧ والفرار ص ٤٤ .

(٢) سورة يوسف : ٨٢ .

(٣) سورة الإسراء : ٢٤ .

- أم إصبعه؟ وإذا كان الجزء المربى من زيد هو الإصبع فأى موضع منه؟ وأى إصبع من أصابعه؟ وهل كل الإصبع؟ أم إحدى أنامله؟ وإذا كانت إحدى أنامله كفى الأول ثم الثانية ثم الثالثة؟ وهل الأنملة كلها؟ أم جزء منها؟ الخ . وهذا تنقيح لا غاية ورواه ولا فائدة ترجى منه . . بل إن طبيعة اللغة وعفوية الدلالة تتنافى معه وتأباه . وبهذا يتضح لنا أن إنكار الحقيقة فسى اللغة إقتراف وإنكار المجاز تفريط بالمجازات لا يمكن دفعها والحقائق لا يتأتى إنكارها والبرأى السديد هو أن اللغة والقرآن الكريم يشتعلان على الحقائق والمجازات معا . فما كان من الألفاظ مفعلا لما وضع له فى الأصل فهو حقيقة ، وما افتاد غير ما وضع له فى الأصل فهو مجاز وللقام هو الذى يحدد ما يقتضى استعماله من حقائق أو العكس عنها إلى المجازات .

المجاز المفرد والمجاز المركب : ينقسم المجاز باعتبار الأفراد والمركب إلى قسمين : مجاز مفرد ، وهو ما كان اللفظ للتجاوز به مفردا كقوله تعالى : **وَيَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ** (١٦) ، أى أناملهم . .

وقول أبى تمام ملاحا :

يا ابن الكواكب من أنمة هاشم والرجح والأحساب والأحلام

فالمراد بالأصابع فى الآية : الأنامل والمراد بالكواكب فى البيت : آباء الممدوح .

ومجاز مركب : وهو ما كان اللفظ للتجاوز به مركبا نحو : مالى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ؟ فالمراد : تردده فى الأمر فهو يقبل عليه مرة ويتراجع عنه مرة أخرى .

تعريف المجاز القوي : فالجواز المفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح المتخاطب على وجه يصح مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

فخرج "بالكلمة المستعملة" فكلمه قبل الاستعمال فإنها لا تسمى حقيقة ولا مجازاً على غير ما مر في تعريف الحقيقة .

ومخرج "غير ما وضعت له" الحقيقة ، فإنها مستعملة فيما وضعت له . . . وقرئنا: "في اصطلاح المتخاطب" إشارة إلى أن المخرج في تحديد المجاز هو الحقيقة ، الاصطلاح الذي يقع به المتخاطب . . . فالشرعي إذا استعمل لفظ "أصلاً" في الدعاء كانت مجازاً ، وإذا استعملها في الأركان الخاصة كانت حقيقة في عرفه . . . واللائي إذا استعمل "الكتابة" في السر والخطأ كانت مجازاً . . . واللفظ "الدابة" إذا استعمل عند أرباب العرف العام في الدلالة على الإنسان كان مجازاً وإن كانت مستعملة فيما وضعت له في اصطلاح أهل اللغة . . . والفري إذا استعمل لفظ "الأسد" في الدلالة على الرجل الشجاع كان مجازاً وإذا استعمل في الدلالة على الحيوان المقدوس كان حقيقة . . . وهكذا .

وقرئنا "على وجه يصح" إشارة إلى وجوب العلاقة الرابطة بين المعنى المجازي والمعنى الذي وضع له اللفظ ، وخرج بذلك الغلط اللساني كأن نشير إلى حجر ونقول لشخص : حمل هذا القوس . . . فاستعمال لفظ "القوس" لا يسمى مجازاً ؛ لأنه لا علاقه بين الحجر والقوس .

والقرينة : هي الأمر الذي يجعله التكلم قليلاً على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له وتقييدها بالممانعة إحوازا عن الكتابة ؛ لأن قرينتها لا تمنع إرادة المعنى الأصلي مع المعنى الكتابي .

هنا والمجاز المفرد يتنوع باعتبار المصطلح الذي يقع به التصايط إلى أربعة أنواع:
مجاز لغوي ومجاز شرعي ومجاز عرفي خاص ومجاز عرفي عام . . . على نحو ما مر في
تعريف الحقيقة .

ما الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل؟ : ينقسم المجاز للمفرد باعتبار نوع العلاقة
الرابطية بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي استعمل فيه اللفظ إلى قسمين :

١ - **مجاز بالاستعارة** : وهو ما كانت علاقته المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى
المجازي كقولنا : ركبت نهرا يذوب الناس من كرمه ، فالعلاقة بين البحر
والرجل الكريم المشابهة في العطاء .

٢ - **مجاز مرسل** : وهو ما كانت علاقته غير المشابهة كقولنا : أمطرت السماء
نباتا، فالعلاقة بين النبات والغيث المسيية ؛ إذ النبات مسبب عن الغيث .
وكقوله تعالى : **وَيَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ** (١) فالعلاقة بين
الأصابع والأنامل الكلية إذ الأنملة جزء من الإصبع .

المجاز المرسل وعلاقته : فالمجاز المرسل : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت
لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين . . . وسمي مرسلًا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعيرة في
الاستعارة إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما . . . أو لأنه أرسل
أي أطلق عن التقيد بعلاقة واحدة .

وعلاقة المجاز المرسل معناها : أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين
ويسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر وهذه العلاقات كثيرة أشهرها ما يلي :

(١) سورة البقرة آية ٦٤ .

ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهل أحد علينا فجهل فرق جهل الجاهلينا

الجهل معناه في اللغة : السفاهة والخبث وقد أراد عمرو بالجهل المسند إليه الصادر منه: جزاء المعتدين وعقوبتهم على جهلهم وسفاهتهم ، فهو مجاز مرسل حيث عبر بالسبب عن المسبب .. وقوله تعالى (وَلِتَلْوَنَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَلِتَلْوَنُوا أَعْيَارَكُمْ) (١) أراد عز وجل : ولتعرف أعياركم فعبر عن المعرفة والعلم بالاختيار الذي هو سبب المعرفة على طريق التماز المرسل .. وعلم الله عز وجل أني فهو عليم بكل شيء ولا يحتاج في علمه إلى ابتلاء .. ولكن المراد ظهور حقيقة البتلى واكتشافها فيصبح علم الله تعالى متعلقا بالمعلوم الواقع ..

ومن ذلك قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأصمعت كلامي من به صمم

أراد أن يعر عن شهرة أدبه وذويع شعره وبلوغه مبلغا جعل من لا علم له بالأدب ينظر إليه ويعلمه ومن لم يسمع شعرا يسمع كلماته ويدركها .. وقد عبر الشاعر بالأعمى والأصم وأراد من لا معرفة له بالأدب ولا علم عنده بمجده ، والعلاقة بين المعنيين: السببية فإن السمع والبصر من أسباب العلم بالأشياء والعنى والصمم من أسباب الجهل بها، والقرينة قوله : " نظر وأصمعت كلماتي " فإنه يستحيل أن يسمع الأصم أو يعصر الأعمى شيئا .

وقول الآخر :

أكلت دما إن لم أرك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النثر

(١) سورة صمد آية ٣١ .

فهو يدعو على نفسه = إن لم يحقق رغبته في الكيد لامرأته بضرة حسناء- أن يقتل له قتيلا ويعجز عن الأعداء بثأره فيؤتى بأعدائه ويأكل منها وقد عبر عن الذبابة بالدم ، والدم سبب فيها فهو مجاز مرسل أطلق فيه السبب وهو الدم على السبب وهو الذبابة.

ومن ذلك إطلاق " اليد " على العطاء والنعمة لأن اليد سبب في إيصال النعمة للمحتاجين كما في قولهم : جلت يده عندي ... وكثرت أياديه على ... وعمت أياديه الوري ... يرينون بذلك نعمة وعطاياه ... ويشترط في هذا الاستعمال أن يكون في الكلام إشارة إلى صاحب النعمة كالضمير العائد على المذموم في الأمثلة المذكورة ولذا لا يقال : كثرت الأيادي عندي .. أو اتسعت اليد في البلد .. أو ادخرت يدا ، لأن المتبادر إلى الذهن عندئذ هو المعنى الحقيقي دون المعنى المجازي ، لخلو الكلام غالبا من القرينة الثالثة من إرادة المعنى الحقيقي ، فضلا عن ذلك فإنه يصور إلى كلام غث متهافت خال من الفصاحة .

ومن إطلاق اليد وإرادة النعمة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأزواجه : **"أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا "** ... فالحديث يشمل ثلاثة أوجه :

أولها : أن تكون اليد مجازا عن العطاء أو الإنعام ويكون أفعل التفضيل **"أطولكن"** المشتق من الطول ضد القصير ترشيحا للمجاز للامتنه اليد الحقيقية ، كما أن ذكر ما يلائم المشبه به يكون ترشيحا للاستعارة ، والمعنى عندئذ: أسرعكن لحوقا بي أبسطكن نعمة وأوسعكن عطاء ..

ثانيها : أن تكون اليد مجازا عن العطاء أو الإنعام أيضا وأفعل التفضيل مشتقا من الطول - يسكون الواو - بمعنى التفضل والمعنى عندئذ أسرعكن لحوقا بي أفضلكن نعمة ، والنعمة توصف بالفضل على جهة الحقيقة فلا ترشح للمجاز عندئذ .

ثالثها : أن يكون في الحديث "جار ومحرور" متعلق "بأطول" والتقدير ، أسرعن حقوقاً بي أطولكن يدا بالعطاء .عنى أنها تزيد في مدها عند العطاء وعندئذ فلا محاز ولا ترشيح بل اليد مستعملة في معانها الخفية وكذلك الطول - ضد القصر - ويكون أطولكن يدا بالعطاء، كناية عن الكرم وحب العطاء والتبذل كما يكنى بقصر اليد عن البخل وكراهية البذل .

وكما تطلق اليد ويراد بها النعمة لأنها سبب في إيصال النعمة ، فإنها تطلق كذلك ويراد بها القدرة ، لأن اليد سبب في ظهور سلطان القدرة من بطش وحسب ومنع ونحوه ... ومن ذلك قولهم : " قيد لي فلان " والمراد : القسرة والغلبة .. وكتوله تعالى (يَدْ أظْ قَوْقَ أَيَّيْهِمْ) (١) والمعنى : قوته ونصرته فوق قوة أصحاب البيعة ونصرتهم .

أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المسلمون متكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم" فليس من قبيل الخاز للرسول ، بل من التشبيه البليغ ، إذ المراد من الحديث أن المسلمين متساوون في الدماء وفي الذمة ، وفي التعاون والنصرة ، فيؤخذ الأمر بدم الفقير ، ويعاهد عنهم أدناهم منزلة ، فيسرى عهده على الجميع ، وكل واحد منهم في إطار الجماعة كالإصبع في اليد والجماعة كلها كاليد ذات الأصابع المتعانة ، فكما لا تخلد الأصابع بعضها بعضاً فالواجب على المسلمين ألا يتخاذلوا ، وبهذا يكون قوله عليه الصلاة والسلام : " وهم يد على من سواهم" ، من قبيل التشبيه البليغ الذي خلقت أداته ووجهه .

(١) سورة قلمع آية - ١٠ .

وقيل يجوز جعله مجازاً مرسلًا حيث هو باليد عن العون وهي سببه والمعنى :
وهم عون على من سواهم ، من إطلاق السبب على السبب ...

ومن ذلك استعمالهم للفظ "الإصبع" في الأثر الدقيق من حذق ياربع أو رسم
جميل أو نقش لطيف ، إذ الإصبع سبب في إحداث هذا الأثر البديع الرائع .. ومنه قولهم:
إن لفلان على هذه اللوحة إصبعاً .. وإصبع فلان بادية في هذا الخط ، ولهذا الصانع في
صناعة هذا السوار إصبع يارعة .. وكقول الشاعر في صفة راعي الإبل :

ضعيف العصا يادى العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعاً

أى : ترى له عليها أثر حذق ومهارة .. ويشروط لصحة هذا الاستعمال أيضاً أن
يكون للإصبع تأثير في إحداث الأثر الذى يعو بها عنه .. فلا يقال : هذه أصابع الدار ،
مراداً آثارها للثبوت ولا يقال : هذه أصابع المطر مراداً الآثار التى تخلفت عنه من رحل
وطين.

علاقة المسبية : وهي أن يذكر للسبب ويراد السبب بأن يكون المعنى الأصلى
للفظ المذكور مسبباً عن المعنى المراد فيطلق اسم المسبب على السبب من ذلك قولهم :
أمطرت السماء نباتاً ، أى : ماء فتذكروا للمسبب " نباتاً " وأرادوا السبب " ماء " فهو
بجاء مرسل علاقته المسبية .. ومنه قوله تعالى : (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) (١) والذى ينزل من السماء هو الماء الذى
يسبب عنه الرزق فذكر المسبب في موضع السبب وتكمن بلاغة المجاز فى الآية الكريمة
فى قوة المسبية بين الماء والرزق وفى ذلك إيحاء وتنبيه للمؤمن إلى أن الرزق مصدره
السماء فليطمئن وليبسط على التهج القويم فالرزق قد قدره الله وكفله للجميع إنه منزل
من السماء.

(١) سورة غافر : ٢٣ -

وكذا قوله تعالى (**وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ قَنَاطِيرَ أُزَاجٍ**) (١) .. أى أنزل لكم الماء الذى تشربه الأنعام والذي يبيت الثبات فروعاه الأنعام .. فذكر السبب وهو الأنعام فى موضع السبب وهو الماء وفيه إشارة إلى قوة السببية وتبنيه وطمأنة للمؤمن كما فى الآية السابقة .. وتحتل الآية الكريمة وجهين آخرين :

أحدهما : أن للراد يزال الأنعام : حكم الله وقضائه بخلقها وإيجادها فقد قضى الله عز وجل وقدر إيجادها ، وقضاء الله بعد ثبوته فى البرج المحفوظ ينزل إلى الأرض لتتولد .. فالإنزال لا يتعلق بالأنعام نفسها وإنما يتعلق بحكم الله وقضائه وإيجادها ، وعلى هذا فليس فى الآية مجاز.

ثانيهما : أن الله عز وجل يخلق شئ فى الجنة ثم ينزله من الجنة إلى الأرض وهو رأى بعض المفسرين .. وعليه فلا مجاز أيضا فى الآية الكريمة . .

ومنه قول الشاعر يصف غيثا:

أقبل فى المسق من رياه أسمة الآبال فى سحابه (٢)

أراد : أن الغيث انصب عليهم من سحابه الأبيض فسقى الأرض وأثبت ثبات غارثوت الإبل وشبعث وسمعت وفتت استمتها ، وقد جعل الشاعر أسمة الآبال فى السحاب والذي فى السحاب هو الماء وهنا من ذكر السبب فى موضع السبب .. ومنه قول الحق تبارك وتعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَارًا**) (٣) والثار لا تؤكل وإنما المراد : يأكلون مالا حراما تنسب عنه الثار الذى تكسرى

(١) سورة الرعد : ٦ .

(٢) للشاعر : موضع حرمات الغيث القصب يقال : استمت العين : نصب ملاءة . والرباب : السحاب الأبيض والضمير فيه للغيث والآبال : جمع إبل . واستمتها : جمع صام وهو ما ارتفع من ظهر البعير .

(٣) سورة النساء آية ١٠ .

بها جنوبيهم وظهورهم وجلودهم فذكر السبب الدار في موضع السبب وهو المال المحرام
 "مال اليتامى" وتكمن بلاغة الجاز في الآية الكريمة في إبراز هذه السببية ، وفي إظهار
 فظاظة وبشاعة تلك الصورة ، صورة من يأكلون أموال اليتامى ، فهم يأكلون نارا تنفذ
 في ألواحهم فتندلع في بطونهم فيكون الألم والعذاب .

وقولهم : " كما تدن ثندان " أى : كما تفعل تجازى فقد عبر عن الفعل بالدين
 والدين وهو المجازاة والمكافأة مسبب عن الفعل فهو بهما مرسل علاقته للسببية إذ أطلق
 لفظ السبب وهو المجازاة وأريد السبب وهو العمل والفعل . أما تدان الثاني فهو حقيقة
 لأن للرد به المجازاة والمكافأة ..

وفي علاقة السببية التعبير بالفعل عن إرادته فالإرادة سبب والفعل مسبب عنها
 وقد كثر ذلك في القرآن الكريم كما في قوله تعالى (**فَإِذَا قُرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِأَخِي**
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (١) والمعنى إذا هممت أو عزمت أو أردت قراءته فاستعذ بأخي
 حيث علم من السنة أن الاستعاذة تسبق القراءة ، وفي الآية وثبت الاستعاذة بالفاء على
 القراءة فكان هذا الوتيب قربة على أن للرد بالقراءة : إرادتها والعزم عليها فهو بهما
 مرسل علاقته للسببية إذ أطلق السبب وهو الفعل وأريد السبب وهو العزم والإرادة ...
 وفي ذلك - كما قلنا - إبراز لقوة السببية بين الإرادة والفعل وثبته للمؤمن وحث له
 على أن يقرن العزم بالفعل فلا يكون هناك مجال للأمانى الكاذبة وأحلام اليقظة
 والتفاهيس وحياة الكسل . ومنه قوله تعالى (**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن**
أَهْلِي) (٢) أريد بالدعاء إرادته والعزم عليه فهو من ذكر السبب في موضع السبب والقربة
 أنه رتب بالدعاء قوله "إن ابني من أهلي" على الدعاء مع اتحاد زمنهما في الواقع .

(١) سورة النحل الآية ٩٨ .

(٢) سورة هود آية ٤٥ .

وقوله عز وجل : (وَكُنْتُمْ مِنْ قَرَبٍ أَلَهْكُنَاهَا فُجَاءًا يَتَبَتَأُونَ أَنْ هُمْ قَائِلُونَ) (١)
 ذكر الإهلاك وكراد : إرادته والعزم عليه بقرينة أنه رتب بالفاء عمى اليأس على الإهلاك
 وإتيان اليأس متقدماً على الإهلاك فدل ذلك على أنه أراد بالفعل وهو الإهلاك إرادته
 والعزم عليه فهو من إطلاق السبب وإرادة السبب .

وقوله جل وعلا : (مَا آتَيْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِينَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَهْلَهُمْ يُؤْمِنُونَ) (٢) عز
 بالإهلاك في موضع الإرادة فهو من ذكر السبب وإرادة السبب .

علاقة الجزئية : وهي أن يذكر الجزء ويراد الكل كما في قوله تعالى : (لَقَدْ كُنَّا
 إِنْ قَبْلَ ذَلِكَ) (٣) وقوله عز وجل : (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَْسْجِدٍ أُسَسِّدَ عَلَى النَّفْسِ مِنْ أُولَئِ
 يَوْمَ أَخَذَ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) (٤) . . . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من قام رمضان
 إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . . . فالمراد بالقيام في هذه النصوص : الصلاة
 وهو ركن من أركانها وقد سميت الصلاة به من باب تسمية الكل باسم الجزء . . . وكذا
 قوله تعالى : (كَلِمَاتٍ لَا تَلْفُظُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (٥) وقوله عز وجل : (وَقَاَسْجُدُوا لَهُ
 وَاقْبَلُوا) (٦) وقوله تعالى : (وَلَمَسْجِدَ يُسُودُ وَتُكِّنُ مِنْ السَّاجِدِينَ) (٧) فقد عبر عن
 الصلاة في هذه الآيات بالسجود وهو ركن من أركانها وذلك عن طريق المجاز المرسل
 الذي علاقته الجزئية .

ومنه قول معن بن كرس المزني في ابن أخته :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده وماني
 وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجائسي

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) سورة الأعراف آية ٤ . | (٢) سورة الأبياء آية ٢ . |
| (٣) سورة الزمر آية ٢ . | (٤) سورة قمر آية ١٠-٨ . |
| (٥) سورة العلق آية ١٩ . | (٦) سورة النجم آية ٦٢ . |
| (٧) سورة الحجر آية ٩٨ . | |

فقد ذكر القوافي والقافية وأراد بهما : القصائد والقصيدة مجازاً مرسلًا علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل . هذا ويشوط في الجزء الذي يراد به الكل أن يكون مما جرى العرف على استعماله في الكل ، أو يكون هذا الجزء اتصال وثيق بالمعنى المراد . . . فقد وجدنا القرآن الكريم يسمي الصلاة قياماً أو سجوداً لأنهما ركعتان أساسيتان من أركانها . . . كما يسميها ذكراً أو ركوعاً قال تعالى : **وَمَا مَرِّمُ الْقِنَىٰ لِرَبِّكُ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** (١) . . . وكل هذه أساسيات في الصلاة . . . ولم نر القرآن يسمي الصلاة تشهداً أو بسملة أو جلوساً . . . وبهذا يتضح لنا أن الجزء المعبر به عن الكل ، يجب أن يكون له اتصال وثيق ، ومزيد اختصاص بالمعنى والسياق . . . وقد عر عن الإنسان بأجزاء مختلفة منه فراه مرة رقبة ومرة عينا ومرة وجهاً ومرة كفا ومرة قدماً ومرة قلباً ولا يصلح جزء من هذه الأجزاء مكان الآخر لاختلاف السياق الذي يقتضيه هذا الجزء دون ذلك . . . انظر إلى قوله تعالى : **وَمِمَّا أَفْرَأَا مَا الْعَقَبَةُ؟ فَكُ وَرَقَبَةٍ** (٢) وقوله عز وجل : **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا** (٣) فقد عر عن العبد أو المولى في الآيتين بالرقبة لأنها أهم جزء في الإنسان ولأن معنى السيادة والعبودية تظهر أوضح ظهور في الأعتاق . . . وهم يقولون : بيت الأمير عونه في المدينة . . . وعين العبد يقول في البلد ويريدون بالعين الربيعة أو التباسوس فسمى التباسوس عينا باسم جزله لأن عينه أبرز عضو فيه يستخدمه في التنجس .

ونقول : فلان تتراحم حوله الأقدام . . . أو هو عر من تسمى له قدم . . . في مقام المدح بالسيادة والكرم ، فقد عرنا عن طائفي الأعضاء بالأقدام ، لأن بها يسعون قاصدين المملوح في قضاء حوائجهم .

ويقول الشاعر :

وكنت إذا كف أمتك عديمة ترجى نوالاً من سخايلك بقت

(١) سورة آل عمران الآية ٩٣ .

(٢) سورة ليل الآية ١٣ .

(٣) سورة النمل الآية ٣ .

فقد عر بالكف عن الإنسان للعدم ، لأن السياق عطاء وأخذ والمعدم عند يده
رأبها عطاء وخيرا يلقي بها ولذا عر عنه بالكف .

ويقول امرؤ القيس :

أفرك مني أن حيك لآتلي . وأنت مهما تأمرى القلب يفعل

فقد عر عن نفسه بالقلب لأن السياق سياق حب وغزل وهيام .

ويقول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب أخى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

عر عن الرجال المعروفين بالشرف والسيادة والنبيل بالوجوه وذلك على طريق
الجهاز للمرسل الذى علاقته المبركة ، وقد أثر التعبير بالوجه ، لأن اللقار مقام شرف وسيادة
ونيل ووجاهة . .

وهكذا عر عن الإنسان بأجزاء مختلفة من أجزاء جسده وفى كل مرة رأينا الجزء
الذى عر به عن الكل "الإنسان" له اتصال وثيق ومزيد اختصاص بالسياق والمعنى ولا
يصلح جزء من أجزاء الإنسان المذكورة مكان الآخر لاختلاف السياق كما أوضحنا . .

علاقة الكلية : وهى أن يعر عن الجزء بلفظ الكل أى يطلق اسم الكل ويراد
جزؤه كقوله تعالى : **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الشُّرَاطِقِ خَذَرًا الْمَوْتِ** (١) وقوله
عر وجل : **وَأَنى كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِنُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَفْسَحُوا**
يُبَاطِحُهُمْ (٢) فقد عر بالأصابع فى الآيتين وأراد الأنازل من باب إطلاق لفظ الكل على

(١) سورة البقرة آية ١٩ .

(٢) سورة نوح آية ٧ .

الجزء مجازاً مرسلًا علاقته الكلية . . . والسر البلاغي في العلول عن الحقيقة إلى المجاز في الآيتين هو رغبة القوم في تعطيل حاسة السمع بأنفس ما يمكن مبالغة فيما يشعرون به من هول الصواعق وفضاعتها في سورة البقرة ، ومبالغة في إغرائهم عن الحق في سورة نوح . . . والقرينة استحالة وضع الإصبع كلها في الأذن عادة . . .

وفي قول السمرهلي :

تسيل على حد الطيات نفوسنا . وليست على غير الطيات تسيل^(١)

عز بالنفوس عن الدماء فهو مجاز مرسل علاقته الكلية لأن الدماء جزء من النفوس والقرينة قوله : "تسيل" ، لأن البيهقان يكون للدماء . . . ومنه قوله : "قطعت السارق" يريدون : يده ، وقولنا : أكلت لبنا الأرض وشربت ماء النيل وقرأت في البلاغة ما كتب السابقون واللاحقون ، والمراد : بعض ثبات وجزء من الماء وكثير مما كتبوا فهو مجاز مرسل علاقته الكلية . . . والقرينة استحالة أكل الكيل أو شربه واستحالة الإحاطة بكل ما كتب . . .

علاقة اعتبار ما كان : وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما كان عليه من قبل كما في قوله عز وجل : (وَأَلْوَا الْيَتَامَىٰ أَفْوَاهُ لَهُمْ وَلَا تَنبُذُوا الْيَتَامَىٰ بِالطَّلَافِ) (٢) فاليتيم من مات أبواه ولم يبلغ سن الرشد وهو لا تسلم إليه أمواله لعجزه عن التصرف فيها في هذه السن وإنما تدفع إليه بعد أن يتجاوز سن اليتم ويصير رشيداً فتسميتهم "يتامى" عندئذ باعتبار ما كان قبل ذلك والقرينة : الأمر بدفع أموالهم إليهم لاستحقاقهم التصرف فيها.. وإثبات التعبير عنهم بلفظ اليتامى مع أن اليتم قد زال يفيد أمرين :

(١) القلات : جمع غلة بضم الفاء وتخفيف الاء وهي حد السيف .
(٢) سورة النساء الآية ٤ .

أولهما : الإتياء بسرعة إعطائهم أموالهم بمجرد ذهاب اليتيم عنهم فكان صفة اليتيم لا تزال عاتقة بهم وقت دفع المال ، لأنه يدفع إليهم عقب زوالها مباشرة . .
 وهذا واضح في قوله تعالى : **وَلَمَّا أَنْتَمَّ مِنْهُمْ زُشَّةٌ قَالُوا قُلُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالُهُمْ** (١٠) .

ثانتهما : التذكير بحال هؤلاء اليتامى وكيف حرروا من عطف وحضانة الأبوة وأنه لا يليق بالزمن أن يطمع في مال من هذا شأنه .

ومنه قول تعالى : **﴿إِنَّهُ مِنْ بَيْنَاتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾** (٢) مسمى مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا ، لأن الله لا يوصف بالإجرام بعد الممات إلا باعتبار حاله التي كان عليها من قبل ، ويوصف هذا الوصف بالحال التي يكون المجرم يوم القيامة عليها حيث تسود عليه آثار القلة والهانة والتندم وكان صفة الإجرام تظل لاصقة به في هذا اليوم ووراء ذلك ما وراءه من شدة العذاب والعقاب . .

ومن ذلك قولنا : **أكلنا قمحا وشربنا عبا . .** أي أكلنا خبزا قد صنع من القمح وشربنا تبيذا قد عصر من العنب . . فتسمية الخبز قمحا والتبيذ عبا باعتبار ما كان عليه من قبل والقرينة أن العنب لا يشرب والقمح لا يؤكل عادة . . .

علاقة اعتبار ما يكون : وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما يتول إليه في المستقبل كما في قوله تعالى : **﴿قَالَ اخْلُصْهُمَا : إِنِّي أَزِيدُ أَغْصِيرُ حَبْرًا﴾** (٣) يريد عبا يتول عصيره إلى حمر لأن الحمر عصير والعصير لا يعصر وإثارة لفظ الحمر بالتعصير ينسب بالإلزام الذي يرتكبه العاصر فهو لا يعصر عبا وإنما يعصر حمرا ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : **"لعن الله الحمر وعاصرها ومعتصرها"** .

(٢) سورة القصص الآية ٧١ -

(١) سورة النساء الآية ٦ -

(٣) سورة يوسف الآية ٣٦ -

وقوله تعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُم مَيِّتُونَ) (١) يريد أن ماله إلى الموت وهم كذلك بقرينة الخطاب لأن من مات فعلا لا يخاطب . - وقوله عز وجل : (وَقَالَ نُوحٌ : رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا) . إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَهْلِكُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلْبَثُوا إِلَّا لَاحِزًا كَثِيرًا) (٢) فالمراد بولد على الفطرة مؤمنا نفيًا سواء أكان أبواه مؤمنين أم كافرين والمراد بـ "فاحرا كثرًا" في الآية أن ما يلبس الكفرة سيؤول إلى ذلك في المستقبل . وقوله تعالى : (فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ أَهْلٌ بِسُلْطَانٍ خَلِيمٍ) (٣) أي بمراد ماله أن يكون غلاما حلِيمًا .

علاقة الخلية : وهي أن يذكر اسم الخلل ويراد الخصال به كما في قوله تعالى : (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) (٤) فالمراد : أهل القرية وأصحاب العير، فسمى الخلل باسم عله مجازًا مرسلًا ، وفي المثل عن الحقيقة إلى المجاز إشارة إلى خروج أمر السرقة ، واشتهارها (يَا أَبَانَا إِنَّ إِلَهُكَ مَرْقُوقٌ) (٥) إلى درجة أنه لو سئلت القرية والعير أي الجمادات والحيوانات تطلعت بها وأجابت .

وقوله عز وجل : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) . سَمْعُكَ الزَّيْنَتُ (٦) فالمراد : أهل ناديه لاستحالة دعاء النادى الحقيقي ، تسمية للشيء باسم عله . ومنه قول الشاعر :

إِن الْعَلُوَّ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَالْحَقُّ بَاقٍ فِي الصَّدُورِ مَعْبُودُ

فالمراد بالصدور : القلوب التي عمل بها تسمية للشيء باسم عله .

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة الفرق الآية ٢٠ - | (٢) سورة نوح الآية ٢٧ - |
| (٣) سورة الصافات الآية ١ - ١٠ - | (٤) سورة يوسف الآية ٨٣ - |
| (٥) سورة يوسف الآية ٨١ - | (٦) سورة العنكبوت الآية ٢ - |

علاقة الخالية : وهي أن يذكر اسم الخال ويراد الخال كما في قوله تعالى : «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِغَيْرِ عِلْفٍ لَّيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ وَلَا نَكَاحٌ» (١) فالمراد برحمة الله : حبه لأن الرحمة حالة فيها تسميه للشيء باسم ما يحمل به - وقوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ» (٢) فالمراد بالزينة : اللباس وكل ما تحمل به ، لأن الزينة لا تؤخذ .

ومنه قول للتبى يصف حيرش سيف الدولة :
والأعرجية ملء الطرق علفهم والمشرقية ملء اليوم فرقهم (٣)

المعنى : أن حيرش الجيش قد ملأت الطرق وسيرفه قد سبغت القضاء .. فمعهم باليوم وأراد : القضاء الذي يحمل به اليوم ويأتي عليه الليل والنهار ، فهو يحاز مرسل علاقته الخالية .

وقول الأعر :
ألا على من وقولا للبره سقتك القوادى مربعا بعد مربع (٤)

أراد : ألا على من فذكر الخال وهو من وأراد ما يحمل به وهو المربع .

علاقة الآلية : وهي أن يعبر عن الشيء باسم الآلة التي يحصل بها كما في قوله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» (٥) والمراد : إلا بلغة قومه

- (١) سورة آل عمران الآية ٦٠ - (٢) سورة الأعراف الآية ٣١ - (٣) الأعرسية : الخيل المنسوبة إلى كعرج وهو فارس كريم لدى حلال والمشرقية : شيرف (٤) ألا : ألا به - والقوادى : السحاب ينشأ غنوة ومفردها : غنوة - مربع : أربعة أقدام متوافقة . (٥) سورة إبراهيم الآية ٤ -

فذكر اللسان وأراد اللغة لأنه آلة للتعبير عنها ..وقوله تعالى : (**وَجَعَلْنا لِي لِسَانًا صِدْقًا فِي الْآخِرِينَ**) (١٦) المراد : جعل لي ذكرا حسنا بانوم بعد محامتي ، فسمى الذكر لسانا ، لأن اللسان هو الآلة التي يوجد بها الذكر والنساء .

ومنه قوله عز وجل : (**قَاتُوا بِهِ عَلَى أَشْيَنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ**) (١٧) غير بالعين وأراد البصر والرؤية لأن العين آلة الإبصار فهو مجاز مرسل علاقته الآلة .

علاقة المجاورة : وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما يجاوره ، وذلك إذا كثر اقتران الاسمين ومجاورتهمما كثرة تسوغ استعمال أحدهما مكان الآخر ، كما في إطلاق لفظ قرلوية على المرادة أى قرية الماء من قولنا: شربنا من الرلوية أو جعلت الرلوية من الماء ، الرلوية اسم للبعير الذى يحمل عليه الماء فلما كثرت مجاورة المرادة للظهور الرلوية أطلق على المرادة اسم الرلوية مجازاً مرسلًا علاقته المجاورة .

ومنه قولنا ركب الفرسان مسروجهم ، تريد خيوطهم فسميت الخيول مسروجها لكثرة مجاورتها للظهور الخيل .. وقولنا أصابتنا السماء تريد الغيث المجاور عادة لجهة السماء .. وقولنا : حر الغلام الخفض تريد البعير القزبل المخصص لحمل الأمتعة الخفيفة والخفض : اسم للحمير الناقة من مشاع البيت فسمى البعير باسم ما يحمله لعلاقة المجاورة..ومنه قول عنزة العيسى :

فشككت بالرمح الأصم لئانه ليس الكريم على القنا محرم

وقول ليلي الأحيالية :

وموها يلقاب خفاف فلا ترى لها شيها إلا النعام المنفرا

(١٦) سورة الشعراء الآية ٦٦ .

(١٧) سورة الشعراء الآية ٨٤ .

ذكر عبدة الثياب وأراد الجسد ، وذكرت ليلى الأبواب وأرادت الرجال الذين ركبوا الإبل فرسوها بأنفسهم ، وذلك على طريق المجاز المرسل لعلاقة المجاورة .
وقول الآخر :

إن لنا أحجرة عجلاً يأكلن كل ليلة إكلاً (١)

أطلق لفظ الإكاف على العلف الذي تأكله الأحجرة للمجاورة لأن العلف يعمل على الإكاف ، ويحصل أن تكون العلاقة السببية لأن من الإكاف سبب في الحصول على العلف .

علاقات أخرى : ومن علاقات المجاز المرسل : اللزومية وهي أن يطلق اسم اللازم ويراد الملزوم كقولنا : نظرت إلى الحرارة والمراد : نظرت إلى النار أو إلى مولد الحرارة ... فالحرارة يلزم لها وجود نار أو مولد لها والنظر يكون إلى النار أو إلى هذا المولد . ففي لفظ الحرارة مجاز مرسل لعلاقته اللزومية حيث أطلق اللازم وأريد الملزوم وقد يطلق الملزوم ويراد اللازم كقولنا : دخلت الشمس في الساعة والمراد : دخل الضوء ، فالضوء لازم للشمس .

ومن ذلك قوله تعالى : (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَ) (٢) وقوله عز وجل : (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَتَّبِعَ إِذْ أَمَرْتَهُمْ) (٣) فاللغوي الحقيقي للفظ : "منع" هو الصرف عن فعل الشيء والمعنى المراد منه في الآيتين هو الدعوة إلى تركه ، فيكون معنى : ما منعك .. ؟ مادعاك إلى ترك الاتباع .. والسجود ؟ من استعمال اسم الملزوم وهو الشئ والصرف عن الفعل وإرادة لازمه وهو الدعوة إلى تركه .. وهذا معنى سليم لا يخرج إلى القول بزيادة " لا " في الآيتين وهو رأى الإمام السكاكبي .

(١) أحجرة : جمع حجر وصفاً : جمع علفاء وهي للزينة والإكاف : بركة الحمار .

(٢) سورة غة آية ٩٣ . (٣) سورة الأعراف آية ١٢ .

وفي الآيتين وجوه أخرى أهمها :

١. أن لفظ منع على معناه الحقيقي و "لا" صلة "زائدة" والمعنى : ما صرفك عن اتباعي .. وعن السجود ؟

٢. أن " منع " ليس مأخوذاً من المنع بمعنى الصرف بل من المنع والحماية فيكون المراد : ما حماك متى حين تركت السجود ؟ وما حماك حين تركت اتباعي ؟ وعندئذ لا يخار في اللفظ ، لأن منع بمعنى حمى : حقيقة لغوية .. ولا يقال إن جواب "هارون" (قَالَ يَا إِبْنُ أُمِّ لَآءٍ تَأْخُذْ بِحَبِيبِي وَلَا يَزَالِي) (١) بجواب إبليس (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (٢) .. يعطلان هذا الرأي إذ الجواب الصحيح ينبغي أن يكون : حماي كذا لو حماي فلان .. . لأننا نقول: الجواب لا يتحتم أن يكون على وفق السؤال بل كثيراً ما يجاب المستفهم بغير ما يتطلب استفهامه لسر بلاغي يقتضيه المقام كما في الآيات الكريمة : (وَتَقُولُونَ لَوْلَا أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِن رَّبِّنَا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلُونَ) (٣) .

(اتَّبِعْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُخْرِجُواكَ مِنَ الْأَرْضِ وَيَنذِرَكَ بِمَا كُنتَ تَعْمَلُ) (٤) .

(مَا هَذِهِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ عَشْرُونَ مِائَةً أَلْفًا مِّنَ الْمَلَائِكَةِ) (٥) . إلى غير ذلك من الآيات الكريمة (٦) .

(١) سورة الأعراف آية ١٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٧ .

(٣) سورة طه آية ٩٤ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠٠ .

(٥) سورة الأنبياء ٥٢ .

(٦) يرجع إلى كساليب الاستفهام في القرآن الكريم ص ٢٩٤ .

والسر البلاغي في العنود عما يتطلبه السؤال في الآيتين إلى ما عليه النظم الكريم هو التسليم بأنه لا كاليء يخرسه ولا حامى يحميه وكان للسؤال قد قش ونقب فلما لم يجد منعة ولا حماية أجاب بما أجاب .

٣ - أن تكون الآيتان بتقدير " في " لا " من " واللعنى : ما سب امتناعك في تركك اتباعي .. وفي تركك السجود .

ومن هذه العلاقات : التعاضد الاشتقاقي وهو أن يذكر اللفظ ويراد ما اشتق منه من اسم الفاعل أو المفعول كقوله تعالى : (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) (١) وقوله عز وجل : (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) (٢) حيث أطلق المصدر في الآيتين وأريد اسم المفعول .. ومنها العموم والخصوص كقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) (٣) فالمراد بلفظ الناس الأول : المبطلون ، وبالناسي أبو سفيان ومن معه من المشركين .. وكقوله عز وجل : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (٤) فالمراد بالناس النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم .. فقد ذكر لفظ العموم في الآيتين وأريد به الخصوص .

ومنه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) (٥) ، وقوله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ مِنْ بَيْنَيْهِنَّ) (٦) فقد ذكر لفظ " ههنا " صلى الله عليه وسلم في الآيتين وأريد به كل مكلف فهو من إطلاق لفظ الخاص وإرادة العام.

- | | |
|---------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة لقمان الآية ١١ . | (٢) سورة البقرة الآية ٢٢٥ . |
| (٣) سورة آل عمران ١٧٣ . | (٤) سورة النساء ٥٤ . |
| (٥) سورة الأحزاب ٦ . | (٦) سورة الطلاق ١ . |

ومنها علاقة الضدية كقولنا : منرت في مسافة ممتدة والمراد : صحراء مهلكة وقولنا : انظر أيها الأعمى ، في مقام التوبيخ فالمراد بلفظ الأعمى : البصير وكذا إطلاق لفظ " السليم " على " اللدغ " أو " المرح " وإطلاق لفظ " الملآن " على " الفارغ " . ومنها علاقة الإطلاق والتقييد وهي أن يكون اللفظ مقيدا فيطلق عن قيده كما في قول رؤية بن المعجاج :

ومقلة وحاجبا مزججا ولاحقا ومرسا مسرجا (١)

فالمرس : اسم فعل الرسن وهو ألف البعير أطلق عن قيده وأريد به : مطلق ألف فصيح إطلاقه على ألف الإنسان باعتباره أحد أفراد هذا المطلق هذا هو رأى السكاكي ويرى عبدالقاهر أن اللفظ بعد أن يطلق يقيد ثانية فلفظ " المرسن " أطلق عن قيده وأريد به مطلق ألف ثم قيد مرة ثانية وأريد به ألف الإنسان . فالسكاكي يرى أن التكلم قد تصرف تصرفا واحدا وهو إطلاق اللفظ عن قيده وعبدالقاهر يرى أن التكلم يحتاج إلى تصرف ثان وهو التقييد بعد الإطلاق ... ومن ذلك إطلاق " للشعر " على خشفة الإنسان وهي في الأصل للبعير .. وإطلاق الخرطوم على أنفه وهو في الأصل للفقيل كما في قوله تعالى (مَسْبُحَةٌ عَلَى الْخُرْطُومِ) (٢) أطلق الخرطوم على أنف الوليد بن المغيرة وهو في الأصل للفقيل .

أجهزة الخيال من الفائدة والمقيد : أجهزة المرسل إذا كانت علاقته : الإطلاق والتقييد فهو خيال من الفائدة لأنه لا يخرج عن استعمال اللفظ في أعم مما وضع له عند السكاكي وعن استعمال المقيد في مقيد آخر عند عبدالقاهر فكان هذا الاستعمال كاستعمال اللزاقات في أن كلا من اللفظين لا يفيد معنى أكثر مما يفيد الآخر .

(١) شام : شعر شديد السرمد - والمرج : نسبة إلى مرج أو إلى فراج فالمراد على الأول : شمس والآخر : الأسنود وعلى الثاني : الحسن والجملة .

(٢) سورة القم ١٦ .

أما إذا كانت علاقته غير الإطلاق والتقييد فإنه لا يحد أن يفيد قائمة تختلف باختلاف نوع العلاقة . . . فتوجه السؤال إلى القرية وإرادة أهلها يفيد المبالغة في شيوخ أمر السرقة . . . والتعبير بالرزق عن الماء وبأسنمة الآبال عن الغيث يفيد إبراز السببية والإشارة إلى تكفل اللؤلؤ عز وجل بالأرزاق وإلى تعليق نفس العريى ولفظه إلى الغيث . . . وهكذا على نحو ما مر بك في تلك العلاقات .

تحول الجاز الخالي من الفائدة إلى مفيد : الجاز المرسل الذي علاقته "الإطلاق والتقييد" حال من الفائدة - كما ذكرنا - لأن المراد بتلك العلاقة مجرد التعبير عن هذا المعنى بذلك . . . التعبير مثلاً عن الأنف بالترس وبالحطوم ، وعن الشفة بالمشفر . . . دون قصد إلى ذم أو حماء أما إذا قصد ذلك فإنه عندئذ يصير مفيداً ويخرج من دائرة الجاز المرسل إلى دائرة الاستعارة للتبعية إذ تصبح علاقة الجاز حينئذ تشابهية .

من ذلك قول الغزدي في المجاء :

فلو كنت ضيياً عرفت قرابتي ولكن زجى غليظ المشافرو^(١)

شبه شفتيه بشفتي البعير في الخلط ثم استعمال لفظ المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة وهو يراد بذلك إلى ذمه وتقييد صورته .

وقول الحطيفة بخاطب الزبرقان بن بدر :

فَرَوْا جَارَكَ الْعِيْمَانَ مَا جَلَوْتَهُ وَقَلَصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافَرَهُ^(٢)

(١) اسم لكن عذوف وفقدان : ولكنك زجى .

(٢) فرؤا : أضافوا من قري - عيمان : قطبان إلى شرب لبن . . . وقص : تقير وتكسر من تكسير الشراب فارد يعني أنه لم يجد عنه إلا الماء .

أراد الخليفة أنه يقي في حوار الزبرقان وهو فلان إلى اللين ولم يجد في حوار
ما يسد به رمقه سوى الماء الذي أثر في ثغبيه فتألمعت وصارتا كثنيتي البحر فلما صار
إلى غره وترك حواراً أكرمه بذلك الغر .

والشاهد في البيت : استعارة الميثاق للشقاء فبهاً بصورتها وتشويهاً لظفرها
ليتي ذلك عن سوء معاملة الزبرقان له .

ومنه قول الآخر :

سامعتها أو سوف أجعل أمرها . إلى ملك أظلاله لم تشق

يقول : سامعتي نأني أن تنو إلى أحد أو أجعل وجهة سيرها إلى ملك عظيم
عريق في الملك لا إلى عبد دحبل على تلك مشق الأظلال . . . والشاهد في البيت :
استعارة الأظلال وهي لما أخذ من الحيوان لأظافر المذكور على سبيل السحرة والتهكم
فالجامع بين الأظافر والأظلال هو تشققها وسوء منظرها والشاعر في هذا البيت يعرض
بأحد الملوك .

ومن ذلك قوله عز وجل : (مَسْكُوتٌ عَلَى الْخُرُطُومِ) (١٦) أطلق لفظ الخرطوم
وهو اللقب على أنف ذلك المعاند على سبيل السحرة والتهكم . . . فلفظ الخرطوم
مستعار للأنف وليس بمجازاً مرسلاً .

الزوايا البلاغية للمجاز المرسل : لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز المرسل إلا لإفادة
أسرار متنوعة وتحقيق أغراض بلاغية متعددة أهمها ما يلي :-

(١٦) سورة النجم آية ١٦ .

١ - الإيجاز كما في قولنا : رعبنا الغيث .. فهو كوحز من قولنا رعبنا النبات الذي كان الغيث سببا في غوه واضطراره ، فقد طوى السبب وذكر في موضعه السبب .. وكما في قوله تعالى : (وَيَنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) (١) : أى : ينزل الماء الذي ينسب في إيجاد الرزق .

٢ - المبالغة كما في قوله عز وجل : (يَجْعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) (٢) فقد ذكرت الأصابع في موضع الأذن مبالغة في تعطيل أسمعهم لشدة عتوهم وتغورهم وإعراضهم عن الحق .

٣ - يفسح مجال التعبير أمام الأديب أو المتكلم فمعنى طريق المجاز يستطيع أن يتخير الألفاظ الملائمة للقافية أو الفاصلة ، وأن يتجنب الألفاظ التي تخل بفصاحة الكلام ، فيؤك الحقائق ويستعمل المجازات حتى يسلم تعبيره عما يتل بفصاحته .

٤ - يعين المتكلم على تحقيق ما يهدف إليه من أغراض . كالتعظيم والتحقير والتحويل وغير ذلك ، نقول : رأيت العالم ، أقصد : رأيت طالب العلم الذي سيصور عالما .. فأنت بذلك تعظمه وترفع من شأنه .. وتقول : انظر إلى الجيفة كيف يلعن ويتكبر .. تريد من سيموت ليصبح حقيقة منتنة ، فأنت بهذا تحقره وتضع من شأنه .. ومن ذلك قوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَرَارَ الْبُقُوعِ) (٣) أمادات الآية شدة القول والوعب ، والحرف الذي اتاهم ، والذي من أجله حاولوا إغفاء أسمعهم بأنفسهم ما يستطيعون .

٥ - كما لا يخفى المجاز المرسل من عيال يعرض للسامع عندما يمر بهذه المعاني الحقيقية لتلك الألفاظ التي سرعان ما تتلاشى أمام المعاني المجازية

(١) سورة نوح الآية ٧ .

(٢) سورة غافر الآية ١٣ .

(٣) سورة طه الآية ١٩ .

المقصودة . . هذا الخيال يحقق الجمال وإمتاع النفس التي ترى النبات والبرق بمختلف
صنوفه يتدفق من السماء ، وأسنة الأبال يسعى بها السحاب . . وهذا يأكل دما
ويخضعه بأسنانه . . وذلك يأكل نارا فتكوى بها أحشائه . . هذه الصور تخطر في النفس
فور سماع جملها وهي وإن كانت تزول سريعا أمام المعنى المراد بنصب القرينة إلا أنه
تخطورها بتحقيق إمتاع النفس وإثارة الذهن ففتح المعاني في النفس موقعها . . إلى غير
ذلك من الأغراض البلاغية والأسرار واللطائف التي تكمن وراء أساليب الخراز المرسل .

الاستعارة

تختلف الاستعارة عن المجاز المرسل - كما سبق - في أن العلاقة فيها بين المبتدئ والأصل الذي وضع له اللفظ ، والمجازي الذي استعمل فيه هي علاقة التشابه
 أن تعرف الاستعارة بالمعنى الأصح فنقول : هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له علاقة التشابه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، أو أن تعرفها بالمعنى اللغوي فنقول : هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له علاقة للتشابه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ولذا أصبح الاشتقاق يقال : لفظ مستعار ، ومتكلم مستعير ، ومعنى مستعار منه وهو المثل به ، ومعنى مستعار له وهو المثل به

ومن شواهدنا قوله تعالى في شأن المنافقين : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ۖ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ (١) ، حيث استعمل لفظ المرض من العلة الجسمانية للتفاق ، والعلاقة هي التشابه الحاصلة بين المرض والتفاق في أن كلا منهما يفسد ما يتصل به ، المرض يفسد الأجساد والتفاق يفسد القلوب ، والقرينة المانعة من إرادة المرض الجسماني هي أن الآية الكريمة مسوقة لذكر المنافقين الذين أبطروا الكفر وأظهروا الإسلام ، ولا معنى لأن يكون الهم في وصفهم بالمرض الجسماني ، بل المراد ، ذمهم بفساد قلوبهم ، والعنود عن الحقيقة إلى الجاز في الآية الكريمة بنى ، يتمكن التفاق واستحكامه واستقراره في قلوب المنافقين ، حتى صار مرضا مازج دماهم واستشرب فيها . . . ومنها قول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مفذف له لبد أظفاره لم تقلم (٢)

(١) سورة فرقان آية ١٠ .

(٢) شاكى السلاح : من الشوكة وهي فترة وأسله : شاك ، فنه قلب مكاني ، والمراد أنه قرى نام السلاح والفتاف : الذي يرمى به كحجر أو يوقع نكره ، أو الذي يذف بالقسم ، ولقد : الشعر التجمع بين كلفي الأسد

حيث استعار لفظ الأسد للبطل الشجاع للدمج بالسلاح وقد أضفت الصفات المذكورة : " مقذف له ليد أظفاره لم تقلم " ، أضفت على الاستعار له الواسع من القوة وصنوفها من البطولة للقائفة .. ووضح لك أن التشبيه في كل من الآية والبيت قد طوى وطرح وذكر في مكانه التشبيه به ..

ومنها قول أبي ذؤيب المذلي :

وإذا التفت أنشبت أظفارها ألقيت كل قيمة لا تنفع

فقد جعل للمنية أظفارا تشبها في قريستها ، حيث شبهها بالسبع وطوى التشبيه به وأما له بشيء من لوازمه وهو الأظفار والإنشابة اللذان كُتِبَهما للمتشبه ... وهذا الإتيان قرينة الاستعارة .

هذا وقد عرف الخطيب القزويني الاستعارة بقوله : " هي ما كانت علامته تشبيه معناه بما وضع له " (١) فهي مبنية على التشبيه وقائمة عليه ومتضمنة له ، كما رأيت في الشواهد ، ولا يصح فيها إلا بطرف واحد من طرفي التشبيه ، فإن صرح في العبارة بطرفي التشبيه معا نحو : محمد أسد، ورأته غمرا ، ولين سأله لتساكن به الغيث ، فهل يعد مثل هذا الكلام من قبيل الاستعارة أم يعد تشبيها ؟ هذا ما سنقف عليه فيما يلي إن شاء الله .

الفرق بين الاستعارة والتشبيه البليغ

عرفنا أن جملة التشبيه تتكون من مشبه ومشبه به وأداة تشبيه ووجه شبه وأن هذه الأجزاء قد تذكر جميعها فيقال : أنت كالبحر عطاء ، وقد يهدف الوجه فيقال : أنت

(١) الإيضاح ج ٣ ص ١٠٤

كالبحر أو الأداة فيقال أنت البحر عطاء ، ولا خلاف بين العلماء في كون هذا تشبيهاً وليس استعارة . . . وقد حذف الأداة والوجه معاً فيقال : أنت الأسد أو أنت أسد أو هو بحر ويسمى هذا بالتشبيه البليغ - كما مر بنا - وقد يلحق بالأداة والوجه المشبه فيحذف ويتروى تقديره لا يفرح منسياً إذ هناك فرق بين الحذف مع نية التقدير كقولته تعالى (عَسَىٰ) بُكُمْ عَسَىٰ) (١) ، وقوله القاتل :

أسد علي وفي الحروب نعامه فتعاضد نفر من صغير الصالح

وبين الحذف مع نسيان المخالوف وعدم إرادته كقولنا : رأيت بحراً يختطف الناس في المسجد ، فقد حذف المشبه هنا ولا يشأني تقديره بل إن تقديره يتخل بالمعنى ويغير الأسلوب ويحول مجرى الكلام . . . وقد اختلف العلماء في التشبيه البليغ وهو الذي حذف أدواته ووجهه أو لحق بهما المشبه على نية تقديره وإرادته ، فبعضهم عدّه تشبيهاً وبعضهم جعله استعارة وبعضهم فصل القول فجعل منه تشبيهاً في بعض السياقات واستعارة في البعض الآخر . . . أما إذا حذف المشبه ولم يرد بل دخل في جنس المشبه به وعد فراداً من أفراده نحو : رأيت أسداً يمارب بسيفه . . . أو حذف المشبه به ورمز له بالآزم من لوازمه وأخرى هذا اللازم على التشبيه فجعل له نحو : أنشبت الشية أنظفارها ، فلا خلاف بين العلماء في كون هذا استعارة وليس بتشبيه . . . الخلاف إذاً ينحصر في التشبيه البليغ تشبيه هو أم استعارة ؟ وإليك بيان آراء البلاغيين في ذلك .

رأى جمهور البلاغيين : يرى أكثر البلاغيين أن نحو قولنا : محمد أسد ، وكنان عبالد أسداً ، وعلمت علياً بحراً ، وفر ابنيان نعاماً ، ومررت بفتاة بدر . . . وقول التنبسي مادحاً :

أسد دم الأسد المزيّر عطاءه موت فريص الموت منه برعد(٢)

(١) سورة البقرة آية ١٨ .

(٢) لغزير : كثرى نزاع الأسماء - ولغضاب : الخفاء - وفريص : جمع فريصة وهي شاة بين الفدى والكسف أو بين الغلب والكنف .

أى : أنت أسد وموت .. وقول عمران حاجيا :
أسد على وفي الحروب لعامة فتخاء تنفر من صغير الصافر

أى : أنت أسد ولعامة .. يرون أن مثل هذا تشبيه بليغ ويفرقون بينه وبين
الاستعارة من عدة وجوه :

أولها : أن التشبيه به فى التشبيه البليغ محكوم به على التشبيه - كما فى الشراعد
المذكورة فقولنا : محمد أسد ، أماد إثبات معنى الأسدبة محمد فمحمد
محكوم عليه وأسد محكوم به ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التشبيه ، إذ
يستحيل كون محمد أسداً على الحقيقة ، وهذه الاستحالة قريبة على أن
مقصود التكلم إثبات مشابهة محمد لحقيقة الأسد ، لا إثبات حقيقة
الأسد له .. أما فى الاستعارة فالتشبيه به محكوم عليه بغيره فقولنا :
كلمت أسداً وعنت لنا غلبة ، التشبيه به ، وهو الأسد والغلبة محكوم
عليه ، إذ الكلام وقع على الأسد ، والظهور وقع من الغلبة ، فالسياق
ليس لإثبات التشبيه كما فى "محمد أسد" وإثبات الظهور -
والكلام المحكوم بهما على التشبيه به ..

ثانيها : أن التشبيه غرض مقصود لذاته فى التشبيه البليغ لإفادة اللبالة وليس
وسيلة لإفادة غيره ولذا استحق اسم التشبيه ، أما فى الاستعارة
فالتشبيه ليس غرضاً مقصوداً لذاته ، بل هو مقصود تبعاً إذ هو وسيلة
يتوصل بها إلى جعل التشبيه واحداً من أفراد التشبيه به ولذا تتناساه
وتتجاهله فيطوى التشبيه ويحذف وأحياناً توضح الاستعارة بأوصاف

لا تلائم للشبه ولا توجد فيه بل توجد في المشبه به ، كما في قوله تعالى : **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ قَمَاسًا زَبْحًا يَبْتَاعُهَا نَفْسًا وَمَا يَشَارِكُهَا إِلَّا أَنفُسُهُمْ** (١) حيث استعير الشراء للاختيار ثم رُشحت الاستعارة بذكر ما تلائم المستعار منه أي المشبه به وهو الربح والتجارة فهما بلاغاً "الشراء" المستعار منه .

ثالثها : أن للشبه في التشبيه البالغ مذكور في الكلام إما لفظاً أو تقديرًا - كما في السواعد المذكورة - ، أما في الاستعارة فيجب حذفه وطيه ونسبه - كما رأينا - ، ولذا كانت المبالغة في الاستعارة أقوى والخيال أشد ، فقد يقع في الوهم أن المشبه به مراد به معناه الحقيقي لا المجازي ، وذلك قبل الوقوف على القرينة ، فإذا قلنا: رأيت أسداً يتخطب الناس فقد يقع في الوهم قبل أن نقف على القرينة أن المراد: الحيوان المفترس ، وسرعان ما يتدفع هذا التوهم بالقرينة . . . وذلك لا يتأتى في التشبيه البالغ لوجود التشبه لفظاً أو تقديرًا . . .

رابعها: هناك من الأساليب ما صرح فيها بلفظي المشبه والمشبه به وحللت منها أداة التشبيه ووجه التشبه ، ولكن لم يقع المشبه به عبثاً عن المشبه ولا في حكم الخبر . . . وذلك كأسلوب التجريد في نحو : نحن سالكات فلاناً لنسألن به البحر ، ولقيت بفلان أسداً وقابلت به بهراً ، فقد ذكر المشبه وهو فلان والتشبه به وهو البحر والأسد ولم يقع المشبه به عبثاً عن التشبه . . . ولذا لم يقل أحد بأن هذا الأسلوب تشبيهي ببالغ ، وفي ذات الوقت لم يقل بأنه استعارة . . . بل هو تشبيه بالاتفاق ولكن الخلاف في كونه تشبيهاً صريحاً أم تشبيهاً ضمناً ، وأكثر البلاغيين

(١) سورة البقرة آية ١٦ .

على أنه تشبيه ضمني ، فهو أسلوب مستقل يتضمن التشبيه ولهذا يقع في بعض صوره ما لا يفيد التشبيه أصلا ، كقولنا : لي من فلان صديق حميم . . . ولقيت به رجلا كريما . . . ومن تلك الأساليب قول الله عز وجل : " وَكَلَّمُوا وَاسْمِعُوا حَتَّى يَخْبِتَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ " (١) فقد صرح بالمشبه به وهو : "الخيوط الأبيض" ، و "الخيوط الأسود" وبالمشبه وهو "من الفجر" ودل السياق على إرادة التشبيه الآخر المقابل للخيوط الأسود وتقديره "من الليل" ، وحذفت الأداة ووجه التشبيه ، ولم يقع المشبه به خوفاً عن التشبيه ولا في حكم الخبر كما هو واضح . . . ولذا . . . فهو ليس بتشبيه بليغ وفي نفس الوقت ليس باستعارة وإنما هو تشبيه ضمني . . . يقول الزعزعي : (إن قوله "من الفجر" أخرجه من باب الاستعارة ، كما أن قولك : رأيت أسداً مجازاً فإذا زدت من فلان رجح تشبيهاً) (٢) . . .

ومنها قولك : ضوء الشمس مسروق من ضوء جبينه ، وقول أبي تمام :
لا تتكرى عطل الكريم من الهني فالسيل حرب للمكان العالي

وقول المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لرحم بيت إيلام

فليس هنالك أداة تشبيه مذكورة ، ومع هذا أضافت تلك الأساليب التشبيهات الضمنية ، حيث استشف منها طرقا تشبيهية .

رأى بعض البلاغيين : ويرى بعض العلماء أن هذا الأسلوب أي : التشبيه المحذوف الوجه والأداة ، والذي يقع المشبه به فيه خوفاً عن المبتدأ أو في حكم الخبر ، كما في الأمثلة التي مرت بك . . . برونه استعارة لاتشبيها . . . ويختصرون لأربهم بما يلي :

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

(٢) فكتاف ج ١ ص ١٧٥ .

١ - أن فيه ما في الاستعارة من المبالغة في دعوى الاتحاد بين التشبيه والتشبيه به . .
 ٢ - أن حمل التشبيه به على التشبيه والحكم به عليه في نحو محمد أسد يرجع إلى أن اللفظ "أسد" ليس مستعملاً في معناه الحقيقي الذي هو الحيوان المفوس بل هو مستعمل في معنى "الغري" فحملة على "محمد" باعتبار أن محمداً أحد أفراد "الغري" ، وهذا الحمل صحيح لاتحاد الحقيقتين ومن ثم كان لفظ "أسد" استعارة لا تشبيه .

والواقع أن الخلاف بين الرأيين اللفظي - كما ذكر الخطيب - ومرجعه إلى الاختلاف في تعريف كل من التشبيه والاستعارة وإلى محاورتهم تصحيح الحمل في نحو: محمد أسد فمن عرف التشبيه بأنه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بأداة مذكورة أو مقدرة أخرج التشبيه البليغ من الاستعارة وكذلك من عرف الاستعارة بأنها المجاز الذي تضمن تشبيه المعنى المراد بالمعنى الذي وضع له اللفظ أخرج أيضاً التشبيه منها لأنه يلزم عليه تشبيه الشيء بنفسه ، وقد صيغ هؤلاء الحمل في نحو : محمد أسد بتقدير أداة التشبيه . . ومن عرف التشبيه بأنه الدلالة على مشاركة أمر لآخر بأداة مذكورة لا محذوفة جعل التشبيه البليغ استعارة ، وكذا من عرف الاستعارة بأنها الكلام الذي بني التشبيه فيه على حذف الأداة ودعوى الاتحاد بدخول التشبيه في جنس التشبيه به . . وقد صيغ هؤلاء الحمل في نحو : محمد أسد بأن محمداً بعد أحد أفراد "الغري" الذي استعمل فيه لفظ الأسد .

رأي عبدالقاهر : يرى الإمام عبدالقاهر أن التشبيه الذي حذفته أدواته ووجهه ووقع التشبيه به فيه محواً عن البتة أو في حكم المحو ، يرى أن مثل هذا من التشبيه وليس استعارة ولكنه يعود فيفصل القول فيه على النحو التالي :

١ - بعض حمل هذا التشبيه لا يبرز تسميتها استعارة وهي تلك الحمل التي يمكن دخول جميع أدوات التشبيه عليها ويكون دعواها مقبولا ومستباحا ،

ويتحقق ذلك إذا كان التشبيه معرفة نمر : محمد الأسد ، وهند جنس النهار فيمكننا أن نقول : محمد كالأسد وكان محمداً الأسد وهو مثل الأسد ويشابه الأسد وخلفه الأسد ، وكذا هند كشمس النهار وكأنها جنس النهار وجسيتها جنس النهار وهي مثل جنس النهار وتشبه جنس النهار . . .

٢ - بعضها يجوز تسميته استعارة ولكن تسميته بالتشبيه أقرب وأفضل ، وهي تلك الجمل التي يحسن دخول بعض أدوات التشبيه عليها دون بعض وذلك إذا كان التشبيه به نكرة نمر زيد أسد ، وهند بدر فيحسن أن نقول : كأن زيدا أسد وكان هنداً بدر وخلفه أسداً وعلمتها بدر ، ولا يحسن أن نقول : هو كأسد وهي كبدر ، ولذا صار له شبه ما بالاستعارة في عدم تقدير الأداة معها . . .

٣ - بعضها يوضح تسميته استعارة وهي الجمل التي لا يحسن تقدير أداة من أدوات التشبيه فيها إلا بتغيير في بنائها وذلك بأن يكون التشبيه به نكرة موصوفة بأوصاف لا تلائم نمر : فلان بدر يسكن الأرض وهو جنس لاتغيب . . . وقول البحري :

جنس تألق والقراق غروبها **عنا وبدر والصلود كسوفه (١)**

فلا يحسن تقدير الأداة هنا إلا بتغيير في صياغة الكلام فيقال : فلان كاليدر إلا أنه يسكن الأرض . . . وكالشمس إلا أنه لا يغيب وكالشمس التألق إلا أن القراق غروبها كاليدر إلا أن الصلود كسوفه ، وذلك لأن دخول الأداة بدون تغيير يؤدي إلى التشبيه بشيء مجهول لا حقيقته له . ولذا غابت النكرة إلى معرفة ليكون التشبيه به هو جنس اليدر لا واحداً من أفرادها ، وجيء بالاستثناء ليعرف الوصف يسكن الأرض عن اليدر الحقيقي إلى اليدر الادعائي وهو المعلوم . . . وهكذا . . .

(١) تألق : أي تألق بعض نلح فملقت لنام . والصلود : الإمراض . . . والكسوف : قد يطلق على استعاب القمر كما يطلق على استعاب الشمس .

٤ - بعضها يتعين حملها على الاستعارة وهي تلك الجمل التي يستحيل تقدير
كلمات التشبيه فيها ، لأن تقديرها يؤدي إلى التناقض وإفساد غرض التكليم ،
وذلك إذا كان التشبه به تكرة موصوفة بصفات لا توجد فيه ، ومراعاة التشبيه
مهما يفسد معنى الكلام . وينتهي بالفرض منه ، كقول المتنبي :
أسد دم الأسد الغزير عضابه موت فريض الموت منه يرعد

فلا يقال : هو كأسد دم الأسد الغزير عضابه . . لأن مقتضى التشبيه أن يكون
التشبيه به أقوى من التشبه كرملة في قوته ، وقوله : "دم الأسد الغزير عضابه" يقتضى
أن يكون المدح أقوى من الأسد ، وهذا تناقض ، ولكن حمل البيت على الاستعارة
يدفع هذا التناقض حيث تكون الصفات المذكورة منصبة على المدح لا على الأسد
وكذا القول في تشبيهه بالموت . . ومن ذلك قول البحوى :
ويلر أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلى منه أسود مظلم

فلو قلنا كأنه يدر أضاء . . لو هو كيدر أضاء الكون إلا موضع قدمي . . لأدى
إلى التشبيه بمجهول لا وجود له ، وللعجب يفرض البحوى وهو أن المدح يعم الناس
بغوره ويخصه بالخرمان ، وحمل البيت على الاستعارة يدفع ذلك ويحقق غرض الشاعر ، إذ
تكون هذه الصفات حاربه على المدح لا على الكيدر ، وهذا تتحقق المبالغة التي يقصدها
البحوى . . .

أى هذه الآراء أرجح : وأرجح هذه الآراء رأى الجمهور ، وهو أن التشبيه
البلغ تشبيه وليس باستعارة حيث صرح فيه بطرفي التشبيه . . وسأبراه عبدالقاهر من
ترجيح إطلاق اسم الاستعارة على بعض صورته ونحتم إطلاقها على بعض ، يمكن دفعه
بأن الكلام فيها مبنى على الخيال ، وعلى تصور وجود أشياء عيالية وأجناس جديدة
تضاف إلى الأشياء الموجودة والأنماط المألوفة . . فالتنبي يتخيل أسداً دم الأسود عضابه

وموتاً فرائص الموت منه ترعد ثم يثبته بهما مجلوحه . . . ويدور البحرى بدر متخيل يضيئ
جميع الأرض إلا موضع قدمه، وهكذا . . . فهذا لك بدر يسكن الأرض ويحس لا يغيب
وهما من صنع الخيال . . . والذي ينعم النظر فى كلام عبدالقاهر عيسه يحوم حول هذه
الفكرة (١)

أعجاز لغوى الاستعارة أم عقلى ؟ اختلف البلاغيون فى الاستعارة ، هل تعد من
قبيل المجاز اللغوى ، أم هى من قبيل المجاز العقلى ؟ .

ففى جمهور البلاغيين أنها مجاز لغوى ، بمعنى أن التصريف الذى يحدث فيها
تصرف فى دلالة اللفظ ، حيث يتم بتغيير معنى دلالة الألفاظ ونقلها من معانيها الأصلية إلى
معان أخرى . .

ودليلهم على ذلك أن اللفظ المشبه به فى الاستعارة كاليد فى قولنا : صافحت
يداً وضع فى اللفظ للكوكب المضيء ، ولم يوضع للمشبه به "الرجل المشرق الوجه" ولا
لمعنى عام يشمل الكوكب والرجل ، وهو "مطلق مشرق" ، ولذا كانت دلالة على
المشبه عن طريق التشبيه والادعاء ونقل اللفظ من الدلالة على الكوكب المضيء اللامع:
إلى الدلالة على الرجل المشرق الوجه الحسن الطلعة ، وهذا تصرف لغوى ، ولا يقال:
كيف يكون هذا تصرفاً لغوياً ، ولفظ "اليد" لم يوضع للرجل المضيء ، لأنه لو كان لفظ
"اليد" موضوعاً للرجل المضيء لكانت هذه الدلالة عن طريق اللفظ لا عن طريق
التشبيه .

وبالغالب متفقون على أن هذه الدلالة عن طريق التشبيه والادعاء وكذا لو كان
لفظ اليد موضوعاً لمطلق مشرق للزم أن يكون صفة مشتقة ، لا اسم جنس واللغويون
جميعاً متفقون على أنه اسم جنس . . . ولذا كانت الاستعارة مجازاً لغوياً .

(١) انظر أسرار البلاغة ص ٢١٧ وراجع إلى كتابه دراسات بلاغية مبحث الاستعارة وتشبيه الفيلج .

ويرى بعض البلاغيين أنها محراز عقلية ، بمعنى أن التصرف الذي يحدث فيها تصرف عقلي بحث لا دخل للغة فيه ، لأن النقل فيها ليس للألفاظ فقط ، بل هو نقل للألفاظ والمعاني معا فلفظ "الأسد" في قرأنا . . . رأيت أسداً يتكلم ، لا ينقل من الأسدية إلى الرجل الشجاع مجردا عن معناه ، بل ينقل معناه إلى التشبيه ويجعل الرجل الشجاع بواسطة الادعاء واحداً من أفراد الأسود ، وإذا صار واحداً منهم كان إطلاق اسم الأسد عليه حقيقة ، فالتصرف إذاً في تحويل الرنمـل للشجاع من حقيقة الإنسانية إلى حقيقة الأسدية ، بواسطة أمور عقلية هي التشبيه ثم تناسبه وادعاء أنه صار واحداً من أفراد الأسود ، وكلها تصرفات عقلية ، ويؤيد ذلك ما يلي :-

- ١ - أن نقل الاسم لو كان مجردا من معناه لكانت الأعلام المنقولة نحو : يزيد ومنصور وعبد وصخر ، من قبيل الاستعارة ، لأنها نقلت من معانيها الأصلية وصي بها أشخاص دون نقل معانيها معها ، ولذا لم يقل أحد بأنها استعارة . .
- ٢ - لو كان نقل الاسم في الاستعارة مجردا عن معناه لما كانت الاستعارة أبليغ من الحقيقة ، إذ لا أبليغ في نقل اللفظ مجرداً عن معناه .
- ٣ - لو كان نقل الاسم في الاستعارة مجردا من معناه ، لما صح أن نقول فيمن قال: عنت لنا ظبية ، وأراد فتاة جميلة ، إنه جعلها ظبية ، أي أثبت لها معناها ، كما لا يقال فيمن سمى ابنه صخر ، إنه جعله صخرا ، لأن الجعل تحول من جنس إلى آخر ، ولا تحويل في التسمية ، لكن من المسلم به أن من قال : عنت لنا ظبية ، وأراد فتاة جميلة ، أنه يريد أن يجعلها ظبية ، أي : يثبت لها معنى ظبية ، وهذا ويخـ المـشركون بـمعـلهم المـلائكة إنا في قولـه عز وجل : (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ) (١) .

(١) سورة الفرقان الآية ٦١ .

٤ - لولا ادعاء دعول الشبه في جنس الشبه به وصيورته واحداً من أفرادها ، لما صح التعجب في قول ابن العميد بصف غلاماً جليلاً قام على رأسه بظلله من الشمس :

قامت تظللي من الشمس نفس أعر على من نفس
قامت تظللي ومن عجب شمس تظللي من الشمس

لأن ما يوجب التعجب هو الأكر الغريب النادر كشمس حقيقية تظلل من الشمس الحقيقية . . . ولما صح النهي عن التعجب في قول ابن طباطبا :
لا تصحبوا من بلى غلاته قد زر أزراره على القمر (١)

حيث استعار القمر لصاحبه وأدخله في جنس الأتصار فصيح لذلك النهي عن التعجب . . . ومثله قول الآخر :

تري الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر أحياناً فيلبسها
فكيف نكر أن تلي معاجرها والبدر في كل يوم طالع فيها (٢)

حيث استعار البدر للمرأة . . . وأدخلها في جنس البدر فصارت بدراً حقيقياً ، فلم يعد غريباً أن يلبى غطاء رأسها لظلمتها كل يوم فيه ، ولا بهال الإنكار هذا البلى . . .

رد الجمهور : وقد رد الجمهور على هذه الأدلة بأن نقل معنى الشبه به إلى الشبه وادعاء دخوله في جنسه وجعله واحداً من أفرادها مبني على التزييل والافتراض وتناسي التشبيه ، وذلك بقصد المبالغة ، وليس تحويلاً للشبه إلى حقيقة الشبه به في

(١) قال : ففسد - وقطعت : ترب صغر يلقى اليد يلبى تحت ثوب أوسع منه . وزر : شد ، وهم يوحسون أن ثياب الكتان يسرع إليها البلى عند بروزها لغرض القمر ، فكيف إذا زرت عليه ؟ إن البلى عندئذ يكون أشد سرعة إليها .

(٢) بلى : يلقى ويفسد . والفتار : جمع معبر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها .

الواقع . - فاللفظ المستعار لا يخرج عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وصحة التعجب والنهي في الشواهد المذكورة ، لا تقتضي أننا جعلنا المشبه هو نفس المشبه به على الحقيقة ، بل جعلناه داعلاً في حنسه على طريق الادعاء لتحقيق المبالغة ، و فرق بين جعل الشيء الشيء حقيقة وبين جعله لئلا ادعاء وتخيلاً .

هل قيام القرينة المانعة ينال الادعاء ؟ : وقيام القرينة المانعة من إرادة العنى الأصلية للمشي به في الاستعارة لا ينال الادعاء ، لأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به وجعله واحداً من أفراد ، ليس معناه جعل حقيقة المشبه هي حقيقة المشبه به في الواقع ، بل بهذا الادعاء تصبح أفراد المشبه به نوعين : نوع يمثل الحقيقة الأصلية للمشي به ، ونوع يمثل الحقيقة الادعائية والقرينة إنما تمنع إرادة الأصلية ، وتعين إرادة الادعائية وتويع أفراد الجنس الواحد ، ليس بدعا في استعمالات العرب بل هو سنة معروفة فنحن نقول عن الرجل الذي تجاوز الحد في المرأة : إنه ليس بإنسان ، وإنما هو أسد ، فنجعل أفراد الأسد نوعين ، نوع في هيكل الحيوان وجسمه ، ونوع في صورة الإنسان . ومما جاء من ذلك قول المتنبي :

نحن قوم م الجفن في رى ناس فوق طير لها شخوص الجمال

فقد جعل الجفن نوعين : نوع هو الحقيقة الأصلية للجن وهي الأجسام النارية الخفية ، ونوع في صورة الإنس ، كما جعل الطير نوعين : نوع هو الطير ذو الأجنحة ونوع في صورة الجمال .

وقول عمرو بن معد يكرب :

وخيل قد دلفت لها خيل تحية بينهم ضرب وجع

فقد جعل التحية نوعين : نوع بالسلام ونوع بالضرب ، وفي البيست استعارة تهكمية ، حيث نزل مواجهة العدو بالأذى منزلة ملاقاته بالتحية على سبيل السخرية

والتهكم ، والضرب الوجيه قرينة مائعة من إرادة المعنى الأصلي للتحية . . . ومثله قولهم : عتابك السيف جعلوا العتاب نوعين : عتاب الكلام وعتاب السيف وارتلوا إعمال السيف منزلة العتاب على سبيل الاستعارة التهكمية والسيف قرينة مائعة من إرادة المعنى الأصلي للعتاب . . . ولا يجوز جعل التعبيرين من التشبيه اليلغ تشافى ذلك مع المقصود من الكلام) لأنه ليس المراد أن التحية كالضرب والعتاب كالسيف فى شدة التأثير ، ولكن المراد جعل إعمال السيف مكان العتاب ، والمواجهة بالأذى مكان التحية ، قصداً للتسخرية والتهكم . . . وكذا قولهم : جوابك الصمم ، وأجرك المنع جعلوا الجواب نوعين : نوع بالكلام ، ونوع بالصمم والإعراض وجعلوا الأجر كذلك نوعين : نوع متعارف وهو إعطاء المال ونوع غير متعارف وهو المنع ، وعدم العطاء . . . والمراد الثاني على سبيل الاستعارة التهكمية .

ومنه قول عامر بن الحارث النموى :

وبلغة ليس بها أنيس
إلا اليعاقير وإلا العيس (١)

فقد جعل الأنيس نوعين : متعارف وهو الذى يؤنسك من بنى الإنسان وغير متعارف وهو اليعاقير والعيس هذا على جعل الاستثناء متصلاً ، أما على جعله منقطعاً ، فلا يقدر فيه دعول المستثنى منه إلا على رأى بعضهم .

وكذا القول فى الآية الكريمة (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ عَالٍ وَلَا يَنْتُونُ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) ، (٢) حيث جعل السال والبتين نوعين : نوع هو الأمانة والنفوة والرجال . ونوع هو القلب السليم ، هذا على جعل الاستثناء متصلاً ، أما على جعله منقطعاً ، فلا تنويج فى الآية إلا على رأى بعضهم - كما قلنا - وعلى كل فليس فى الآية تشبيه ولا استعارة .

(١) اقراء بالبلغة : الفسادة - واليعاقير : جمع يعقير وهو ولد الفرة الوحشية - والعيس : جمع عيس وموتس عيساء وهى الإبل التى تقاطع يانها سفرة . . .

(٢) سورة الشعراء ٨٨ ، ٨٩ .

الفرق بين الاستعارة والكذب : يزعم البعض أن الاستعارة تدخل في الكذب ، وهذا زعم خاطئ لأن الاستعارة تفارق الكذب من جهتين :

الأولى : أن الاستعارة مبنية على التأويل ، وذلك بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به وصيورته فرداً من أفرادها ، فيصبح المشبه به نوعين : متعارف وغير متعارف على نحو ما مر بك . . أما الكذب فلا يتأويل فيه . . بل إن الكاذب يتبرأ من التأويل .

الثانية : أن الاستعارة لا بد فيها من قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي للفظ المستعار وتصرفه إلى المستعار له ، أما الكاذب فلا يقيم قرينة ولا يناسب دليلاً على إرادة غير الظاهر ، بل يجد ويسأل قصارى جهده ليرز ويظهر صحة ماقله . .

هل تقع الاستعارة في أعلام الأشخاص ؟ : الأصل في الاستعارة ألا تقع في

أعلام الأشخاص كعالم وعمر وزياد ومكة والمدنية والقاهرة وأسيوط ، وذلك لأن هذه الأعلام وضعت للدلالة على ذوات معينة ، فهي تفيد الشخصيات والتعيين ولا تفيد الجنسية المتضمنة للعموم ، والاستعارة تقتضي العموم . ووجود أفراد كثيرين يدخلون تحت جنس واحد ، إذ هي تقوم على ادعاء دعوى الشبه في جنس الشبه به وجعله فردا من أفرادها ... لكن إذا اشتهر علم الشخص بوصف وعرف به صار بذلك شبيهاً بأسماء الأجناس ، مثال ذلك أن : " حاتم " قد اشتهر بالكرم حتى صار إذا أطلق لفظ " حاتم " ، فهم منه معنى الكرم فأصبح بذلك عائلاً وكأنه قد وضع لذي الجود مطلقاً ، وبهذا تصبح استعارة لفظ " حاتم " لكل شخص كريم ... وكذلك القاهرة قد اشتهرت برحمتها وكثرة خضائها فإذا رأيت مدينة مزدحمة ، كثرة الخضراء ، صبح أن تستعير لها لفظ القاهرة فتقول لصاحبك انظر : نحن لسو في القاهرة ويزعجنا زحمتها وخضائها ...

* * *

أقسام الاستعارة

الاستعارة التحقيقية : وهي الاستعارة التي يكون المعنى المراد بها وهو المستعار له أي : الشيء ، له تحقق ووجود يدركه الحس أو العقل ، وليس أمراً عيالياً أو وهمياً ، ولهذا حيث تحقيقية ، وتنقسم عند الجمهور إلى قسمين :

مكتبة وسبأني الحديث عنها ، وتصريحية وهي ما يصرح فيها بلفظ الشيء به المستعار ، كقولنا : رأيت أسداً يطلب الناس ، فالعنى المراد وهو الرجل الشجاع له تحقق ووجود فهو مدرك بالنس ، وقد صرح فيها بلفظ الشيء به كما نرى ... ومنها قول زهير بن أبي سلمى :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف: له ليند أظفاره لم تنقسم

فقد استعار لفظ الأسد للبطل الجسور المدحج بسلاحه الذي يقذف به في المعارك لغوته وحيوته ، وحين جعل البطل أسداً جعل له لب الأسد وأظفاره المنيعة التي لم تنقسم ...

وقول البحري :

وصاعقة في كفنه ينكس يها على رؤس الأعداء حس محالب

فقد استعار الصاعقة لصل السيف لتشابهها فيما يرفعان من أذى ... ثم استعار لفظ المحالب لأصابع المدحج لتشابههما في الجرد والخير .

وقول أبي دلالة يذم بقلته ويصور سورها :

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا برجليها وتكسز باليدين^(١)

(١) الشهباء ، البقلة البيضاء . غدونا : دخلنا القلعة وهي أول النهار ...

فقد شبه حركة وحليها بحركة يدي العاجن في الانزلاق وعدم الاستقرار
فرحلاها لا يلتصق على الأرض ، بل ينزلقان إلى الأمام وكذلك هذا العاجن لا يثبتان في
مكان ، بل ينزلقان لرحابة المعين إلى الأمام . ثم شبه حركة يديها وهما لا يتقدمان إلى
الأمام ، بل ينسحبان إلى الخلف نحو بطنها في تقوس وانحناء ، بحركة يدي الخياط ، حيث
يتبهما إلى صدره في تقوس ليستجمع قوته ويقذف بفأراس المعين داخل الثوب ،
فالشاعر قد استعار العين حركة الرجلين والخيز حركة اليدين ، ثم اشتق منهما ، تعجين
وتعجز على سبيل الاستعارة التبعية ... فالمعنى المجازي المراد في هذه الشوهد وهو البطل
الشجاع ونصل السيف وأصابع الملووح وحركات الدابة ، له تحقق ووجود إذ هو من
المشاهدات الحسية .

وهما يدرك بالعقل قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ الْبَلَاءَ الَّذِينَ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (١) ، أي من الضلالات إلى الهدى فقد استعيرت " الظلمات " للضللال
للضلالات تشابههما في عدم اعتداه صاحبهما ، واستعير " النور " للإيمان تشابههما في
الهداية ، والاستعار هما هما الضلال والإيمان ككل منهما عتق عقلاً ... أما قوله عز
وجل : ﴿ وَخَرَّبَ اللَّهُ مَدْيَنَ قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا زَفْئُهَا زَغَلًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ عَلَيْهَا فَذَلَّلْنَا بِسَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٢) ،
فيحتل أن تكون الاستعارة تحقيقاً حسية ، لو تحقيقاً عقلية ، وذلك أنه صرح بالمشبه به
وهو " قليس " ، فلو جعلنا المستعار له ما أصاب أهل القرية من هم وحزن ، وهول
وفزع ، واضطراب في التفكير ، بسبب ما حل بهم من أحداث ، كانت الاستعارة
تحقيقية عقلية ، ولو جعلناه ما أصابهم من الإعياء وصفرة الوجه وهزال الجسم بسبب
تلك الأحداث ، كانت الاستعارة حسية تحقيقية ، والخاص بين " قليس " والمستعار له في

(١) سورة إبراهيم ٦ .

(٢) سورة النحل ١١٢ .

كل هو الإحاطة والشمول فقد أصابته هذه الأحداث بأهل القرية وتمكنت منهم
وشملتهم كما يشمل اللباس صاحبه ويحيط به ...

وتنه إلى دقة التعبير القرآني في الآية الكريمة ، فالقوم كانوا آتين مطمئنين بأنهم
رزقهم رغداً من كل مكان ، فكفروا بأنهم الله عز وجل ، فكان مقتضى صنيعهم شدة
المواصلة وخروجها ، ولذا عبر بالإذاعة ليفيد شدة الإصابة ، وباللباس ليفيد الإحاطة
والشمول ، ولو قيل فكساها الله لباس الجوع والخوف لأفاد الإحاطة والشمول دون
الشدة ، وكذا لو قيل فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ، لأفاد شدة الإصابة دون
الإحاطة والشمول . ولذا أثر النظم الكريم التعبير بالإذاعة واللباس ، فأذاقها الله لباس
الجوع والخوف ، ليفيد الأمرين معاً : شدة الإصابة وخروجها وإحاطتها ...

الاستعارة المكنية والاستعارة التخيلية : والاستعارة المكنية هي التي لا يصرح
فيها بلفظ المشبه به . بل يطوي ويرمز له بلازم من لوازمه . ويستند هذا اللازم إلى المشبه
... وهذا سميت استعارة مكنية . أو استعارة بالكناية ، لأن المشبه به يحذف ويكسى عنه
بلازم من لوازمه ... وإثبات لازم المشبه به للمشبه هو ما يسمى بالاستعارة التخيلية وهي
قرينة المكنية .

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الغنلي :

وإذا المنيعة أنشبت أظفارها ألبست كل قيمة لا تنفع

فقد شبه المنيعة بالسبع ثم طوى للمشبه به ورمز له بلازمه وهو الأظفار وأثبت هذا
اللازم للمشبه ، فالمنيعة أو السبع استعارة مكنية وإثبات الأظفار لها استعارة تخيلية .

هذا وقد اختلف البلاغيون في تحديد مفهوم الاستعارتين : المكنية والتخيلية .
ف يرى جمهور البلاغيين أن المكنية هي لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه والمخبروف
المدلول عليه بشيء من لوازمه ... والتخيلية هي إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فيقال في

إجراء الاستعارتين في البيت المذكور : شبهت النية بالسبح بمجامع الاغتيال في كل ، ثم تناسى التشبيه وادعى دعوى المشبه في جنس المشبه به ثم قدر في النفس حذاف المشبه به وزمر إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار على سبيل الاستعارة المكنية ... ثم أثبت الأظفار للنية على سبيل الاستعارة التخييلية ...

ويرى الخطيب أن المكنية هي التشبيه المضمحل في النفس ، المذلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه ، من غير أن يكون للمشبه أمر ثابت حساً أو عقلاً ، استعير له لازم للمشبه به وأطلق عليه ... فيقال في البيت المذكور : شبه الشاعر في نفسه النية بالسبح ثم تناسى التشبيه . وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم أثبت لازم المشبه به وهو " الأظفار " للمشبه ، وليس للمشبه وهو النية شيء محقق حساً أو عقلاً ، استعير له لفظ الأظفار .

ونلاحظ أنه أطلق الاستعارة المكنية على التشبيه المضمحل في النفس وهو فعل من أفعال المتكلم ... وقد عرفنا أن الاستعارة لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة والألفاظ بخلاف الأفعال ، فلا وجه لتسمية التشبيه المضمحل في النفس استعارة .

وواضح أن الخطيب يوافق الجمهور في سبب تسمية هذه الاستعارة بالمكنية وهو عدم التصريح بالمشبه به والدلالة عليه بالآزمه ، ويوافقهم أيضاً في تحديد مفهوم الاستعارة التخييلية وهي إثبات لازم المشبه به للمشبه ، وليس للمشبه شيء محقق حساً أو عقلاً استعير له هذا اللازم ، ولذا كانت هذه الاستعارة تخيلية ، وهي قرينة الاستعارة المكنية فهما متلازمان ... أما عاقلته فلم في تحديد مفهوم الاستعارة المكنية ، إذ هي عنده فعل من أفعال المتكلم فلا وجه لتسميتها استعارة وعند الجمهور من قبل الاستعارة الحقيقية ، لأن لفظ المشبه به يستعمل لشيء محقق هو المشبه كاستعارة السبح للنية في البيت المذكور .

ويرى السكاكي أن الاستعارة المكنية هي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه أي من جنسه ، فيقال في بيت أبي ذؤيب : شبهت النبتة بالسبع ثم تناسى التشبيه وادعى أن النبتة فرد من أفسراد السبع وإن السبع صار نوعين : متعارف وهو الخيول القفرس ، وغير متعارف وهو الموت الذي ادعت له السبعة ، ثم استعمل اسم المشبه وهو الموت الذي ادعت له السبعة ، فصيح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه وهو النبتة ، وأريد به المشبه به وهو السبع ... فهي من قبيل المجاز اللغوي كما عند الجمهور ويرى أن الاستعارة التخييلية ، ما كان معناها صورة وهمية لا تحقق لها حساً ولا عقلاً ، كالأظفار في البيت فإنه لم يشبه النبتة بالسبع في الالغتيال ، أعاد الزعم في تصويرها بصورته ، فاضرع لها صورة الأظفار ثم أطلق عليها لفظ أظفار السبع ... فالشبه الصورة الخيالية للأظفار والمشبه الصورة الحقيقية لها والاستعار اللفظ الموضوع للصورة الحقيقية ، والفرقة إضافتها إلى المكنية ... ولا تلازم عنده بين المكنية والتخييلية ، فقد توجدان معاً كما في البيت ، وقد توحد التخييلية من غير المكنية كقولهم : أظفار النبتة التي كالسبع لشبت بفلان ... فهي " أظفار " استعارة تخييلية وجدت مع تشبيه صريح .

ونلاحظ أن هذه الاختلافات في تحديد مفهوم الاستعارتين ترجع إلى توجيه كل منهما ، وكلها - كما رأينا - توجيهات محتملة قائمة على التصور والتحليل ... وإليك أمثلة متنوعة من شواهد الاستعارتين ...

يقول أبيد :

وعنداي ربح قد كشفت وقسرو: إذ أصبحت بيد الشمال زمامها^(١)

(١) الولو : ولو رب - والقرة : الفرد - والشمال : الريح الباردة ... بفخر بأنه يطعم الناس ويوقد لهم النار ليمتع عنهم عادية الفرد .

جعل للشمال بدا وللقرّة زماناً بأن شبه الشمال في تصرفها القوة والتحكم في طبيعتها بالإنسان الذي يتصرف في الأمور ... وشبه القرّة بالعمر بجامع الانقياد للغور ، ثم تناسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم أثبت لازم المشبه به وهو اليد والرمام للمشيّه ، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في تصرف الريح تصرف الإنسان وقادر ، وانقياد القرّة لها انقياد البحر للذلل ... ومنها قول الآخر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ثم لا تخافوا كلهن أماناً^(١)

أثبت للعناية عيوناً بأن شبهها بالإنسان ثم تناسى التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم أثبت لازم المشبه به للمشيّه قصداً إلى المبالغة ... وكذا القول في قول المحاج : " إني أرى رعوساً قد أئتمت وحنان قطافها " ، أثبت للرعويس قطافاً وزيناتها أي : تزيّناً وهما من خصوصيات الثمار والأزهار .

وقول المتنبي :

ولما قلت الإبل استطينا إلى ابن أبي سليمان الخطوب^(٢)

جعل الخطوب تمتطي ... والذي تمتطي هو الخيول المعروف .

وقول أبي تمام :

لما انتظيتك للخطوب كليتها والسيف لا يكتيك حتى ينتظي^(٣)

جعل مجروح سيفاً ينتظي ويلجأ إليه عند الشدة وعند التوازل ثم طوى المشبه به ورمز له بلازمه وهو الانتضاء .

(١) لاحظ الشيء : رعاء ، والمضى : إذا غمر لك أن تكون ملحوظاً بعناية الله فكن بحسك خيراً ، وكنت عاين من كل شر .

(٢) قلت الإبل : عزت ، واستطينا : وكبنا ، والخطوب : الأمور الشديدة .

(٣) انتظي : سيف : جرده من غمده .

وقول الآخر :

عضدنا الدهر بنابه ليت ما حل بنا به^(١)

جعل الدهر نابا بعض به ولا ناب له إفا قناب للحيوان المعروف .

وقوله :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أنساخ بسآخرين^(٢)

شبه الدهر باليعر ... ثم حذف المشبه به بعد تناسي التشبيه وجعل التشبيه فردا من أفرادها ، وانزاعا له بلازمه وهي الكلاكل والمجر والإناخة ، وأثبت هذه القوازم للمتشبه وهو الدهر .

وقول السري الرفاء :

وقد كتبت أيدي الربيع صحائفها كان سطور السرو حسنا سطورها^(٣)

جعل للربيع أيادي يكتب بها صحائف ذات سطور جميلة ، وتلك من خصائص الإنسان الذي يكتب ويسطر .

وقول الآخر :

ولئن نطقبت بشكر برك مفعصا للسان حياي بالشكابة أنطق

(١) بنابه : القاب في آخر الشطر الأول ناب الحيوان وفي نهاية البيت . للبادان - حرفا جر وانقاء ضمير يعود للدهر .

(٢) الكلاكل : جمع كلكل وهو الصنوبر . وأنساخ أوبرك يقال أنساخ الإبل : أبركها ومنله تنوخ ، واستناحت : بركت .

(٣) السرو : شجر عال مختلف الأقسام .

جعل للحال لسان ينطق بالشكوى ، تشبيها لها بالإنسان الناطق ويجوز أن يكون : " لسان حالي " من إضافة المشبه به إلى المشبه فيكون تشبيها لا استعارة .

وقول زهير بن أبي سلمى :

صحا القلب عن سلمى والصر باطله .
وغرني الفراس الصبا ورواحله^(١)

وذلك على جعل " الصبا " مأخوذا من الصبوة ، وهي الفساد والطمع والانهماك في اللذات ، فيكون قد شبه " الصبا " بجهة من الجهات التي يسافر إليها كالمحج والتجارة ، انتهت حاجته منها فعاد إلى داره ورفيع عن الأفراس مروجها وعن الإبل رحلها ... ثم تناسى التشبيه وادعى دعول المشبه في أفراد المشبه به الذي طوى ورمز له بلوازمه وهي الأفراس والرواحل التي عربت ، ثم استندت تلك اللوازم إلى المشبه وهو " الصبا " على سبيل التخييل ...

أما إذا جعل " الصبا " مأخوذا من الصباء وهو الشباب وصغر السن فيجوز جعله استعارة مكنية أيضا على معنى أن الشباب قد ولى وانقضى ، فيكون قد شبهه بجهة لا يلحظ إنها ... ثم طوى المشبه به وأسند لازمه وهو الرواحل والأفراس إلى المشبه وهو " الصبا " ويجوز جعله استعارة تصريفية تشبيه الفرائز للطلقة في سنن الشباب والتي تدفع إلى المعوى ولارتكاب المفاسد ، بالأفراس والرواحل للطلقة إلى الأمساكن البعيدة ... واستعارة الرواحل والأفراس لتلك الفرائز على فراس لتلك الفرائز على سبيل الاستعارة التصريفية العقلية ، أو يكون المشبه هو الأسباب الموصلة لارتكاب المفاسد من مائل وأصحاب ... واستعارة الأفراس والرواحل لهذه الأسباب المحسوسة على سبيل الاستعارة التصريفية الحسية والقرينة هي إضافة الأفراس والرواحل للصبا ...

(١) صحا : أي : أفاق من السكر وهو مستعار هنا للسلو ورواحل العشق وأنصر : أي : أبتعد عن قدرة وعري : عطل . والرواحل : جمع راحلة وهي الشديد من الإبل الذي يقوى على الأحمال والأسفار .

ومن شواهد الاستعارة المكتبة في النظم الكريم قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ (١) فقد شبه الذل بطائر ، ثم حذف ورمز له بلازمه وهو الخناج ، وأثبت هذا اللازم للمشبه ، ولعلك تشعر بما وراء الاستعارة في الآية الكريمة من حث للمؤمن على الخضوع لوالديه ؛ وأن يكون في خضوعه وبره كالطائر الذي يعرف بمناحيه حنواً وحناناً ... وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ (٢) يقول الرعشري في بيان الاستعارة في الآية الكريمة : " فإن قلت : من أين صالح استعمال النقض في إبطال العهد ؟ قلت : من حيث تسميتهم العهد بالخيل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من إثبات الرصلة بين المتعاهدين ... وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها ، أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روافقه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانته " (٣) ... وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا نَسَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبَ ﴾ (٤) حيث شبه الغضب بكتان حي ، بحث موسى عليه السلام - وبخرمكه ، وقد حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو السكوت ، وأثبت هذا اللازم للغضب على سبيل الاستعارة التخييلية ...

وهذا ولازم المشبه به الذي يثبت للمشبه ينبغي أن يكون له اختصاص قوي بوجه المشبه في المشبه به حتى تتحقق المبالغة المطلوبة ... وهذا اللازم على نوعين :

الأول : ما يتحقق به كمال وجه المشبه في المشبه به كقولنا : ظهر وجه الحق ، فالمشبه به المظهر هو الإنسان المشرق الوجه ، وقد أثبت لازمه وهو " الوجه " إلى للمشبه

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧ .

(٣) الكشف ج ١ ص ٧٤ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٤ .

وهو " الحق " وهذا اللازم يتحقق به كمال الإشراف في المشبه به ، لأن الوجه هو مظهر الإشراف والوضوح في الإنسان ... ومن ذلك بيت الغزلي السابق :
وإذا البسة أنشبت أظفارها
ألقيت كسل قفصة لا تنفع

لأن الأظفار وهي لازم التشبه به الذي أثبت للمتشبه ، هي التي يكمل بها الإغتيال في السبع لأن فتكه بها أقوى من فتكه بالأنياب ...

الثاني : ما يتحقق به قوام وجه الشيء ووجوده في الشيء به ، كقولنا مطيت بنا أقدام الزمن إلى المصير المحترم ، فقد طوى الشيء به وهو الإنسان ، وأثبت لازمه وهو " الأقدام " إلى الشيء وهو " الزمن " وهذا اللازم لا يتحقق وجود وجه الشيء وهو الانتقال والذهاب إلى الغاية في الشيء به المألوف " الإنسان " إلا بذكره ووجوده ...

ومنه قول الشاعر :

ولئن نظمت يشكر برك مقصداً
فلسان حال بالشكاية انطلق

لأن اللسان وهو لازم للشيء به الذي أثبت للمتشبه ، لا يوجد وجه الشيء وهو " الدلالة الكاملة على الشيء " في الشيء به الطوي " الإنسان " إلا بذكره وذكره في الصياغة ...

الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية : وتقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

إلى أصلية وتبعية ، فالأصلية : ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس ، يدل على واحد غير معين من جنسه ، سواء كان اسم عين ، كألسد والتعب والبحر والغيث والمسيح ، أو اسم معنى وهو المصادر ، كالقتل والبوم والبقلة ، ويحصل في الاستعارة الأصلية ، أسماء الأعلام التي اشتهرت بصفة معينة ، لأنها صارت لشهرتها بالصفة كاسم الجنس بالشاويل وذلك نحو : " حاتم " الذي اشتهر بالكرم ، فصح استعارته لكل رجل كريم ،

لأن شهرته بالكرم ، جعلته كالخروج لطلق ذات متعفة بالكرم فصار بهذه الشهرة اسم
جنس تأريلاً ...

تقول في استعارة اسم الذات : ضمت الأم زهرتها إلى صندرها ، تريد طفتها ،
وتقول : أسود للعركة ، أي الشجعان ، ويحور العلم ، أي : العلماء ، وتعالية الاستعمار:
أي الماكزين ، فالاستعمار في هذه الأظلة اسم ذات ... وتقول في استعارة اسم المعنى :
آلني قتل فلان أباه وذبحه أمه ، تريد : الأذى والإذلال ، وتقول : سباحة الفكر ، أي :
تفلقه في أمور شتى ، ونوم العقل ، أي : توقفه عن التفكير ، ومعالجة الدرع ، أي :
سرده . وبغطة الضمير ، أي تنبيه لأداء الواجب ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ
مُرَئِيٌّ ﴾^(١) أي تقاطع فالاستعار هنا اسم معني ، ويقال في إحصاء هذه الاستعارة شبه
الأذى والإذلال بما لقتل والذبح بهامع الإيلاام الشديد في كل ، ثم ادعى أن الأذى
والإذلال داخلان في جنس القتل والذبح وفردان من أفرادهما ، ثم استعير القتل والذبح
للأذى والإذلال وكذا يقال في بقية الشواهد .

وقد سميت هذه الاستعارة بالاستعارة الأصلية ، لأنها أكثر وجوداً في الكلام من
التيبة ، ولأن التبيية مبنية عليها وتابعة لها ، فهي لها أصل - كما سئى .

ومنها بالإضافة لما سبق قول الشاعر :

فسي كلما فاضت عيون قليلة دعا ضحكته عنه الأحاديث والذكر

حيث استعار الدم للدموع التي تفيض من العيون وتفيد هذه الاستعارة فداحة
الحطوب وشدة ما حل بالقبيلة فقد فاضت عيونها دماء لا دموعاً من هول الموقف ، وهذا
بالتالي يبيء بعظم المصروع الذي يبدد تلك الأحوال ويغوها بكرمه وشجاعته إلى أمن
وسرور .

(١) سورة البقرة آية ١٠ .

وقول كثير عزة :

ومضى بسهم ريشه الكحل لم يضر طواهر جلدي وهو للقلب جارح

حيث شبه النظرة الناقية التي رمته بها فئاته بالسهم النافذ بجامع قوة التأثير في كل ، ثم حذف المشبه وادعى أنه فرد من أفراد النشبه به فاستعير له لفظه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ...

والاستعارة التبعية : ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً أو اسماً مشتقاً أو حرفاً

كقولنا : نطقنا الخيال بكذا ... وطار فلان إلى الحركة ... وشام عقل فلان . فالمراد : دلت الخيال ، وأسرع فلان ، وغفل عقله وتوقف عن الفهم ، فاللفظ المستعار هنا فعل ، وتقدير الاستعارة فيه أن يقال : شبهت الدلالة الواضحة بالنطق في إيضاح المعنى . ثم استعير النطق للدلالة الواضحة ، فصار النطق بالاستعارة معناه : الدلالة الواضحة ، ثم اشتق من النطق : نطق بمعنى " دل على سبيل الاستعارة التبعية : وكذا القول في " طار " و " نام " .

ومن استعارة المشتقات قولنا : فلان عقله نائم ، وفلان عقله يفتقدان ، وعظيم فعالتك ناطق بكل حالك ، وهذا مقول فلان ، وقوله عز وجل : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾^(١) ، فالمراد : فلان عقله غافل وفلان عقله متنبه وعظيم فعالتك دال ، وهذا مأذى فلان ... وكل نفس تحس بشدة الموت عند الاحتضار كما يحس الذائق للشراب المر ما فيه من مرارة ... ويقال في إحصاء الاستعارة في هذه المشتقات شبهت الغفلة بالنوم بجامع عدم الإحراك في كل ثم استعير النوم للغفلة ، فصار النوم بالاستعارة معناه الغفلة ، ثم اشتق من النوم : نائم ، بمعنى : غافل ... وكذا القول في : " يفتقدان " ، و " ناطق " ، و " ماتقول " ، و " ذائقة " .

(١) سورة آل عمران ١٨٥ .

ومن استعارة الحروف : قرأنا : فلان في نعمة ، فالبراد : أنه متنتع بالنعمة فتتعا
تأنا ، كأنه في داخلها .

لماذا كانت الاستعارة في الأفعال والمشتقات والحروف تبعية ؟

وعدت الاستعارة في الأفعال والمشتقات تبعية لما يلي :

أولاً : أن الاستعارة قائمة على التشبيه ، والتشبيه يقتضي أن يكون التشبيه والتشبيه
به موصوفين بوجه التشبيه ، لأن الوجه وصف جامع بين الطرفين ، ولا يصلح للموصوفة
إلا الحقائق الثابتة في الخارج كالجسم واللون والأسد ، أو في العقل كالعلم والجود
والذكاء . يقال : جسم صغير ، وعلم واسع ، أما الأفعال والمشتقات فلا ثبوت لها لا
خارجاً ولا عقلاً ، إذ هي متجددة متغيرة لدخول الزمن المتغير في مفهوم الأفعال ولزومها
للمشتقات ، ولذا لا تصلح أن تكون موصوفاً ، وبالتالي لا تصلح للتشبيه ، فيحتسب أن
يخري التشبيه أولاً في المعاني الثابتة القابلة للوصفية وهي المصادر ، ثم يستعار المصدر
التشبيه به للمصدر التشبيه ، ويشتق منه الفعل أو اسم الفاعل أو اسم المفعول بعد أن يعمل
اللعن الجديد لمصدره الذي انتقل إليه بالاستعارة ، فيكون الفعل أو المشتق حينئذ تابعاً
لمصدره في حمل المعنى الجديد . كما رأينا في إخراج الاستعارة . ولا يعرض على ذلك بأن
العرب قد وصفت المشتقات فقالوا : شجاع باسل وجواد فياض ، وبأن الحركة والزمان
متغيران وغير ثابتين ، وقد وصفا فليل : حركة بطيئة وزمان عجيب ، لأننا نقول : إن "
باسل وفياض " وصفان آخران للموصوف الذي وصف بالشجاعة وبالجود ... والحركة
والزمان قد تقررا في اللحن وتحددا فيه ، ومن هنا صح وصفهما .

ثانياً : أن حريان الاستعارة في الأفعال والمشتقات تابع لجرياتها في مصادرهما ،
لأن الأفعال والمشتقات لا تنفك معانيها عن معاني أصولها وهي المصادر ، فإذا تغير معنى
الأصل بالاستعارة تغير تبعاً لذلك معنى القوم المشتق منه ، وقد اعتمد البلاغيون التشبيه

والاستعارة في المصدر قبل اعتبارهما في الفعل والمشتقات ، لأن المصدر هو المعنى القائم بالذات ، فهو الجدير بأن يحتر فيه التشبيه والاستعارة قبلاً .

كما الحروف فقد عدت الاستعارة فيها تبعاً ؛ لأن الحرف لا يدل على معنى مستقل بل يدل على معنى في غيره ، ولذا لا يصلح للتشبيه ولا للاستعارة ، بل يقع التشبيه والاستعارة في متعلق معناه ؛ لأنه هو الذي يستقل بالدلالة ... ومتعلق معنى الحرف - عند الخطيب - هو مدعوله ، وعند الجمهور ، هو المعنى العام الذي تفسر به الحرف ، ويتضح ذلك في قولنا : " فلان في نعمة " ، فالخطيب يشبه مدعول الحرف وهو " النعمة " بنظرف تحمل فيه الأشياء بجامع مطلق لارتباط وتعلق في كل ، ويدل على التشبيه باللفظ " في " الذي هو لازم من لوازم التشبيه وهو الطرف ... والجمهور يشبه الارتباط الحاصل بين النعمة وصاحبها بالطرفية التي هي ارتباط حاصل بين الطرف والظروف ، ثم يسي التشبيه من هذا العام إلى أفراد فيستعار اللفظ " في " من فرد من أفراد التشبيه به لفرد من أفراد التشبيه على سبيل الاستعارة التبعية في الحروف .

وإليك بعض شواهد هذه الاستعارة : قال (ع) : " غير الناس وجل عسك بعنان فرسه كلما سمع هبة طار إليها ... " (١) حيث شبه العدو بالطيور بجامع قطع المسافة بسرعة في كسل ، ثم استعير الطيور للعدو ، فصار العدو بالاستعارة معناه : الطيور ، ثم اشتق من الطيور : طار بمعنى عدا على سبيل الاستعارة التبعية .

ومنه قول امرأة ترثي قتيلاً :

لو يشا طار به ذو فيعة لاحق الأبطال لهد ذو خصل^(٢)

(١) الفجعة : الصيحة المزعجة ، وأصلها من هاج يهاج إذا جين ، والزلاد : أنه رجل مستعد للجهاد كلما سمع صيحة مستغيث من المسلمين أسرع إليه للقتال معه .
(٢) الفجعة : النشاط - الأبطال : جمع أبطال وهو الحاضرة ولاحتها : ضامرها ، والهد : القوي والمجمل : جمع صيلة وهي الشمر المختص .

أرادت : عدا به مسرعًا ... وقول الآخر :

فطرت يَنْفُطِلِي في يَنْفُطِلَات - دواهي الأياد يَلِيطُن السَّريحا^(١)

أراد أنه قام بسيفه مسرعًا إلى نوقه فمقرها ، وسالت السماء على أيديها وأخذت تعذب بأنعامها القيود اللينة بها من شدة الجراح ... فالاستعارة في البيتين تبعية كما في الحديث ولا يخفى عليك إعرابها .

وقول البحوي :

يبراكمون على الأُسنة في الوُضي كالْفجر فاض على نجوم الغيب^(٢)

يريد أنهم يرأسل يندفعون بشدة وصبر إلى موطن الموت كما يتسبط الفجر دفعة فتنشر ضوهه على الكون ... وقد استعار الفجر لانتساط الفجر إذ شبه انتساط الفجر وسرعة انتشار ضوهه بفيضان الماء ، ثم استعاره له واشتق منه "فاض" بمعنى . يتسبط وانتشر بسرعة ...

وقول أبي الطيب عديح أيا فراسن الشمعاتي .

نسترتهم فسوق الأحسادب لسفرة كما تترت فوق العروس الدراهم^(٣)
وسمى

أراد أن محبوه هزم أعدائه شر هزيمة ، فشئت شملهم وفرقتهم فانتشروا في غير نظام كما تنثر الدراهم فوق العروس ... فقد شبه تفرق أجسامهم وتساقطها بتفريق الأجسام الصغيرة ونثرها بهماج التفريق والتساقط على غير نظام في كل ، ثم استعير النثر

(١) بالتصلي : السيف ، واليملات : النوق المطبوعة على العمل جمع بعملة ، والسرير السور الذي يند على أرجلها .

(٢) يبراكمون : يمتعون بكثرة وإزدحام . والأُسنة : الرماح ، وفوضى : الحرب . والغيب : الغلظة ، وجعلهم كالْفجر نظرًا لما عليهم من الدروع اللامعة .

(٣) الأحسادب : جبل بلاد الروم .

من المشبه به للمتشبه واشتق منه " نثر " بمعنى فرق ، على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل
...

وقول القطامي :

لم تلق قوتاً هم شر لاخوتهم منا عشية بجري بسالم السوادي
نقرهم فديسات نكسداً بها ما كان حياط عليهم كبل زؤاد^(١)

يصف قومه بالشجاعة وأنهم أشد خطراً على الأعداء عند احتدام المعركة واشتداد القتال فهم يطعمونهم سيقاً تشق دروعهم وتقري مطرعوهم ... وقد استعار لذلك القرى للضرب بالسيف بجامع الوحيب والإكرام في كل ، واشتق منه تقري بمعنى تضرب على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية ، ثم استعار الحياطة للسرد بجامع ضم الأطراف في كل ، واشتق منها الفعل " حياط " بمعن : سرد على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل .

ومن ذلك قوله الله عز وجل : ﴿ قَبَسْنَاهُمْ مِنْ نَارِ سَبْعِ زُكُوتٍ ﴾^(٢) ، تنزل الإنذار منزلة التبشير لقصد التهكم والسخرية ، فشبه الإنذار بالتبشير بجامع إدخال السرور في كل ، ثم استعير التبشير للإنذار واشتق منه الفعل بشر بمعنى أنذى على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾^(٣) ، فقد شبه التفريق بالقطع بجامع إزالة الاتصال في كل ، ثم استعير القطع للتفريق ، واشتق منه الفعل " قطع " بمعنى فرق .

(١) لاخوتهم : المراد : أعدائهم . وتقري : تطعم والمراد هنا الضرب بالسيف ، والقلهليات : جمع طعم وهو السيف المقاطع والسمية فيها للمبالغة ، والزؤاد : صانع الزرذ وهو الدرع ، وإستاد الجري إلى الوادي حمار عطلي ، وفقد : تقطع .
(٢) سورة آل عمران الآية ٢١ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٦٨ .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾^(١)
 المراد : بل نورد الحق على الباطل فيدمغه ويحموه فإذا هو ذاهب ، فقد استعير " النقذف " للإيراد ، و " الدمع " للمحو والإزالة ، و " الزهاق " للذهاب ثم اشتق منها " نقذف " و " يدمع " و " زاهق " ، على سبيل الاستعارة التبعية .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾^(٢) للسراد : السقية الغوي حيث شبه السقة والغى بالخلم والرشد ، ثم استعير : الخلم والرشد للسقة والغى ، واشتق منهما : خليم ورشيد بمعنى : سقيه وغوي على سبيل الاستعارة التبعية التهامكية .

هذا وكما تقع الاستعارة التبعية في مادة الأفعال وهي حروفها الدالة على الحدث على نحو ما رأينا - فقد تقع في صيغتها وهي حيثها الدالة على الزمان كصيغتي الماضي والمضارع ... من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَشْرَافُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(٣) فأمر الله لم يأت بعد ، بتلليل قوله ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ، فكأن الأصل أن يقال : يأتي أسر الله ، ولكن عير بالماضي عذراً ليعيد أن هذا الأمر يحقق الوقوع ، فقد شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بهامع تحقق الوقوع ، ثم استعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل واشتق منه " أتى " بمعنى " يأتي " على سبيل الاستعارة التبعية في صيغة المفعول .

ومن الاستعارة التبعية في الحروف قوله تعالى : ﴿ فَانْقَطَعُ عَنْ فِرْعَوْنَ لَيْكُونَ نُفُوسٌ عَدُوًّا وَحَرْنَا ﴾^(٤) ، فاللام في قوله " لَيْكُونَ " لام العلة وهي موضوعة لثوب ما بعدها على ما قبلها وقد استعملت هنا في غير ما وضعت . له لأن ما بعدها ليس مؤنثاً على ما قبلها ، فهم لم ينفطروه ليكون هم عدوًّا وحرنًا بل انقطوه ليكون هم قرة عين

- (١) سورة الأنبياء آية ١٨ .
- (٢) سورة هود آية ٨٧ .
- (٣) سورة النحل آية ١ .
- (٤) سورة القصص آية ٨ .

يفرحون به ، فلي " لام التعليل " في الآية الكريمة استعارة تبعية يقال في إحداثها على رأي الخطيب : شبهت العداوة والمزق بالفرح والسرور بجامع ترتب كل منهما على الالتقاط رجاء أو واقفاً ودل على التشبيه بذكر لازم التشبيه به وهو اللام للتشبيه . وعلى رأي الجمهور : شبه مطلق ترتب علة والقرعة انتهى إليها الالتقاط بمطلق ترتب علة رجائية غالية ، فسرى التشبيه من هذين الكليين إلى جزئياتهما ، ثم استعيرت اللام الموضوعية لجزء من جزئيات التشبيه به وهو التقاط موسى ليكون قرعة عين ، لجزء من جزئيات التشبيه ، وهو التقاطه ليصير عدو وحزناً .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْطَعْنَ آلِهَتِكُمْ وَأَرْجِلُكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَا تَتَّبِعَنَّكُمْ فِي جُلُوعِ النَّحْلِ ﴾ (١) ، فلفظ " في " مستعمل في غير ما وضع له ، لأن جذوع النحل لا تصلح للظفرية الحقيقية ، لكن لما كانت هذه الجذوع متمكنة منهم ، لأن مراد فرعون شدة التعذيب وإحكام الصلص ، شبهت الجذوع بالطرف الحقيقي في هذا التمكن ، واستعمل فيها لفظ " في " على سبيل الاستعارة التبعية ؛ ويقال في إحداثها على رأي الخطيب : شبهت الجذوع بالطرف بجامع التمكن ثم استعير لفظ " في " وهو جزئية من جزئيات التشبيه به واستعمل في التشبيه ... وعلى رأي الجمهور : شبه مطلق الارتباط بين السحرة للؤمنين وبين الجذوع بمطلق الارتباط بين الظفر والمطروف بجامع التمكن ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، ثم استعير لفظ " في " من جزئيات التشبيه به لجزئي من جزئيات التشبيه .

ومنها مناداة القريب بلفظ البعيد " يا " لغرض بلاغي كغفلة المنادي وعدم تنبهه فنقول : " يا فلان " لمن هو قريب منا ... وكذلك ينادي الرب عز وجل بلفظ البعيد " يا " فيقال : يارب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، وذلك لغرض بلاغي هو إحساسنا بالذنوب وشعورنا بالبعد عن موطن الرزقى ... فقد شبه نداء القريب بنداء البعيد ،

(١) سورة طه آية ٧١ .

فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات ، واستعمل " يا " من جزئيات المشبه به نظري من جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التبعية في الحروف ... وكذا متبادلة البعد بلفظ القريب .

الوفائية والعنادية : وتنقسم الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع الطرفين في شيء واحد وعدم اجتماعهما إلى قسمين : استعارة وفائية واستعارة عنادية .

قالوفائية : هي التي يمكن اجتماع طرفيها أي : المستعار له والمستعار منه في شيء واحد لما بينهما من التوافق ... كما في قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَجٌ ﴾^(١) ، وقوله حلا وعلا : ﴿ وَأَمَّا تَمْوَدُّ فَأَهْلَيْتَاهُمْ فَاذْكُرُوا الْعَمَىٰ أَفْلَحْتُمْ ﴾^(٢) ، وقوله عز وجل : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَخْبْنَاهُ ﴾^(٣) ، فقد استعمل المرصوف للتفاد ، والعمرى للكفر ، والحياة للهناية ، وبين المستعار منه والمستعار له توافق لأنه يمكن اجتماعهما في شيء واحد ، فالمرض والتفاد يجتمعان في قلب إنسان ، والعمرى والكفر يمكن اجتماعهما في شخص كافر ، والحياة والهناية يجتمعان في المؤمن ... والجامع بين المرض والتفاد أن كلا منهما يفسد ما يصاحبه ، فالمرض يفسد الأبدان والتفاد يفسد العقائد ، والجامع بين العمرى والكفر أن كلا منهما يوقع صاحبه في الهلاك والمعاطر ، وبين الحياة والهناية ما يترتب على كل من الفائدة والنفع .

(١) سورة قنقرة آية ٦٠ .

(٢) سورة فصلت آية ١٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

ومنها قول الشاعر :

ولقد صموت بهمسي وصحا بها طليبي المكاسم بالفعال الأفضل
لأسأل مكرمة الحياة وربها عثر الزمان يذو الدهاء الأحول
فقد استعار " الحياة " لبقاء الذكر الطيب والأمر الحسن وهما متوافقان.

والعناية : ما لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتناقضهما ، كما في الآية السابقة : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَاهُ ﴾ فقد استعير الموت للضلال بجامع ما يوجب على كل من عدم الانتفاع ، ولا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد ... ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾^(١) فقد استعير ﴿ الموتى ﴾ للكثرة الأحياء لعدم انتفاعهم بصفة الحياة فلم يعتد بها فيهم ... ولا يمكن اجتماع الموتى والأحياء في شيء واحد ... وقول النبي :

فلم أر يدوا ضاحكا قبل وجهها ولم تر قبيلى ميتا يتكلم

فقد استعار " الميت " لمن أسقمه الحب وأضناه العشق ، ولا يمكن اجتماع الحب المقيم والميت في شيء واحد .

ونلاحظ في الشواهد أن الاستعارة قد بنيت على ترك الاعتماد بوجود الصفة في الشيء للفقدان لمرتها إذ إن الغرض من الاستعارة إلحاق الناقص بالكامل في وجه الشيء ... هذا وقد بنى الاستعارة على تنزيل التضاد الحاصل بين الطرفين منزلة التناسب ، لقصد التعليح أو التهكم وتسمى عدالة بالاستعارة العنادية التلميحية أو العنادية للتهكمية " . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَبْرُهُمْ يَقْدَابُ الْيَمِ ﴾^(٢) ، فقد استعير " البشير " للإنذار بعد تنزيل التضاد الحاصل بينهما منزلة التناسب لقصد السحرة والتهكم ، والجامع بين البشير والإنذار : إحداهما السحرة بكل وإن كانت السحرة في الإشارة محقة وفي الإنذار متحيلة.

(١) سورة النمل آية ٨٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ٢١ .

وقوله عز وجل : ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾^(١) ، فقد استعوت " الخدابة " للحبر بعنف وقهر بجامع ما يترتب على كل من الخبر ، وإن كان تنزيلاً في المستعار له ، وقوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٢) أي : الذليل المهان ، فقد استعوت العزة والكرامة للذلة والمهانة استعارة عنادية تهكمية ، ومنها قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(٣) أي : السفيه الغوي ، وقول القحطامي : " تفرهم لحلمات ... " وقول عمر ابن معد يكرب " نحية بينهم ضرب وجيع " وقرئنا : عتابك السيف ، وقد مرت بك هذه الشواهد.

ومن العادبة التلميحية قرئنا للبحيل في مقام المزاح والمداعبة : من يجهل أن جودك عم القوي ... فقد استعوت " الجود " للبحيل ، بجامع الإفاضة بالخبر في كل ، وذلك بتزييل التضاد الحاصل بينهما منزلة التناسب ، فالإفاضة موجودة في المستعار منه على وجه التحقيق وموجودة في المستعار له تنزيلاً ...

ومن ذلك قول أبي تمام :

أبنت عتبة يعسوي كسي أشاقه	الله أكبر أنسى صناديد الأسد
ما كنت أحسب أن الدهر يجهلني	حتى أرى أحداً يهجوهم لأحد

فقد استعار الأسد للحيان استعارة عنادية تلميحية ، إذ الجامع وهو الشجاعة موجودة في الأسد حقيقة وفي الحيان تنزيلاً .

وقول الآخر :

سليمان ميمون النقية حازم

ولكنه وقف عليه الغزائم

(١) سورة الصافات آية ٢٣ .

(٢) سورة القصص آية ٤٩ .

(٣) سورة هود آية ٨٧ .

فقد استعار الخوازم للاختصاصات استعارة عنادية تلميحية ، إذ مراد الشاعر أن سليمان لا يحزم أمراً ولا يجرز نصراً ولا يتحقق على يديه غير ...

الطلق والجردة والمرشحة : وتنقسم الاستعارة باعتبار ذكر الملائم لأحد الطرفين وعدم ذكره إلى ثلاثة أنواع مطلقة ومجردة ومرشحة ...

فالاستعارة المطلقة : هي التي لم تتكون بما يلائم المستعار له ولا المستعار منه ، أو اقترنت بما يلائمهما معا ، كقولنا : طلع البدر من جانب الجبل ، تريد الشركة الحسنة ، فقد استعير " البدر " هنا ولم يذكر في الجملة ملائم للمستعار له ولا للمستعار منه ، وكما قولنا : " من جانب الجبل " فهو قرينة للاستعارة ولا يعد ملائما للمستعار له ... ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ زَيْنًا لِّمَا طَفِقَ النُّجَا حَقْلُنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾^(١) فقد استعير الطغيان للزيادة بجامع مجاوزة الحد في كل ، ولا يوحد في الآية ملائم لأحدهما ... ونقول : رأيت بحرا يتكلم ، فنستعير البحر للعالم ولاملائم لأحدهما في الجملة ، أما " يتكلم " فقرينة للاستعارة وليس ملائما

ومما اقترنت فيه الاستعارة بملائم لكل منهما قول كثير عزة :

رمي بسهم ريشه الكحل لم يضر

فواهر جلدى وهو للقلب جارح^(٢)

فقد استعير " السهم " للنظرة بجامع قوة التأثير ، وقد ذكر في البيت ملائم للمستعار منه وهو " ريشه " وملائم للمستعار له وهو " الكحل " ... وقول زهير :

لدى أمد شاكي السلاح مقلد له ليسد أفضاره لم تقسم

فقد استعير " الأسد " للبطل الشجاع وذكر ملائم للبطل وهو حمل السلاح وملائم للأسد وهو " البلد والأظفار " أما مقذف فإذا أريد به : أنه يقذف به في الحروب

(١) سورة الحاقة آية ١١.

(٢) ريشه : الريش : من فوطم : ريش السهم إذا ألق عليه الريش ليكون أسكمت في الرماية

شجورته وتجاربه كان من ملامحات البطل . وإذا أريد به أنه ضخم البضة ملهى باللحم فهو من ملامحات " الأسد " ... ومنه قولنا : " رأيت غيثاً غزيراً يعطى باليمين وباليسار " ، "غزيراً" يلائم " الغيث " للمستعار منه و " يعطى باليمين وباليسار " يلائم " الرجل الجواد ، المستعار له .

والاستعارة المفردة : هي التي اقترنت بما يلائم المستعار له وذلك بعد استيفاء القرينة كما في قول البحوي :

يسودون التحية من بعيد إلى قصر من الإيوان يناد^(١)

حيث استعير " القصر " للإنسان الجليل ثم وصف بما يلائم المستعار له وهو قوله من الإيوان يناد " أي : مطلق ، وقد استوفت الاستعارة قرينتها قبل هذا الوصف وهي قوله : " يسودون التحية من بعيد " .

وقول الآخر :

وعند البدر بالرياسة ليلًا إذا ما وفي قضيت تذكوري

استعار " البدر " للمحبوبة ، والقرينة قوله " وعد " ثم ذكر ما يلائم المستعار له من الرياسة والوفاء بها على سبيل التجريد فهي استعارة مجردة ... ومن ذلك قولنا : " هذا عالم يستضاء برأيه في مواجهة المشكلات وحلها " فقد استعير الصباح الضئيل للرأي الصائب ثم حذف للمستعار منه وهو الصباح ورمز له بلازمه : " يستضاء " على سبيل الاستعارة للكناية ... وقد ذكر في العبارة ما يلائم المستعار له : " الرأي " وهو مواجهة المشكلات وحلها . وكذا قول القائل : " رحم الله امرأً ألجم نفسه بإعدادها عن شهراتها " حيث استعير الجواد للنفس استعارة مكينة والقرينة إضافة الإلجام للنفس ثم ذكر ملائم للمستعار له وهو " إعدادها عن شهراتها "

(١) الإيوان : القصر . وياد : ماضر .

ومنها قول كثير :

غمر الرداء إذا تبسم صاحبا غلقت لضحكته رقاب المال^(١)

استعار الرداء المعروف بجامع أن كلا منهما يصون صاحبه ، والقربة ما ذكره من اللال وتبسم المملوح عند الجلود به ، وقد ذكر في البيت ملائم للمستعار له وهو إضافة " غمر " بمعنى كثر إلى الرداء ... أما إذا جعلت " غمر " بمعنى واسع ، كانت من قبل الاستعارة المرشحة الآتية ، وذلك أن الكثرة تلائم المعروف والسعة تلائم الرداء....

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَ إِلَٰهُهُمُ أَجْلُهُمْ تَلَوُّوا لَهَا عَلَيْهِمْ سَمْعًا وَأَنبَسُوا لَهُمْ صَوْتًا ... وَقَدْ ذُكِّرَ فِي الْآيَةِ " الْإِذَاقَةُ " بمعنى " الإصابة " وهي من ملائمت المستعار له ، فالإذاقة بمعنى الإصابة تلائم الأحداث والمصائب وما علا الوجوه من صفرة ، ولا تلائم اللباس ... والسر اليلافى الكامن وراء معنى الآية على التجريد هو أن المقام اقتضى التعبير عن أمرين وهما : شدة الإصابة ، وشغلها وإحاطتها بهم ، فهؤلاء القوم كانوا آمنين مطمئنين بأنهم الرزق رغدا من كل مكان فكفروا بأنعم الله فاستحققوا إحاطة العقاب الشديد بهم ، ولو قيل : فأذاقها الله طعم الجوع ... أو فكساها الله لباس الجوع ، ليكون ترشيحا ، لأناد الأكل الشدة دون الشمول ولأناد الثاني الشمول دون الشدة ، فآثر النظم الكريم التعبير بالإذاقة واللباس لإفادة الأمرين معاً ، شدة الإصابة والإحاطة والشمول ...

والاستعارة المرشحة : هي ما قرئت بما يلائم المستعار منه بعد استيفاء القربة كما في قوله تعالى : ﴿وَالْوَلَدُ الْبَيْتِ اشْتَرَوْا الضَّالَّةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحُوا

(١) غمر : ماحوذ من توهم غمر لاء إذا كثر ، وثوب غامر أى واسع ، وغلقت : تمكنت من أيدي السائلين ، يقال : غلق الرهن في يد الزنهون لئلا لم يتغير الرهن على فكه وفى " رقاب المال " استعارة مكنية

(٢) سورة النحل آية ١٢٢ .

تَجَارَتْهُمْ^(١) حيث استعير الشراء للاختيار والاستبدال ، ثم ذكر الربح والتجارة وهما بالامكان المستعار منه ، وذلك مما يقوى الاستعارة ويحقق المبالغة في التصوير والتخييل ودعوى دخول المستعار له في جنس المستعار منه وكان الكلام على الحقيقة ، ولهذا سميت بالاستعارة المرشحة إذ التزجج معناه في اللغة التقرينة ... ومنها قول المتنبي :

وميتهم يبحر من حديد له في البر خلفهم عباب^(٢)
استعير " البحر " للجيش القوي ، والقرينة قوله : " من حديد " ، أما قوله :
" ميتهم " فلا تصح قرينة لأنه قد يرميهم ببحر من الكرم ، ثم ذكر ما يلائم المستعار منه وهو " العباب والبر " ففعل للسامع أن المراد هو البحر حقيقة ...

وقول الشاعر :

إذا ما ألدهر جر علي أناس كلاكله أناس بآخرين^(٣)
استعار البطل للدهر استعارة مكينة ، وتم استيفاء قرينتها بإضافة لازم المستعار منه " الجر والكلال " إلى المستعار له " الدهر " ثم ذكر جملة " أناس بآخرين " وهي من ملائعات المستعار منه ...

ومنها قول الآخر :

يئاذعني ودائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر
في الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر^(٤)

(١) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٢) عباب : الغياب : كثرة الماء والظفر الكثير . وعباب السيل معطلة وارتفاعه وكثرة ، وقيل عبابه موجه .

(٣) الكلالك : جمع كلكل وهو الصدر ، وأناس : أئمة ، يقال : أناس الأهل وتوصها أي : أئمة ، واستناعت الأهل : بركت ...

(٤) رويد : مصدر بمعنى فهد ، واعتجر : من الاعتصم وهو الاعتصام ، يقال : اعتصرت المرأة أي ليست المعسر وهو ثوب تشده على رأسها ، والمراد بالشطر الذي ملكت يمينه : قائم السيف ، وبالشطر الآخر : صدره ، أي : سيفه على رأسه بصدر سيفه .

استعار الرداء للسيف بجماع أن كلا منهما يصور صاحبه وتم استيفاء القرينة بقوله : " في الشطر الذي ملكت يميني " ، لأن ما يكون باليمين هو السيف الذي يحارب به لا الرداء ... ثم ذكر الاحتجاج وهو ما يلائم المستعار منه " الرداء " .

وإذا عرفنا أن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وإدعاء دعول المشبه في جنس المشبه به ، وضح لنا أن التوضيح ليبلغ من التحريد ومن الإطلاق ، لأن التناسي فيه تقوى وأنم ، ودعوى الاتحاد فيه أظهر وأوضح ، فقد صار المشبه نفس المشبه به ، وصارنا نصفه بأوصافه وتبعه بتألفاته ... فعندما يقول ليرقام :

ويصعد حتى يظنن الجهم ل بأن له حاجة في السماء

تراه قد آمن في تناسي المشبه ، إذ جعل الصعود المعنوي والارتقاء إلى مراتب الخلد ، صعودا حسيا ، وبالحق في ذلك بلذكر ما يلائم المشبه به ، فجعل الجاهل الذي لا يعرف همم المندوح يظن أن له حاجة في السماء فهو يصعد لينال تلك الحاجة ... وعليه قول بشار :

أنتسى الشمس والسمرة ولم تترك تروح الفلكا

حيث استعورت الشمس للمحيرة ثم آمن في تناسي التشبيه وادعى أنها غادرت مكانها في السماء وأقبلت إليه زائرة ولم تترك قبل ذلك تروح الفلك ، فبني الكلام على أنها شمس حقيقية .

وهذا صبح التعجب قول قول المتنبي :

كسوت حول ديسارهم لنا بسات منها الشمس وليس فيها الشرق

وقوله أيضا :

قلما رأني مقبلا هز نفسه إلى حمام كل صفح له حد

ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

فقد استعار الشموس والبدر والأسد المدحجيه . ثم بنى كلامه على تناسي التشبيه وأمن في التناسي فحمل المدحجين بدورا وخموساً وأسداً على الحقيقة ولهذا ساءغ التعجب .

وساغ التعجب أيضاً في قول ابن العميد :

قامت ثقيلتي ومن عجب شمس تظللنسي من الشمس

واللهي عنه في قول ابن طباطبا :

لا تعجبوا من بلى غلاته قيد رؤ أزراره على القمر

فلولا بناء الكلام على المبالغة والإيمان في تناسي التشبيه وادعاء أنها شمس وقمر على الحقيقة لما ساءغ التعجب في الأول واللهي عنه في الثاني .

هذا وكما يقع الترشيع في الاستعارة فيؤدي إلى المبالغة والإيمان في تناسي التشبيه ، فقد يقع أيضاً في التشبيه كما في قول ابن الأختف :

هي الشمس مسكنها في السماء فسر السواد عزاء جبالا

فلن تستطيع إلهما المصود ولن تستطيع إليك السزولا

شبه عيونه بالشمس ثم رشح التشبيه بأن جعل مسكنها في السماء .

وقول الفرزدق :

أبى أحمد الغنمين صمصمة السدى مني تخلف الجوزاء والدلو يحطر^(١)

شبه حده " صمصمة " بالغيث تشبيهاً ضمنيّاً بل فضل حده على الغيث ثم رشح التشبيه بقوله : " يحطر " فهو ملائم للتشبيه به .

(١) أحمد الغنمين : أسقطهما بالخمد ، والمراد بالغنمين : أبوه والغيث الحقيقي والجوزاء والدلو : برحان في السماء يكثر فيهما المطر .

وقول عدي بن الرقاع يصف حمارين وحشيين :

يتساوران من الغبار مسالمة يفتاء محكمة هما تسجها
تطوى إذا وردا مكانا محزنا وإذا السنايك أسهلت نشرها^(١)

شبه الغبار النثار بالملأه ثم رشح التشبيه بذكر التسح والطنى والشر .

الاستعارة العامة المبتذلة والخاصية الغريبة : الاستعارة العامة المبتذلة هي ما

قرب فيها الجامع والتضخ بحيث يدركه العامة ، كاستعارة " الأسد " لمارجل الشجاع ،
والبحر للكريم المروء والندر للحسناء ... ولتوضوح الجامع وقربه في الاستعارة المبتذلة لا
يهتم بها البلغاء ، ولا تستحسن إلا في مقام الإرشاد والوعظ وتقرير المسائل العلمية
ومعاملة العامة .

أما الاستعارة الخاصة الغريبة: فهي ما بعد فيها الجامع ودق واحتياج في

إدراكه والوقوف عليه إلى كثرة التفكير وإطالة نظر ودقة ملاحظة ... وترجع غرابية
الاستعارة إلى أحد العوامل الآتية :

أولاً : كون الجامع بين المستعار له والمستعار منه أمراً عقلياً كإزالة الحجاب في
استعارة النور للحجة الواضحة والرأي الصائب في بحر قولنا : " هذا عام يستضاء برأية
ونور حخته " .

ثانياً : أن يشتمل الجامع على شيء من التلصيص والتكيب .

ثالثاً : أن يكون التشبيه به نادر الحضور في الذهن عند حضور التشبيه ، ويتضح لنا

ذلك في الشواهد الآتية :

يقول طليل الغوى :

وجعلت كزوى لسوق ناجية يفتات شحم مستاهها الرحل^(٢)

(١) يتساوران : يتواصان ، تطوى : تنزول ، وللكان الحزن : الذي تغلط أرضه فلا يدار غبار ،
والسنايك : أطراف الخوافر ، وأسهلا : ورده المكان السهل .

(٢) الكور : رجل البعر ، والناجية : الناقة السريعة القوية .

استعار الاقنيات وهو تناول الطعام بالقلم لإفخاف الرجل شحم السنام وذلك لكثرة احتكاكه به ، والجامع بينهما : إزالة الأثر إزالة تدريجية مع طول الوقت ، وهذا محقق في الاقنيات وفي إفخاف الرجل شحم السنام ... ومرجع الغريبة إلى التفصيل في الجامع حيث لم ينظر إلى مجرد الإزالة ، بل إلى حصولها بالتدريج شيئاً فشيئاً ، ومما يحسن الاستعارة في البيت أن الشحم نفسه مما يلتصق فالسامع يتخيل أن الاقنيات حقيقة ، فإذا ما انتهى إلى آخر البيت "الرجل" وضح له الهزاز وبرز له الشيء من حيث لم يتوقعه .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

حتى إذا ما عرف الصيد الضار وأذن الصبح لنا بالإبصار^(١)

استعار "الأذن" للتمكن من الرؤية بعد العجز عنها ... ومرجع الغريبة إلى ما في الجامع وهو "القدرة على فعل الشيء بعد زوال المانع من فعله" من تفصيل لا يدرك إلا بعد إدراك أن الليل كان مانعاً من الرؤية ، بالإضافة إلى أن هذا الجامع أمر عقلي ، والمقليات المركبة دقيقة الإدراك بالنسبة إلى المحسوسات .

وقول الآخر يصف رقة التسم :

بمعرض تنوقلة لسريح فيها تسم لا يروع في الواب^(٢)

استعار الترويع بمعنى الإذلال والإخافة لإثارة الريح الواب بجامع الحركة المرحاء في كل ... ومرجع الغريبة في البيت إلى كون المستعار له بعيد الحضور في اللحن عند ذكر المستعار منه . فصار الجمع بينهما قريباً دقيقاً .

وقول ابن المعتز :

(١) الضار : تخفيف الضاري وهو الذي اعتاد الصيد ، والصيد مفعول مقدم والضار فاعل مؤخر ، والذي أنه عرف ما يصيده لذهب الضلال وبروى : "انصار" في مكان : "الضار" أي : انضم وجمع قوافل الانقضاض ، يصف بذلك بازي الصيد .
(٢) النوقلة : الصحراء أو الأرض القاسية وعرضها : حائلها .

يتاجي الإخلاف من تحت قطفه

لختصم الآمال واليأس في صدرى^(١)

استعار المناجاة للخطور في الذهن بجامع صفاء الدلالة في كل وهو بجامع عقلى
لذا كانت الاستعارة غريبة ... ثم استعار الاعتصام بحلول الأمل في صدره مرة ثم اليأس
مرة أخرى ، كأنهما يتنازعان ، بجامع مطلق التناقض بين شيئين متعارضين .. ولنا أن يجعل
الاستعارتين في البيت من قبيل الاستعارة بالكناية وذلك بتشبيه الإخلاف بإنسان يتحدث
من خلف ستار ، والأمل واليأس بمتعاصمين يتنازعان مكانا للإقامة فيه ، وهذا يجعل
وأكثر إبرازا للخيال الذى يريد الشاعر ...

ومنه قول الأخر يصف فرسا :

عودته فيما أزور حياتي

إهماله وكذلك كل مخاطر

وإذا احتبى قروبسه بعتائسه

علك الشكيم إلى الصراف الزائر^(٢)

استعار الاحتباء وهو ضم الرجل وكتبه وجمعه ظهره وساقه بطرب لضم للجنام
مقدم السرج إلى فم الفرس والجامع هو الهيئة المركبة من التضمين بوسطة شئ آخر
... وترجع غرابة الاستعارة إلى ما في هذا الجامع من التفصيل فضلا عن كون التشبيه به
نادر المحذور في الذهن عند حضور التشبيه لتباعد المبتدئين ، هيئة الفرس وهيئة الإنسان
الجالس محتبيا .

(١) الإخلاف : عدم الوفاء ، واللطف : التأخير في إجابة المطلوب.

(٢) القروبس : السرج أو مقدمته ، والعتان : سرج النعام . وعلك : إنفع بالشكيم الجديدة للموضحة
في فم الفرس.

تحول الاستعارة المبتدلة إلى غريبة : قد تنصرف التكلم في الاستعارة المبتدلة تصرفاً يحوّلها من الانتقال إلى الغريبة ، وذلك بأن يتضمن الكلام الذى وردت فيه مجازاً آخر ، أو تعدد الاستعارات ، أو يتعلق بها أمر يريد من اللبالة التى تمادتها أو يتوخى فى بناء الجمل وتظم الكلام ما يودى إلى دقة التصوير وإبراز الخيال .

انظر إلى قول كثير :

ولما قضيتا من معنى كل حاجة	ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت إلى دهم المهارى وحالنا	فلم ينظر الغادى الذى هو رالح
أخذنا بآطراف الأحاديث بيتنا	وسالت بأعناق المظى الأباطح ^(١)

نقد أنه قد استعار السيلان للسير اللين السهل فى قوله : " وسالت " وهى استعارة مبتدلة قريبة للأخذ ، ولكنه أزال ابتهاجا بالجمع بينها وبين المجاز العقلى فى إسناد السيلان إلى الأباطح ليفيد ابتهاجا بالركبان حتى كأنها هى التى تسير ، ثم بإدخال حرف الجر " الباء " على الأعناق ليدل على شدة السير وسرعته فإن مظهر السرعة فى الإبل حركة أعناقها وبهذا تحولت الاستعارة من عامة مبتدلة إلى خاصة غريبة .

ونحو قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا	أنصاره بوجوده كالدنانير ^(٢)
-----------------------------	--

حيث استعار " السيلان " لسرعة سير القوم إلى الملوح حين دعاهم وهى استعارة مبتدلة ، أزال الشاعر ابتهاجا بأسور ثلاثة :

أولها : المجاز العقلى وهو إسناد السيلان إلى الشعاب ليدل على ابتهاجها بهم .

(١) الأباطح : جمع بفتحاء وهى الصحراء .

(٢) الشعاب : جمع شيب وهو الطريق فى الخيل والدابة ، والمضى : القوم .

ثانيها : تعليق الجار والفرور " عليه " بالفعل " سال " ليدل على شدة طاعتهم له ، فسيروهم كان عليه ومن أجله .

ثالثها : تشبيه وجوههم بالدنانير في الإشراف والبهجة ليدل على حبهم له ورغبتهم في نصره وإحاطته ، وبهذا تحولت الاستعارة في البيت من الانتقال إلى الغاية .

وقول الآخر :

فرعاء إن نهضت حاجتهما . عجل القضيبي وأبطأ الدعص^(١)

استعار " القضيبي " للقامة ، و " الدعص " للردف وهما استعارتان مبتذلتان ، وقد أزال الشاعر ابتذالهما بتلك الأمور :

أولاً : وصف القضيبي بالعجلة والدعص بالإبطاء إذ أكد الوصلان رشاقة القامة وعظم الردف .

ثانياً : إسناد عجل إلى القضيبي وأبطأ إلى الدعص ، أدبا إلى المبالغة في رشاقة قامتها ومخاضة عجزها .

ثالثاً : الطباق بين " عجل " و " أبطأ " أبرز حسن القامة والردف فالضد يظهر حسنة الضد .

رابعاً : تعدد الاستعارة .

ومن ذلك قول امرئ القيس :

قللت له لما تقضى بصلبه . وأردف أعجازاً وناء بكلكل^(٢)

فقد استعار " الصلب " لوسط الليل وجعله يتمضي ليزداد طولاً ، واستعار " الصدر " لأوله وجعله ثقيلاً يقعده عن الحركة ، واستعار الأعجاز لآخره ، وجعلها

(١) الفرعاء : الطويلة ، والقضيبي : النتن . والدعص : كتيب الرمل المتجمع .

(٢) تقلى : تعدد ، والصلب : عظم الظهر ، والأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الشيء .

توادف وتتوالى ليدل على طول الليل واستداده .. فكمل استعارة من هذه الاستعارات الثلاث إذا انفردت صارت عامة مبتذلة ، ولكن اجتماعها حقق غرض الشاعر وهو إبراز طول ليله ووسم صورة متكاملة بين ليله وبين الفرس ، ولذا صارت الاستعارات في البيت قرينة بعيدة .

هذا والاستعارة تجرى في الكلام على النحو الآتي :

١- استعارة محسوس محسوس بوجه حسي ، كقوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ جَنَّاتٍ لَّهُ خُورٌ﴾^(١) ، حيث استعير لفظ " الجبل " من الحيوان المحسوس ، للمسموع الذي صنعه السامع من اللعب بجامع الشكل والعصوت ، فالاستعار له والاستعار منه ووجه الشبه من المحسوسات وقوله عز وجل : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَافِقًا يُفْجِعُ فِي بَعْضٍ﴾^(٢) ، فقد استعير للوج وهو حركة ماء البحر واضطرابه لحركة الخلالق المتجمعة يوم البعث بجامع ما في كل من اضطرابه وحركة مشاهدته .. وقوله تعالى : ﴿وَأَشْتَقَلَّ الرَّامِيُّ شَيْئًا﴾^(٣) حيث استعير شواطئ النار للشيب بجامع البياض والإنارة ، ثم حذف الاستعار منه ورمز له بـ "لأزم من لوازمه وهو " الاشتغال " على طريقة الاستعارة الكتيبة.

أو بوجه عقلي ، كما في الآية السابقة إذا جعلت الاستعارة تبعية في لفظ "اشتعل " حيث استعير الاشتعال لانتشار الشيب في الشعر بجامع سرعة الانتشار مع تعذر التلاقي ، فالطرفان حسبان والجامع عقلي ، وكما في قوله تعالى : ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ تَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ﴾^(٤) ، استعير السليخ وهو : " إزالة جلد الحيوان بعد ذبحه ليظهر اللحم ، لإزالة ضوء النهار حتى يظهر الليل ويحل الظلام ، بجامع مطلق ترتب

(١) سورة طه آية ٨٨.

(٢) سورة الكهف آية ٩٩.

(٣) سورة مريم آية ٤.

(٤) سورة يس آية ٣٧.

أمر على أمر ، فالطرفان حسيان والجامع بينهما عقلى ... وقوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ عَادُوا إِذْ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ ﴾^(١) ، استعيرت المرأة العقيم " التى لا تلد " للريح التى لا تحيط بجامع عدم ظهور الأثر فى كل ، ثم حذف المستعار منه ورمز له بعلام من لوازمه وهو "العقيم" على سبيل الاستعارة المكنية . فالطرفان حسيان والجامع عقلى ... ويجوز اعتبار الاستعارة تبعية بتشبيه ما فى الريح من عدم تلفيح السحاب كى يحيط بالخالدة التى فى المرأة للخالدة من الإجاب وهو العقم ، ثم استعير "العقم" للخالدة التى فى الريح واشتق منه "عقيم" بمعنى لا ينتج أكثر ... وعندئذ يكون كل من الطرفين والجامع عقليا .

٢- استعارة محسوس لمعقول ، ولا يكون الجامع إلا عقليا ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَغَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأُعْزَمُ عَنْ الشُّرَكَاةِ ﴾^(٢) ، فالآية عطف للنسب - صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ الأمانة ويوضح أمر الدين وخبرها تاما لا يحدد معه إلى عفاء كما لا يلتم الزجاج بعد كسر ... فقد استعير الصدغ الحسى وهو كسر الزجاج ، لتبليغ الذى لا ينمى أثره وهو عقلى ، بجامع قوة التأثير فى كل ، ثم اشتق منه " واصدغ " بمعنى بلغ تبليغا يبقئ أثره ... وقوله عز وجل : ﴿ عَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ إِنْ عَا لَفَقُوا ﴾^(٣) ، فالآية تتحدث عن اليهود ، والضرب فسى اللغة يستعمل للإصاق وللإحاطة ، يقال ضرب الطين على الحائط أى : ألصقه بها ، وضرب الخيمة أى : أقامها لتحيط بهم ... وعلى ذلك فقد استعير الضرب فى الآية من إحاطة القبة أو الخيمة بأو من لصق الطين بالحائط ولزومه له لإحاطة الدلة بهم أو للصوقها ولزومها لهم ، واشتق من الضرب ضرب بمعنى أحاط أو لزوم ، فالاستعار له فى الآية عقلى ، والمستعار منه حسى . وقوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَخْشَوْنَ الرُّسُلَ ﴾^(٤) ، استعيرت الزلزلة وهى التحريك بشدة وعنف لشدة ما أصابهم من الألم والشقاق .. وقوله عز

(١) سورة الذاريات آية ٤١ .

(٢) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٣) سورة آل عمران آية ١١٢ .

(٤) سورة البقرة آية ٢١٤ .

وحل : ﴿ قَبِلُوهُ وَرَآءَهُ مُّهُرُهُمْ ﴾^(١) استعير البذ وهو الإلقاء والقذف باليد ، للتناسي والإهمال.

٣- استعارة معقول لمعقول ولا يكون الجامع إلا عقلياً ، كقولـه تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَغَتْ مِن قُرُونِنَا ﴾^(٢) استعير الرقاد للموت بجامع عدم ظهور الأفعال التي يعتد بها في كل ، وأرقاد الموت وعدم الظهور من المعاني العقلية .

٤- استعارة معقول لمعقول ... ولا يكون الجامع إلا عقلياً ، كقولـه عز وجل : ﴿ وَإِنَّا لَأَطْعِمُ الْمَاءَ حَمَلَتَانِ فِي الْجَارِيَةِ ﴾^(٣) ، استعير الطغيان وهو التعالي والتكبر ، لزيادة الماء وارتفاعه بجامع تعارز الحد في كسل ، واشتق منه الفعل " طغى " بمعنى زاد وارتفع على سبيل الاستعارة الطبيعية ... فالتستعار منه " الطغيان " أمر عقلي ... وللتستعار له " الزيادة والارتفاع " أمر حسي والجامع كما ترى من الأمور العقلية ...

قرائن الاستعارة : لا بد للاستعارة ، ولكل مجاز من وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ ، فالقرينة هي ما ينصبه المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير معناه الوضحي ، وهو إما لفظية ، كقولنا : رأيت بحراً تصدق وأسداً يخطب وقمرأً يتكلم ، فالألفاظ " يتصدق " ويخطب ويتكلم " دللت على أن المراد بالبحر والأسد والقمر غير معانيها الأصلية . وإما غير لفظية كدلالة الحبال في قولنا : " رأيت بحراً " والخاطب يرى رجلاً كريماً مقبلاً ، فقد دللت الحبال على إرادة الرجل الكريم ومنعت إرادة المعنى الأصلي للفظ " البحر " وكدلالة الاستحالة كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَسُأ طَغَى الْمَاءَ حَمَلَتَانِ فِي الْجَارِيَةِ ﴾^(٤) ، فقد استعير " الطغيان " للزيادة وارتفاع الماء ، والقرينة استحالة صدور الطغيان بمعناه الأصلي من الماء .

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧.

(٢) سورة يس آية ٥٢.

(٣) سورة الحاقة آية ١٦.

(٤) سورة الحاقة آية ١٦.

هذا ويقرر البلاغيون أن القرينة في الاستعارة التصريحية شيء له علاقة بالمشبه وفي الملكية شيء له علاقة بالمشبه به ، وتأتي القرينة في الاستعارة التصريحية الأصلية على وجوه أعمها :

١- أن تكون معنى واحداً لا تعدد فيه وهذا هو الأكثر كقولنا : وأبنت أسدا يقاتل وعلية تفتى وغراً يفتى .

٢- أن تكون أكثر من معنى ، وكل واحد كشاف في الدلالة على الاستعارة كما في قول الشاعر :

فبان تصافوا العبدل والإيمان فبان قسي إيماننا ليوأنا

فقد استعيرت الثيران للسيوف ، والقرينة تعلق بالفعل " تصافوا " بكل من العبدل والإيمان ، ويكفي في الدلالة على عديم إرادة الثيران تعلقه بأحدهما ، فالاستعارة لا تتوقف على الأمرين مجتمعين ولكن المعنى الذي يريد الشاعر يتوقف عليهما معاً ، فمراده أن يقول : إما أن تدفعوا الخربة وهي عدل وإما أن تؤمنوا بالله ورسوله فإن كرهتم العبدل والإيمان حاربناكم فإن في أيدينا سيوفنا تروق كالثيران ، وبعض البلاغيين يمنع تعدد القرينة ويرى أنها لا تكون إلا معنى واحداً وما عدا ذلك يكون تجريداً أو ترشيحاً على نحو ما رأيت في الاستعارة المفردة والاستعارة المرشحة .

٣- أن تكون القرينة عدة معان ملتزمة مرتبطة لا يصلح واحد منها بالتفرد أن يكون قرينة ، كما في قول الحزبي :

وصاعقة من نصله تنكفي بها على رؤوس الأقتران حس سحاب

فقد استعيرت " السحاب " لأصابع الملووح بجامع الجود والعطاء ، والقرينة ما ذكره من وجود صاعقة ناشئة من نصل سبيله ، تنقلب على رؤوس أقرانه وأن الذي يقلبها عنده حسبة ، وهي أصابع يده فهذه الأمور مجتمعة هي القرينة ولا يكفي واحد منها ليكون قرينة مستقلة .

كما تأتي القرينة في الاستعارة التبعية على وجوه :

أولها : أن يكون إسناد الفعل إلى الفاعل لا يتأتى على الحقيقة ، كقولهم نطقنا
الحال بكذا ، وكلمتني عينا ، وأصروني أسارى وجهه ، فالنطق لا يتأتى من الحال ،
وكذا التكليم والإخبار لا يتأتى من العينين والأسارى فدل ذلك على استعارة النطق
والتكليم والإخبار للدلالة الواضحة .

ثانيها : ألا يتأتى إسناد الفعل إلى نائب الفاعل على الحقيقة ، كقوله
تعالى : ﴿حُزِرَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ﴾^(١) ، فالضرب بمعنى نصب الشيء أو الصك بالطين لا
يتأتى من الدلة فدل ذلك على استعارة الضرب للإحاطة أو الملازمة.

ثالثها : ألا يتأتى تعلق الفعل بمفعوله على الحقيقة ، كقول ابن المعتز :

جمع الحق لسا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا

" قتل وأحيا " لا يتأتى تعلقهما بالبخل أو السماح ، وهذا دليل على استعارة
القتل للإزالة والإحياء للإفاعة والنشر ... وكقول كعب بن زهير :

صَبَّحْنَا الْحَزْرَجِيَّةَ مَرْهَفَاتٍ أَبَادَ ذَوَى أَرْوَمِهَا ذَوَاهَا^(٢)

استعار التصيح بالتحية للطنع بالسيف الرحلة بعد تنزيل الطمن منزلة التحية
على طريقة الاستعارة التهكمية ، والقرينة أن الفعل " صبح " لا يتأتى تعلقه بالمفعول
الثاني " مرهفات " على الحقيقة ، ومثله قول القطامي السابق :

نقر بهم غدمياب نَقْدُ بَهَا مَا كَانَ خِطَا عَلَيْهِمْ كَلَّ زَوَاد

وابعها : ألا يتأتى تعلق الفعل بكل من مفعوله على الحقيقة كقول الخريزي :

(١) سورة آل عمران آية ١١٤.

(٢) الحزرجية : الحزرج من الأتصار ، ومرهفات : السيوف الرفقة أي الرفقة ، والأرومة : الأصيل ،
والضمير المضاف إليه يعود إلى الحزرجية ، والضمير في " نقرها " يعود إلى مرهفات .

وأقرى المسامع إما نطقت بياناً يقدود الحُرُون الشُّموساً^(١)

استعار القرى للإلقاء على المسامع بياناً مؤثراً ساعراً والقرينة أن الفعل "أقرى" لا يتأتى تعلقه بالمسامع والبيان على الحقيقة ، وهذه الاستعارة توحى بعذب حديثه وحلاوة منطقته وفصاحته كلامه فهو يغذى المسامع كما يقرى الطعام.

عالمها : ألا يتأتى تعلق الجار والمحرور بالفعل على الحقيقة ، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَشْرَهُمْ بِغَدَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢) ، فالجار والمحرور "بعذاب" لا يتأتى تعلقه بالفعل "بشر" على الحقيقة فدل ذلك على استعارة التبشير للإنذار بعد تنزيل التضاد بينهما منزلة التناسب على سبيل الاستعارة القبعية التهكمية .

سادسها : امتناع تعلق الفعل بكل ما تقدم على الحقيقة كما في قول الشاعر :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهورة

إذا سرى النوم في الأجفان إيقاظاً^(٣)

استعارة الإقراء للفعل الرياح وتأثيرها على الرياض فتنتج أزهارها والقرينة أن الفعل "تقرى" لا يتأتى إسناده إلى الرياح ولا يتأتى تعلقه بالرياض ولا بالإقطاء .. وفي هذه الاستعارة إلقاء بحسن الرياح ورفقتها وجمال أثرها في الرياض ، فلعلمها إقراء للرياض وإطعام

ولما القرينة في الاستعارة المكينة فهي إثبات لازم للشبه به للمشبه وهو ما يسمى بالاستعارة التخيلية ، ففي قوله عز وجل : ﴿وَاشْتَغَلِ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾^(٤) شبه الشيب

(١) أقرى : ساعده من القرى وهو طعام الضيف ، والحرون والشموس : بمعنى واحد وهو الذي لا يتقاد لك .

(٢) سورة التوبة آية ٣٤ .

(٣) الحزن : الأرض الغليظة ، وإيقاظها : مفعول ثانٍ تقرى وهي استعارة تصريحية لتفتح الأزهار.

(٤) سورة مريم آية ٤ .

بشروط النار ثم حذف المشبه به ورمز له بالازم من لوازمه وهو " اشتعل " ، والقربة هي إثبات اشتعل للشيء " المشبه " وهذا الإثبات يسمى استعارة تخيلية ... وعلى قولك : "نظمت الخال " شبهت الخال بالإنسان وحذف المشبه به ورمز له بالازم " نظن " والقربة إثبات هذا الازم للمشيء " الخال " وقول أبي ذؤيب :

وإذا المنية أنشيت أظفارها ألقيت كل جمعة لا تنفع

فقد شبهت للمنية بالسبع بجميع الأختيال في كل وحذف المشبه به ورمز له بالازم وهو " الأظفار " . والقربة هي إثبات " الأظفار " للمنية ويسمى هذا الإثبات استعارة تخيلية .

* * *

الجزء المركب

الجزء المركب هو التركيب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى الموضوع له التركيب والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي . فإذا كانت العلاقة للشبهة ، سمى الجزء استعارة تمثيلية ، وإن كانت غير للشبهة سمى مجازاً مركباً مرسلاً .. والراد بالوضع هنا ما تعرف على فهمه من التركيب .

ويشترط من هذا أن التعيين في الجزء المركب وهما المعنى الأصلي الذي دل عليه التركيب دلالة حقيقية ، والمعنى المجازي الذي استعمل فيه وأريد منه ، كلاهما يكون هيئة متزعجة من أمرين أو من أمور عدة ، وهذا هو الفرق بينه وبين الجزء المفرد ؛ إذا الجزء المفرد يكون في الكلمة المفردة ، فمعناه الأصلي والمجازي مفردان ، كما أن اللفظ الذي تجوز فيه مفرد .

الاستعارة التمثيلية : هي اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلامة المشابهة مع قرينة مانعة . كقولك للرجل يتشدد في الأمر الصغير ، ويتسامح في الأمر الخطير : " أراك تنقي الدنثار وتحرص على الدرهم " ، شبهت حاله في عسكه بصغار الأمور وتسامحه في جسامها بحال من يبدد الدنثار ويحرص على الدرهم مجامع أن كلا منهما يترك ما يتبع إلى ما هو قليل النفع ، ثم استعمل التركيب الدال على التشبه به للمتشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة تخالفية تفهم من سياق الكلام ... ومن ذلك قولك لمن يزد في الأمر : " مالي أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى " شبهت صورة التردد في الأمر بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فهو تارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيحجم ويتأخر ، ثم استعمل التركيب الدال على التشبه به للمتشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ... والاستعارة التمثيلية كثيرة الاستعمال في كلام العرب نثره وشعره ، وفي القرآن الكريم ، وفي الحديث الشريف ... فمن ذلك قولهم للرجل يفعل جهده في عمل لا يشعر شيئاً ، " أراك تنفخ في رماد ... " وتضرب في حديث

بارد ... وتحفظ على الماء " . مثلوا حاله بحال من يتفخ في الرماد ، " فلا يخرج ناراً ، ومن يضرب في حديد بارد فلا يتشكل بالشكل الذي يريد ، ومن يحفظ على الماء فلا يترك أثراً ... ومنها قولهم للرجل بحال على صاحبه حتى يصرفه عن الأمر الذي يتمسك به " ما زال يقتل له قسي الذروة والغارب حتى لان ... وما زال يتزع الفرد من البعير حتى سكن^(١) ، مثلوا حاله مع صاحبه بحال من يحتال على البعير المحتج بحك شعر ستامه وما يلبه إلى الحق حتى يهدأ ... وبحال من ظل يتزع الفرد من البعير حتى سكن ... ومنها قولهم لمن يقدم التصح للذي لا يفهمه أو للذي لا يعمل به : " لا تشر الدر أمام الخنازير " ... مثلوا حاله بحال من يضع الدر أمام الخنازير بجامع أن كليهما لا ينتفع بالنسيء النفس الذي ألقى إليه .. ومنها قول القتيبي بحال حال من عابوا شعره لأنهم لم يرزقوا الذوق السليم لفهم الشعر الرقيق والتظلم المعيب .

ومن يك ذا قسم مر مريض يحسد مسراً يسه المساء السزلاً

وقوله يمثل حال من لا يحسن اختيار العامل فيجعل غير الثقة على أموره فيعثرها

ويضيقها :

ومن يجعل الضرغام للصيد يمازه تصيده الضرغام فيما تصيده^(٢)

وقول الآخر يمثل حال من يضع الأمور التي ورثها ؛ لأنها آلت إليه بلا تعب :

ومن ملك البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

ومنها قول ابن ميادة يمثل حال إكرام المملوح له ؛ وحال إهائته إياه :

ألم تك في منى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمائك

وقول الآخر يمثل حال الرجل الذي لا يقول إلا حقاً ولا يجتر إلا بالصدق :

(١) الثور : السنام ، والغارب : العنق.

(٢) الضرغام : الأسد ، والباز : ضرب من الصقور التي تصيد ، يقال : باز وبازى وباز وباز وجمعه : براز ... انظر لسان العرب مادة : برا .

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

ومنها قول الشماخ يمثل حال " عرابة " في حرصه على الخد * واعتزازه به ، وإقدامه عليه " وسموه إليه ، واقداره على نيله :

وأيت عرابية الأوسى يسمو إلى أخيرات منقطع القريش
إذا ما رابطة ولعت لجند تلقاها عرابية يساليمين

ولا يخفى عليك أن الشبه مأخوذ من مجموع التلقى واليمين على حد قورطم : تلقفته بكفتا اليمين ، ولهذا لا تصلح " اليمين " أو اليد أو الكف حيث يقصد التحوز فيها وحدها ، فلا يقال : هو عظيم اليد أو عظيم اليمين ، بمعنى عظيم القدرة ، ولا يقال عرفت يمينك على هذا ، بمعنى عرفت قدرتك عليه ..

ومنها قول الآخر يمثل حال المصلح الذي يفسد الغير ما يصلحه :

متى يبلغ النيسان يوما ثمانية إذا كنت تبيسه وغورك يهديم؟

ومما جاء من ذلك في القرآن الكريم قول تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (١) . مثلت الآية الكريمة حال الأرض يوم القيامة والله عز وجل يتصرف فيها بأمره وقدرته تغييرا وتبدلا بحال الشيء يكون في قبضة الإنسان يتصرف فيه كيف يشاء ... ومثلت حال السموات وقد طواها الله بقدرته بحال الكتاب المطوى في يمين صاحبه ... والجامع فيهما وقوع كل تحت قدرة صاحبه وإرادته ...

وقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٢) ، مثلت الآية حال المتعجل بالحكم قبل إذن الله به بحال التقدم بين يدي متروعه حين الشئ بجامع عدم المتابعة في كل ..

(١) سورة الزمر الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ١.

يقول الزعزعي^١ وحقيقة قولهم : جلست بين يدي فلان أن يجلس بين المهنتين للمهنتين ليعينه ويحاله قريباً منه ، فسُميت المهنتان يدين لكونهما على سمت يديين مع القرب منهما توسعاً ، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه في غير موضع ، وقد حوت هذه العبارة ههنا على ستن ضرب من الخناز وهو الذي يسميه أهل البيان تخيلاً، وبقرعها هكلاً فائدة جلييلة ليست في الكلام العريان ، وهي تصوير المجنة والشناعة، فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة، والملحى : ألا تقطعوا أمراً إلا بعدما يحكمكم به ويأذنان فيه ، فتكونوا إيسا عاملين بالوحي المنزل ، وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم ...^(٢)

ومنها قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ﴾^(٣) فقد عدها البعض من قبيل الاستعارة التحيلية . حيث شبهت حال الغضب الذي أثار موسى بعض الوقت ثم هدأ بحال رجل أثار غوره ثم سكت فزاعج التحول من حال إلى حال ... والأولى حمل الآية على الاستعارة الكنية ، حيث شبه الغضب بإنسان يثور غوره ثم يحذف المشبه به ورمز له بلازمه وهو السكوت ويقوى ذلك أن المذكور في الآية الكريمة لفظ " الغضب" وهو مشبه وليس مشبها به .

وعد بعض البلاغيين الآية من قبيل التبعية في الفعل ، بأن استعير السكوت للسكون ، واشتق منه سكت بمعنى : سكن ... وبعضهم يجعلها من قبيل القلب ، وأن الأصل : ولما سكت موسى عن الغضب ، كما تقول : عرق الثوب السمار والأصبل : عرق للسمار الثوب ... وهناك قراءتان أخريان للآية الكريمة : إحداهما ولما سكن عن موسى الغضب ، والثانية ولما سكت بالبناء للمفعول والأولى - كما قلت - أن تعد الآية من قبيل الاستعارة الكنية لأن ذلك يصور مدى تمكن الغضب من موسى - عليه السلام

(١) الكشف ج ٣ ص ٥٥٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٤ .

- وكأنه كان يغيره على ما فعل ، ويقول له : قل لقومك كذا ، وألق الأرواح ، وجبر برأس أخيك إليك ، ولا تجد هذا المعنى في حمل الآية على الاستعارة التبعية ولا في القراءتين الآخرين^(١).

وتأمل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾^(٢) ، نجد أن المقام يقتضي حمل الآية الكريمة على الاستعارة التمثيلية ، إذ المراد : الحث على النظر والتفكير على تركه ، وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالقلب العقل ، ولكن البلاغيين لم يرتضوا هذا التفسير وإن كان المرجح عند التحصيل إليه ، وذلك لإحالة المراد ، ويبتدأ أن الكلام مبني على تخيل أن من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعي يكون منزلة من عدم قلبه جملة ، وهذا يتفق مع ما تريد الآية من الحث على النظر والتفكير على تركه^(٣).

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾^(٤) ، حيث مثلت حال التمسك بحبل الله وعهده بحبل التمسك على حبل قوى يمنعه من السقوط ، ويجوز جعل الاستعارة في الآية مفردة حيث شبه دين الله بالحبل القوي بجامع الحفظ من الضرر في كل واستعير لفظ الحبل للدين ... ويكون قوله تعالى * واعتصموا " ترشيداً للاستعارة لأنه من ملائمة التشبيه به ...

ومما جاء من الاستعارة التمثيلية في الحديث النبوي قوله عليه الصلاة والسلام : (إن أحدكم إذا تصدق بالتمرة من الطيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب جعل الله ذلك في كفه قريبها كما يرى أحدكم قلرة^(٥))، مثلت حال الصدقة القليلة من الكسب الطيب عند الله تعالى ، في محبة لها ورضاه عنها ، بالشيء المهيوب يوضع في اليد اعتزازاً به وحرصاً عليه .

(١) ارجع إلى الكشف ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) سورة ق آية ٣٧ .

(٣) انظر الإيضاح ج ٣ ص ١٥١ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٥) الفلو : المهر تر البحث بعد القطام .

رأسه شيئا ، إثر أن شطحه وإظهاره وهنه ... والقربة مقام الخطاب ، حيث يعلم زكريا عليه السلام أن الله لا تخفى عليه خافية ، فليس في حاجة إلى إخبار

وقوله عز وجل : ﴿زَبَّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(١)، أراد - عليه السلام إظهار الغبطة والسرور ، فهو بمناز مركب علاقته القروية إذ يلزم من إخباره بأن الله قد آتاه من الملك وعلمه من تأويل الأحاديث ، إبداء سروره وإظهار غبطته ، والقربة أن الله عز وجل علّم بركات الصدور ، ويوسف - عليه السلام - يعرف أنه تعالى في غنى عن إخباره ، ولا تخفى عليه خافية

وأرى أن للمعاني المشار إليها في الآيات الكريمة ونحوها ، قد فهمت من السياق وقرائن الأحوال ، فهي من مستتبعات التراكيب^(٢) ، ولذا لا أجد داعيا للقول بالإنجاز المرسل المركب ، وأرى أن يقصر الإنجاز في التركيب على الاستعارة التعليلية .

(١) سورة يوسف آية ١٠١ .

(٢) انظر كتابا : " علم المعاني " ج ١ ص ٣٨ ، ٣٩ .

خصائص الاستعارة ومزاياها البلاغية

من أهم خصائص الاستعارة تجسيد المعنويات وتشخيص المجرّدات ، وإعلاء الحياة على مالا حياة فيه ، فتصبح المعنويات والأمر المجرّد شاعسة أمام الأعين ، ويصوّر فاعل الحياة بالاستعارة حياً متحركاً ... ولننظر في قول الله عز وجل : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَشْعَشَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾^(١) ، فقد استعير التنفس لظهور الصبح وانتشار ضوئه ، وفرق بين الظهور وانتشار الضوء وبين التنفس ، إن الاستعارة بنت في الصبح الحياة وأضفت عليه صفات الكائن الحي ، ولعبها بالإضافة إلى ذلك إيماء بنقل الليل وكرهه وحمومه ، وكأن في ظهور ضوء الصبح إراحة لهذه الكربات وإزالة لتلك المحسوم ، وكأن الصبح يلتقط أنفاسه بزوال ظلمات الليل . وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّيْلِ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾^(٢) ، استعير الشهيق للصوت الفظيع ، وقوله عز وجل : ﴿ تَبْلُ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾^(٣) ، استعير القذف للإيراد ، والدمغ للإذهاب ، ولا يخفى ما في الاستعارتين من بث الحياة في جهنم ومن تجسيد الحق والباطل ، حتى كأن الحق قلبيقة أصابت الباطل فقطعت عليه وعقته ... ولننظر في قول أبي العتاهية مهبطاً المهدي بالخلافة :

أصبه الخلافة منقاداً إليه تجرر أذيالها

وفي قول البارودي :

إذا استل منهم سيد غرب سيقه تلزعت الأفلاك والتفت الدهر^(٤)

إنّ الخلافة والأفلاك والدهر ، قد تحولت بالاستعارة إلى كائنات حية تفرع وتتلقت وتعيش في عجب وحياء ، وقد صار للخلافة المتفاد أذيال تقورها

(١) سورة التكوين آية ١٨ .

(٢) سورة تلك آية ٦ ، ٧ .

(٣) سورة الأنبياء آية ١٨ .

(٤) غرب السيف : حله . واستل : التزع .

وتأمل قول أبي ذؤيب :

وإذا المية أنشبت أظفارها أقيت كسل غيمة لا تنفج

تجده قد أبرز المية في صورة مجسوسة مشاهدة إذ جعلها سباعاً يقتك وينشب
أظفاره .

ومن خصائص الاستعارة : الإيجاز ، فهي تعطى المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة
بسيرة ، على نحو ما نرى في قول ابن المعتز :

أثمرت الأغصان واحته بجنتان الحسن عنايبها

فقد استعمرت الأغصان للأصابع والعنايب للأشمال والمعنى أثمرت أشابع يده
الشبيهة بالأغصان بناتاً مخضوبة كالعنايب ... ولا يخفى عليك ما أحدثته الاستعارة من
إيجاز مع حسن بيان وجمال تصوير ...

ومنها المبالغة في تأكيد المعنى وتفعيجه ، لأنها قائمة على تناسي التشبيه وادعاء
أن المشبه صار فرداً من أفراد المشبه به ، ولذا كان قولنا : رأيت بديراً ، وأضاء محمد
الأرض شرقاً وغرباً ، أبلغ من قولنا : محمد كاليد ، وهو التشبيه الذي ينبت عليه
الاستعارة ، وذلك أن الاستعارة قد صيرت محمداً فرداً من أفراد البذور ، مبالغة وادعاء
وتأمل قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا لَنُصَوِّرُكَ أَفْسَاءً خُمُلًا كَمْ فِي
الْجَارِثَةِ ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا غَدَاةُ فَاعْلَبُوكُمَا بِرِيحٍ مُّزْمَزَةٍ غَالِيَةٍ ﴾^(٢) ، فقد
استعير الطغيان لريادة لئاء وارتفاعه ، واستعير العثر للشدة ، والاستعارة فيهما أبلغ لأن
في الطغيان دلالة على الغلبة والقهر ، والعثر شدة فيها تمرد ... وقد يتبع المستعار
بملاحظات المستعار منه ويبلغ في ذلك حتى ينزل منزلة الحقيقة على نحو ما مر بك في
الاستعارة بالمرشحة

(١) سورة الحاقة آية ١٦ .

(٢) سورة الحاقة آية ٦ .

ومن خصائصها : حسن البيان وتحريك للشاعر وتنبية العقول وتشطيط الأذهان ، ولا يخفى عليك إدراك ذلك فيما مر بك من شواهد ... ففى قوله تعالى : ﴿وَبِئْسَ الْوَسِيلَآءُ﴾^(١) ، نجد أن التعبير عن ظهور الشيب وانتشاره بالاشتغال ، قد أبرز الشيب فى صورة واضحة بيّنة ، تجذب للشاعر وتنبية العقول إلى أن انتشار الشيب لا يمكن تلافيه ودفعه كما أن شواظ النار لا يتلافى .

هذا والاستعارة - كما رأينا - مبنية على التشبيه ، فيشروط حسنها أن يكون التشبيه حسنا . وحسن التشبيه - كما مر بنا - يحصل بكون وجه الشبه كثير التفصيل ، وكون للشبه به تادر الحضور فى الذهن عند حضور للشبه فيه ، وأن يحقق الغرض منه ، فكذلك الاستعارة تحسن إذا كان الجامع بين المستعار له والمستعار منه مقصلا ، كاستعارة الاحتباء بصورة جسم النحام مقدم السرج إلى قم الفرس واستعارة الاقتيات لإذهاب الرجل جسم السنام على نحو ما رأيت فى الاستعارة الغريبة .. وإذا كان المستعار منه نادر الحضور فى الذهن عند حضور المستعار له ، كاستعارة الطفيلان لارتفاع الماء فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا لَمَّا طَفَى الْمَاءُ﴾ ... وتحسن كذلك إذا كان الغرض منها محققا ، كاستعارة قولهم " أراك تنفخ فى رماد ، وتضرب فى حديد بارد " . لمن يجهد نفسه فى عمل لاغالبه فيه ...

ومعلوم أن الاستعارة قائمة على تناسى التشبيه وإدعاء دعوى المشبه فى جنس المشبه به ، ولذا فهى تحسن عندما لا يذكر فى الكلام سوى المشبه به نحو : رأيت قمرا يتحدث ، أما إذا ذكر فى الكلام ما يشبه منه رائحة التشبيه ، بأن يذكر المشبه بوجهه يتنى عن الاستعارة لا عن التشبيه ، فإن ذلك يقلل من حسناتها كما فى قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلاله قد زر أزواره على القمر

(١) سورة مريم آية ٤ .

فقد استعير القمر للمعلوح ، وذكر في البيت الضمير العائد على المشبه وهو الضمير المضاف إليه في " غلاله " و " أزواره " ، ولكن ذكره - كما ترى - بوجه لا ينسب عن التشبيه ، بل ينسب بالاستعارة ، فقلل ذلك من حسنيتها ... أما إذا ذكر بوجه ينسب بالتشبيه كقولنا : عميد أسد ، ورأيت رجلاً مثل الأسد ، وهذا رجل أسد ، فإن هذا يعطل الاستعارة على أرجح الأقوال ويعود بالكلام إلى التشبيه ...

هذا في الاستعارة التصريحية ، أما في اللمكية ، فمن الواضح أنه يصريح فيها بلفظ المشبه ويستدل إليه لازم المشبه به ...

ومما يقلل من حسن الاستعارة أيضاً غموض وجه التشبيه الجامع بين المستعار له والمستعار منه لأن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه ، فإذا أضيف إلى هذا التناسي غموض وجه التشبيه ، تضاعف الخفاء ، وصارت الاستعارة ألفاظاً وتعمية ، أما التشبيه فيحسن فيه خفاء وجه التشبيه - كما مر آنس - لإمكان تفسيره بذكر المشبه ، أو إزالة الخفاء بذكر الوجه والتصريح به

فيجوز أن نقول : هذا الرجل كالأسد في نين القسم ليزوال الخفاء بذكر وجه التشبيه ... ولا يجوز أن نقول : رأيت أسداً ، ونريد رجلاً أبيض نين القسم . و نقول : " الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة " ... ولا نقول : رأيت إبلاً مائة لا أجد فيها راحلة ، ونريد رجلاً كثيرين ليس بينهم إلا رجلاً واحداً متميزاً بصفة الكمال ، وذلك لخفاء وجه التشبيه في الاستعارة ، وزوال هذا الخفاء بذكر المشبه في التشبيه .

وإذا قوى وجه التشبيه ووضح وضوحاً تاماً بين المشبه والمشبه به كتشبيه العلم بالنور في النياض والإشراق ، وتشبيه الشبهة والبدعة بالظلام في السواد ، فتدلل تحسن الاستعارة ولا يحسن التشبيه لأنه يصبح كتشبيه الشيء بنفسه ... فيحسن أن نقول : " مثلأ قلى نوراً " ونريد : علماً ومعرفة ، و " صار فلان في قلبه ظلمة " .

ونريد : شبهة وشكاً ولا يحسن أن نقول " امتلاً قلبي علماً وإيماناً كالنور " وصار في قلب فلان شك وشبهة كالظلمة ...

الاستعارة المعيبة : مما تقدم يتضح لنا أن حسن الاستعارة يتوقف على عدة أمور أهمها : حسن التشبيه الذي بنيت عليه ، وقرب وجه التشبيه ووضوحه ، وألا يذكر في الكلام ما يشتم منه راحة التشبيه ، فإن فقد أمر من هذه الأمور قلل قفدانه من حسن الاستعارة وروعتها ...

وقد حاول النقاد وضع ضوابط للاستعارة بحيث بعد الخروج عن تلك الضوابط عيباً وقبحاً ، وأهم تلك الضوابط :

- ١- أن تكون هناك مناسبة في العرف والعادة بين المستعار له والمستعار منه .
- ٢- أن يكون هناك وجه جامع بين المستعار له والمستعار منه ، وكلما قرب هذا الوجه حسنت الاستعارة ، وكلما بعد وغمض قلل ذلك من حسناتها ، فإن اشتد غموض الوجه وبعد بعد ذلك عيباً ...
- ٣- مدى قبول النفس والأفئدة للاستعارة أو نفورها منها ...

وثمنا لاختلاف العادات والأعراف ، واختلاف الأذواق التي تقبل الاستعارة أو ترفضها ، فقد اختلف العلماء والنقاد في قبولها وردها ، وفي استحسانها وعيبتها ، فما يرفضه أحدهم يقبله الآخر ، وما يعيبه هذا يستحسنه ذاك ، وإليك نماذج متعددة يتضح لك من خلالها ما ذكرنا ...

يقول المتنبي متغزلاً :

مسرة في قلوب الطيب تفرقها وحسرة في قلوب البهش واليب^(١)

ويقول مادحا :

(١) البهش : السيوف . واليب : الفروع تنعذ من الخلود .

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

عاب التقاد عليه جعله للطيب والبيض واللب قلوبا ، وللزمان فؤادا ، وقالوا :
هذه استعارة لم تفر على وجه شبه قريب ولا بعيد ... وإنما تصح الاستعارة وتحسن إذا
جرت على وجه من المناسبة ، وطرف من الشبه والمقاربة .

وقد قبل صاحب الوساطة هذه الاستعارات ، وكجاب بأن لما قاله المتنبي نظيرا في
أشعارهم ، كقول أبي ربيعة :

هم ساعد الدهر الذي يُتقى به وما خير كف لا تسوء يساعد

وقول ابن جرير :

وغت عليه كل معصية هوجاء ليس ليُكها زُئرو^(١)

وقول الكميت :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره على بطنه فعل الممك بالرم^(٢)

فهؤلاء قد جعلوا للريح لبا ، وللدهر ساعدا وظهرا وبطنا ولم ينكر عليهم ،
فكيف ينكر على المتنبي ما صنع ؟

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره القاضى الجرجاني من الاستشهاد بتلك الأبيات ،
وقياسه عليها قوله الاستعارة في بيتي المتنبي ، يمكن أن نضيف إليه أن الاستعارة في
الأبيات المذكورة من قبيل الاستعارة المكنية التي تبنى - غالبا - على التشخيص
والتجسيد ونقل عناصر الطبيعة والمعنويات من عالمها إلى العالم الحسى المتحرك بغض

(١) الرمر : أهله على البئر وإذا طويت لماسكت واستصكت وقد استعر هذا للريح والسراد : نفرانها
وهوبها وأنها لا تستقيم على مهب واحد فهي كالقذائف الفوجاء وهي التي كان بها هوجاء من سرعتها.
(٢) الممك : التمرغ في الرمل أو القواب .

النظر عن التقى ومحاولة التماس ونحوه شبه ، أو إهداء وتقريب المستعار له من
المستعار منه ...

ومن ذلك قول امرئ القيس عن الليل :

قللت له لنا تغطي بصلبه وأرداف أعجازه ونساء بكل كسل

فقد استحسنه الأمدى وجعله من أجود الاستعارات ، لأن امرأ القيس وصف
أحوال الليل الطويل ، فذكر امتداد وسطه وثقل صدره وترادف أعجازه ، فلما جعل له
وسطاً ممثلاً وصديقاً ثقيلاً وأعجازه مرادفة لوسطه ، استعار له اسم " الصلب " ، وجعله
متطابقاً من أجل امتداده ، واسم " الكلكل " وجعله نائياً لتثقله ، واسم " العجز " من
أجل نهوضه ... وما استحسنه الأمدى جعله بين سنان ووسطها ، فذكر أن بيت امرئ
القيس ليس من جيد الاستعارة ولا رديها ، بل هو الوسط بينهما ، لأنها استعارات مبنية
على بعضها ، وإنما تحمد الاستعارة وتستجاد إذا كانت غنية بنفسها غير مفتقرة إلى
غيرها.. وقد رد ضياء الدين بن الأثير رأى ابن سنان ورفض تعليقه ونقضه ، فذكر أن
الاستعارة المبنية على استعارة أخرى من أبعاد الاستعارات وأجودها طائلاً وحدت المناسبة
المطلوبة ، وقد ورد ذلك في النظم الكريم . انظر في قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ اللَّهُ مَقَالاً
فَرِيَةً كَانَتْ آمِينَ مُمِطِينَ بَابِهَا وَقَدْ رَغَدَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَّرَتْ بِأَنَّهُمْ اللَّهُ فَأَذْأَفَهَا
اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْغَوْلِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(١) ، فهذه ثلاثة مجازات يبنى بعضها
على بعض ، الأول : التعبير بالقربة عن الأهل مجازاً مرسلًا علاقته المحلية ، والثاني :
استعارة الذوق للإصابة ، والثالث : استعارة اللباس لما أحاط بهم وعلا وحرمهم من صفة
وهزال ، وقد وجد بينها تناسب التام كما لا يخفى ...

ويجب أبو هلال العسكري ويستفتح الاستعارة في قول الخليفة :

(١) سورة النحل آية ١١٢.

سقوا جوارك العيمان لما جفوته وقصص عن برد الشرب مشافره^(١)

وفي قول مزرد :

فما وقد الولدان حصى وايشه على البكر يخرجه بساق وحافر^(٢)

ولعل سبب عيه واستقبحه يرجع إلى إطلاق لفظ " المشقر " ، الخاص بالبحر
على شفة الإنسان ، ولفظ " الحافر " ، الخاص بآلات الأربع على قدم الإنسان ، دون أن
يكون هذا الإطلاق غرض أو غايته ...

ولكن عبد القاهر يخالف العسكزي في ذلك ، على نحو ما سر بنا في الجواز
للمسل الذي علاقه " الإطلاق والتقييد " حيث يرى أنه خال من الفائدة ، إذ يطلق التقييد
عن قيده ويقيده بلفظ آخر كاستعمال المرسن الموضوع للدلالة على " أنف البحر " في
الدلالة على أنف الإنسان في قول رؤية :

ومقلصة وحاجبا مزججسا وفاجسا ومرمسا مسرجا

ولكنه قد يتحول إلى مجاز مفيد وعندئذ يخرج من دائرة المجاز المرسل إلى دائرة
الاستعارة كما في بيتي الخطيئة ومزرد ، فالخطيئة كراد أن يصف نفسه بسوء الحال وقبح
المآل الذي آل إليه معاشرته الزبرقان بن بدر ، فاستعار من أجل هذا مشقري البحر لشفتيه
تهكما بالزبرقان الذي أضاع طيقه ، وإذا رجعنا إلى شعر الخطيئة وجدنا أن ذمه وتقييده
لنفسه ليس مستبعد عليه ... وكذلك لا يستبعد عبد القاهر أن يكون مزرد كراد باستعارة
الحافر للقدم أن يصف ضيفه بسوء الحال في مسيوه وتقاذف نواحي الأرض به . وأن
يبالغ في شدة حرصه على تحريك بكره واستخراج كل طاقته ومجهوده ... ونظير ذلك
قول الفرزدق في الحجاج :

(١) عيمان : شديد العطش إلى اللبن .

(٢) البكر : الفتي من الإبل ، ويخرجه : يستخرج ما عنده من الحري .

فلو كنت حبيبا عرفت قرابتي ولكن زنجى غليظ المشافر

وقول الآخر :

سامعها أو سوف اجعل امرها إلى ملكك اطلاقه لم تشفق

وقول الله عز وجل : ﴿ سَنَبِيْهُ عَلٰى الْمُحَرَّمٰتِ ﴾^(١٦) ، فقد استعيرت المشافر للتشغاف ، والأطلاق للأخفاف والمحرطوم للألف بهدف الذم والتقيح على نحو ما رأينا في الهزج المرسل ...

وعاب كثير من النقاد قول أبي تمام .

لا تسقني ماء السلام فسياني صب قد استعذبت ماء بكاني

وقوله :

لم تسق بعد الغوى ماء أقل قلدي من ماء قافية يسقيكه فهم

حيث جعل لكل من " الملام " و " القافية " ماء على سبيل الاستعارة المكنية ، وهو مما لا يستماع ، لأن للاستعارة حدا تصلح فيه قبلها حازته فسدت وقبحت ، وليست الاستعارة في البيتين كقولهم : هذا ثوب له ماء ... واللفظ له ماء .. وفلان حلو الكلام ... وعذب النطق ... وحلو النظر ، لأنهم لم يجعلوا الماء مشروبا بالاستعارة كما في البيتين ولم يربطوا حللته على اللسان ولا عذوبته في القم : بل يربطون عذبا في النفوس وحلوا في القلوب والأعين ...

ويرى الأمدى أن الاستعارة في البيتين مقبولة ومستساعة ، ويوضح ذلك بأن الشاعر قصد إلى المشاكلة بين الماءين : " ماء أقل قلدي وماء قافية " ... و " ماء الملام

(١٦) سورة القلم آية ١٦.

وماء البكاء " ... على نحو قوله عز وجل : ﴿وَجَزَاءٌ مِّثْلَهُ مِثْلُهَا﴾^(١) ، فقد أطلقت السببة الثانية على المجازاة والعقاب من باب المشاكلة . كما أنه يجوز أن يسقى القول وإن يشرب الكلام على سبيل الاستعارة فلا يكون ذلك شرباً بالعلم ، بل بالنفس والقلب وعندئذ تكون قد استعرتا السقى والشرب لقبول النفس واستساغتها أو عدم استساغتها على حد قولهم : أغلظت لفلان القول وجرعته منه كأسامرة ، وسقيته منه أمر من العلقم.

ومن الاستعارات التي اتفق كثير من النقاد على عيبتها ورفضها ، قول أبي تمام :
 فضربت الشتاء فسي أهدعيه ضربة غادرته عوداً ركباً^(٢)
 وقوله :

يأدهر قوم من أهدعك فقد أضججت هذا الآتام من عرقك

فقد جعل لكل من " الشتاء " و " الدهر " أهدعين وهو مما لا يستساغ ولا تقبله الأنوار ... وكذا جعله للمعروف كبدا في قوله :

إلى ملك في أيكة أجد لم يزل على كيد المعروف من نيله يرد

وجعله للعرض كعباً وللمال عبداً في قوله :

يلوتاك أما كعب عرضك فسي لعل ولكن عذ مسالك أسفل العلا

وجعل ذي الرمة للدجى يافوخاً في قوله :

تيمعن يا فوخ الدجى فصدعته وجوز القلاصدة السيوف

وجعل العباس بن الأحنف للدمع أعصاراً وللدنم أعتاقاً في قوله :
 للقواطع

(١) سورة الشورى آية ٤٠ .

(٢) عوداً : الجمل المنس ... والأعداء : عرقان في المعنى .

ورى جفون جفاها النوم فاتصلت
أعجاز دمع بأعناق الدم السرب
وجعل الرضى للزمان عربيا في قوله :
ملك مما حتى تخلق في العلا وأذل عربين الزمان السامي^(١)

وجعل تأبط شرا للموت ألفا ومنعرا وثيما أى : دابيا في قوله :
نحز رقابهم حتى صدعنا وأنسف الموت منخسره وثيم

وجعل أى نواسي للمال رجلا و صرنا قديح في قوله :
ما ترجل المال أمست تشككي منك الكلالا

وقوله :
يح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

ومراذه من ذلك أن المال يتظلم من إهائه بالإضاعة وكثرة الإنفاق ، فالعنى
حسن والتعبير عنه قبيح .. والتجيد في هذا المعنى قول مسلم بن الوليد :
تظلم المال والأعضاء من يده لا زال للمال والأعضاء ظلاما

ومن الملاحظ في هذه الشواهد ، أن الاستعارة فيها من قبيل الاستعارة
المكثبة ، وأن ما عابه النقاد واستقبحوه هو الاستعارة التخيلية أى : إثبات لازم
للشبه به للمشبه ، وكأنهم ركزوا في هذا الإثبات خروجاً عن السالكين والمعهود
الذى اعتاده العرب ، فقد اعتادوا جعل الدهر إنسانا ، ووصفوه بالوفاء والغدر ،
وجعلوا له ساعداً ، وألفوا جعل اللبنة سبعا ، وغيروا لها ألقاباً ... ولكنهم لم
يجعلوا للدهر أعدى من أن يكتلموا عن استه ، ولم يجعلوا للمعروف كيبدا ولا
للدجى يافوخا ، ولا للعرض كعبا ولا للمال رجلا ... وقد أدرك القواد ذلك

(١) العرب : الألف أو ما صلب منه ...

قَارَحوَا أَلَا يَشْتَطُّ الْأَدَبَاءُ فِي تَصَوُّرَتِهِمْ وَتَحْيَلِهِمْ ، وَتَحَاوِزَا حُدُودَ التَّصَوُّرَاتِ
الْمَكْلُوفَةِ وَالْمُوهَدَةِ لَدَى الْعَرَبِ ...

وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ مَا عَابَهُ النِّقَادُ مُقْتَصَرٌ عَلَى الاسْتِعَارَاتِ الْمَكْنِيَّةِ ، بَلْ تَجَاوَزَهَا
إِلَى الاسْتِعَارَاتِ التَّصَرُّفِيَّةِ إِذَا مَا جَاءَتْ بِمُخَالَفَةِ الْأَقْوَالِ السَّالِمَةِ وَالْعُقُوبِيعِ الْقَوِيَّةِ وَتَفَرَّتْ
عَنْهَا النَّفُوسُ الزَّكِيَّةُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ مَرْغَرٍ يَهْجُو عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ :
وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ أَضْعَعْتَ وَكُلَّ أَمْرَكَ لِلضَّيَاعِ
فَقَدْ عَابَ النِّقَادُ اسْتِعَارَةَ " الْفَتْحِ " لِسُلِّ السَّيْفِ ...

وَمِمَّا وَرَدَ أَنَّ الْفُهْلَاقَ قَالَ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ : مَتَى أَنْتَ ؟ قَالَ : " أَكَلْتُ مِنْ
حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْقَالَ حَبِّ خَلْتِي " فَقَالَ لَهُ : " أَلَمْ يَعْلَمْكَ اللَّهُ لِحْمِكَ " ، فَقَدْ
عَابَ عَلَيْهِ اسْتِعَارَةَ الْأَكْلِ لِلْإِدْرَاكِ ، لِأَنَّهَا اسْتِعَارَةٌ تُفَسِّرُ مِنْهَا النَّفُوسُ وَلَا تَقِيلُهَا
الْأَقْوَالُ ...

الفصل الثالث الكناية

الكناية في اللغة أن تتكلم بالشئ وتريد غيره ، يقال : كتبت بكتبا عن كتبا إذا تركت التصريح به ، فبإيه : كنى بكى كرمى يرمى ، وقد ورد : كنا يكتوا كدها يدعو ... أنشد الجوهري .

والى لاكتو عن قنور يغيرها وأعرب أحيانا بها وأصارح^(١)

لما المصدر فهو : " كناية " ، ولم يسم " كناية " ، ولذا فإن " كتبت " أنصح من " كتوت " ...

والكناية في اصطلاح علماء البيان : لفظ أطلق وكريد به لازم معناه ، مع حواز إرادة المعنى الأصلي ...

فالتكلم بترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه ويلجأ إلى لفظ آخر موضوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذي يريد فيه غير به عنه ...

يقول عبد القاهر : " الكناية أن يريد التكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يعمد إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيسمى به إليه ، ويجعله دليلا عليه ^(٢) ... وليس هنالك ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي لللفظ مع المعنى الكناي المراد ... مثال ذلك قولهم : " هو طويل النجاد " ^(٣) يريدون : طويل القامة ، " وكثير رماذ القدر " ، يريدون : كثير القوي " وهي عموم الضحى " ، يريدون أنها مخلوقة موقفة ، وقلنا : " قاتلت فلانا فلنوى عنقه " ، أى : أعرض ، " وواجهته بالحق فاحمر وجهه ، أى : أصابه الخجل ... ففي هذه الأمثلة ، أطلق لفظ المازوم ، وأريد

(١) قنور : اسم امرأة .

(٢) دلائل الإحصاء ص ١٠٥ .

(٣) النجاد : جملة السيف .

به لازمه ، فطول النجاد يستلزم طول القامة ويذل عليها ، وكثرة الرماد ، تستلزم كثرة الطهي وكثرة الطهي تستلزم كثرة القرى وتذل على الكرم ، وكثرة النوم في الضحى تستلزم الوف والرفاهية ، ولى العنق يستلزم الإعراض ويذل عليه ، وحمرة الوجه عند المراجعة تستلزم الحجل .. وإزادة اللازم في هذه الأمثلة لا يمنع معها إزادة المفروم وحصوله ، فطول القامة لا يمنع مع طول النجاد وإزادة الكرم والضياقة لا يمنع معهما كثرة الرماد وكون المرأة موفقة بخدمة لا يمنع مع نومها حتى الضحى ، ولى العنق لا يمنع إرادته مع الإعراض ، وكذا حمرة الوجه يبرز إرادتها مع إزادة الحجل ...

علاقة الكتابة : واستخدام اللفظ في غير معناه الذى وضع له لا يتم إلا عند وجود علاقة تربط بين المعنيين : المعنى الكتابى الذى استخدم فيه اللفظ ، والمعنى الأصلى الذى كنى به ، كما هو الحال في الجاز ، والعلاقة هنا في الكتابة هي علاقة الرفض والتبعية ، أو بمعنى آخر التلازم بين المعنى الذى يدل عليه ظاهر اللفظ والمعنى المراد منه ففي قول الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يَقَعُ الْقَسْلُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾^(١) ، عر عن الشعور بالتحسر والندم على ما فات ، بالمعنى على الدين ، وكذا في قوله تعالى : ﴿ وَأَجِطْ بِفُتْرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كُلَّيْهِ عَلَى مَا اتَّفَقَ لِيهَا ﴾^(٢) ، عر عن نفس المعنى وهو " الندم والتحسر " بتقليب الإنسان كليته ... والعلاقة بين " الندم والتحسر " وبين " عجز اليدين " أو " تقليب الكلين " هي التلازم الذى يرجع إلى ما عر عن الإنسان وطباعه ؛ فقد عر عنه أنه إذا ندم عجز على يديه أو قلب كليته متحسراً على ما فات ، كما أن من طباعه ، حمرة الوجه عند الحجل ، وتقطيعه عند الغضب.

وفي قول الشاعر :

يذكون ناز القرى في كل شاعلة يلقى بها النذل المسمى محطوما^(٣)

(١) سورة الفرقان آية ٢٧ .

(٢) سورة الكهف آية ٤٢ .

(٣) للنذل المسمى : عود طيب الرائحة يستعمل من اللند ... والمحطوم : للكسر.

كنى عن الكرم بلاكاء النيران في الأماكن العالية لإرشاد الضيوف ، والعلاقة بين
 للعينين : التلازم الذي يرجع إلى ما عرف عن العرب ، فمن عاداتهم ، إيقاد النيران في
 الأماكن المرتفعة يرشدون بها القادم إليهم .. وفي قول النبي مدح سيف الدولة ويشيد
 بشجاعته :

**لمساهم وسطهم حرير
 ومن في كفه منهم قنابة**

كنى عن ثراء العدو وسيادته قبل أن يلقاه سيف الدولة ، بأنه يقدر الحرير
 " وسطهم حرير " ، وكنى عن إقلاعه ومضوعه ، بقوله : " وسطهم تراب " ، كما
 كنى عن الرجل في البيت الثاني بقوله : " ومن في كفه منهم قنابة " ، وعن المرأة بقوله :
 " من في كفه منهم خضاب " ، والعلاقة بين الكنى به والكنى عنه : التلازم الذي يرجع
 في البيت الأول إلى العرف والعادات والتقاليد ، فمن عادة الثرى أن يقدر الحرير ومن
 عادة اللئيل أن يقدر الزواب ... ويرجع في البيت الثاني بالإضافة إلى العرف والعادات
 إلى خصوصيات الأفعال ، فحمل السلاح يختص بالرجل ، وخضاب الكف يختص بالمرأة
 ... وبهذا يتضح لنا أن التلازم القائم بين العينين : للكنى به والكنى عنه . يرجع في
 الغالب إلى العرف الذي تعارف عليه القوم ، وإلى طابع الإنسان والحيوان وطابع الأشياء
 الأخرى . وإلى خصائص الأفعال ، ثم إلى عادات العرب وتقاليدهم التي ألفوها ...

ما الفرق بين الكتابة والمجاز ؟ ... ويختلف أسلوب المجاز عن أسلوب الكتابة في
 أن أسلوب المجاز يشتمل على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي للفظ ، فقولنا : " هجبت
 من الجيفة كيف يطعن " مجاز مرسل علاقته : اعتبار ما سيؤول إليه الإنسان بعد موته
 حيث أطلق لفظ " الجيفة " وأريد بها الإنسان الحي ، والقرينة أن الجيفة يستحيل أن
 تطعن ، وتلك القرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي للجيفة .. وكذلك الاستعارة في قوله
 تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾^(١) ... وفي قوله عز

(١) سورة الحاقة الآية ١٦ .

وحل : ﴿وَأَخْلَصُوا لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنْ الْأُخْخَةِ﴾^(١) القرينة فهما تمتنع إرادة المعنى الأصلي " للطلعين " وتمنع إرادة المعنى الحقيقي للذل ... أما القرينة في أسلوب الكتابة فإنها لا تمتنع إرادة المعنى الأصلي للفظ ففي الشواهد المتقدمة لا تمتنع القرينة من أن يعرض القائل للتمتع على يديه يوم القيامة وأن يقلب صاحب الجنة التي صارت خاروة كفيه حال تدمه ... وأن تجتمع الحمرة والخلجل ، وكثرة الرماد والكرم ... إلا إذا عارض عارض خارجي يمنع إرادة المعنى الأصلي في الكتابة فعندئذ يمتنع إرادته بسبب هذا العارض. كما في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢) ، وذلك على القول بأن الكاف أصلية وأن الآية تفيد نفى للمثلية عن الله عز وجل بطريقة الكتابة ، إذ نفى مثل المثل يستلزم نفى المثل ، ويمتنع في الآية إرادة المعنى الأصلي ، وهذا الامتناع ليس بسبب القرينة ، بل بسبب عارض خارجي وهو إضافة ثبوت المثل لله عز وجل وذلك محال... ويجوز جعل " الكاف " صلة " زائدة " فلا يكون في الآية كتابة عندئذ .

أقسام الكتابة : وتنقسم الكتابة باعتبار المعنى المكتنى عنه وهو المعنى المراد إلى

ثلاثة أقسام :

١- كتابة عن موصوف ... وذلك بأن يذكر في الكلام صفة أو عدة صفات لها اختصاص بالظاهر بموصوف معين ، ويقصد بذكرها الدلالة على هذا الوصف كما في قوله عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ فِي الْخَلْقِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣) . حيث كنى عن المرأة بصفتين تختصان بها اختصاصا يتناهما التنشئة في الخلية وعدم الإبالة في الخصام...

وكقول النبي في الكتابة عن المرأة وعن الرجل :

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١ .

(٣) سورة الزمر آية ١١ .

ومن لى كفه منهم قناسة كمن لى كفه منهم عذاب

فحمل القناسة من خصائص الرجل وعذاب الكف من خصائص المرأة .

وقول عمرو بن معد يكرب :

الضاربين بكلل أبيض محبلم والطاعين بمجامع الأضغان^(١)

كتب بمجامع الأضغان عن القلب ويكنى عنه أيضاً بمواطن الأسرار ، ويمكن
اللب ، ويمكن الحقد وسكان الرعب .. انظر إلى قول أبي نواس يصف الخمر :

قلعنا شربنا ودب ديبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفى

وقول البحري في وصف طمعة أصاب بها ذئبا :

فاتبعها أخرى فأجلك نصلها

بحيث يكون اللب والرعب والحقد^(٢)

ومن ذلك قولهم في الكتابة عن الخمر " أم المصاب " لشهرة الخمر عند العقلاء

بجلب المصاب وتوليد الكوارث ... وفي الكتابة عن النساء " ذوات الخلاجل " وفي

الكتابة عن الدبنار : " الأصفر الرنان " . وفي الكتابة عن الصدر : " موطن الخلم " وعن

اللغة العربية بأنها " لغة الضاد " يقول شوقي :

إن الذى ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره فى الضاد

وقولهم في الكتابة عن السفينة : " أبنه اليم " ملازمها ماء البحر .. كما يكنى

عنها بذات الأرواح والدمر ، قال عز وجل : ﴿ وَخَفَّاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَفُشِّرَ لَهُ ﴾^(٣)

كتب عن السفينة بذات الأرواح والدمر ... وتلاحظ في الشواهد والأمثلة المذكورة أن

(١) الخلم : القاطع من السيف ... والأضغان : جمع ضغن وهو الحقد ...

(٢) أجلك : غيت ... واتصل : حديدة الرمح والسهم .

(٣) سورة القمر : الآية ١٤ .

الصفة أو الصفات التي صرح بها لها مزيد اختصاص بالوصف الذي كنى بها عنه ولازمة لاعتاد ، ووضحة الدلالة عليه ولذا ساع الكتابة بها عنه ...

٢- كتابة عن صفة : وذلك بأن يذكر في الكلام صفة أو عدة صفات بينها وبين صفة أخرى تلازم وارتباط ، بحيث ينتقل الذهن بأفراك الصفة أو الصفات المذكورة إلى الصفة المكتى عنها المرادة .. كما في قولهم : " فلان طاهر الذليل ، وتقلى الثوب " ، كتابة عن العفاف والطهر ، فطهارة الذليل ونقاء الثوب ، صفتان يلازمهما عادة صفة العفاف وصفة الطهر ... وقولهم : " فلان شب عن الطوق " ، كتابة عن اجتيازه مرحلة الطقولة إلى مرحلة الرفاعة والشباب ، فالشب عن الطوق صفة تلازمها عادة صفة اجتياز مرحلة الطقولة .. وكذا قولهم : " ضرب فلان كفا بكف " كتابة عن الندم والتجسس و" أصبح فلان يحشى على عكاك " كتابة عن ضعفه وكبر سنه و " فلان كسب الرماد ... وحيان الكلب ... ومهزول الفصيل " كتابة عن الكرم والجود و " فلان طويل النجاد " كتابة عن طول القامة و " قطب وجهه وانتفخت أوداجه " كتابة عن الغضب و " احمر وجهه " كتابة عن الخجل و " حدثني بالغة المدغم " كتابة عن القوة " ونظرو إلى الدنيا بمنظار أسود " كتابة عن التشاؤم و " فلان ناعم الأظفار " كتابة عن قلة الخبرة والتجربة ... ومن شواهدنا في النظم الكريم قوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَلْقًا لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ فَرَحًا﴾^(١) ، كنى عن صفى التكبر والفسر بتصغير الخلق والترح في الأرض لما بين الصفتين المذكورتين والمكتى عنهما من تلازم وارتباط .. وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي الْأَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾^(٢) ، كنى عن لئيمهم على ما فعلوه من عبادة العجول بالسقوط في الأيدي وهو عرض الأصابع ، لأن هذا من شأن النادم عند شعوره بخلطه ، وتلاحظ مدى دقة النظم الكريم في التعبير عن شدة الندم ، فالربوس هى التى سقطت على الأيدي لبعض الأصابع والشأن في ذلك أن الأصابع هى التى ترتفع إلى الأفراء ..

(١) سورة لقمان آية ١٨ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٩ .

وفي هذا إنباء بشدة شعورهم بالندم فقد عذرت قواهم ومالت رؤوسهم وهوت ..
ونظير الآية في التعبير عن الندم قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾^(١) ، وقوله
عز وجل : ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
عُرْسِهَا...﴾^(٢).

ونقرأ قوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ أَنَّهُ لَكُمْ وَلَكُمْ أَن تَعْبُدُوا
ذَاتَ الشُّوْكِ لَكُمْ وَتَعْبُدُوا اللَّهَ أَن يُخْلِقَ الْفَرَقَ بَيْنَكُمْ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)
.. نجد في الآية كتابتين ، الأولى كتابة عن موصوف في قوله : (ذات الشوك) فقد كسى
به عن الحرب والنفر ، والثانية كتابة عن صفة في قوله : (ويقطع دابر الكافرين) فقد
كسى به عن صفة الاستئصال والإبادة..

ومن شواهد الكتابة عن صفة في أشعارهم قول الحماسي في الكتابة عن ضحامة
الأرداف وعظم الثدي وضجور الصدر والبطن :

أبت الروادف والثدي لقمصها مس الظهور وأن تمس بطونا
وقول المتنبي في الكتابة عن صفتي " العز والسيادة " و " الفقر والحاجة " :

فمساهم ويسطهم حريسر وصحبهم ويسطهم شراب

وقول الأعرابي في الكتابة عن صفة الكرم :

وما يلك في من عيب فباني جنان الكلب مهزول الفصيل^(٤)

(١) سورة الفرقان آية ٢٧.

(٢) سورة الكهف آية ٤٢.

(٣) سورة الأتفال آية ٧.

(٤) الفصيل : ولد الشاة ، وهزاله بمراته من لبنها لحرها للضيوف أو إطعامهم لبنها وإثارتهم به..

وقول عمر بن أبي ربيعة في الكتابة عن طول العبد :
بعيدة مهوى القمطر إما لنوفل أبوها وإما عيب خيس وهاشم^(١)

وقول النابغة الذبياني في مدح الغساسنة :
رقائق النعال طيب حُجُرَاتِهِمْ يُحَيُّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّيَاسِ^(٢)

ففي البيت ثلاث كتابات ، الأولى : الكتابة عن السوف والسيادة بركة النعال ، فهم لا يحشون حتى يتصفوا تعاليم ويجعلوها سبيكة ، وإنما يكون الخيل ، ويلزم من ذلك السوف والسيادة ، والثانية : الكتابة بطيب حجراتهم عن صفة العفة والطهارة ، والثالثة : الكتابة عن رقة أكرحتهم وحسن أذواقهم وعفافهم على التقاليد المرعية ، بقوله : " يحيون بالريحان يوم السياب " ...

وقول طرفة بن العبد في الكتابة بصغر الرأس عن الذكاء :
أنا الرجل المضرب الذي تعرفونه عشتاشي كرواس الحيلة المتوقد^(٣)
فهم يكون بصغر الرأس عن الذكاء كما يكون بعظمها وضاعتها عن القيام والبلادة ، ويعرض القفا عن صفة البه .

٣- كتابة عن نسبة : وذلك بأن يرشد المتكلم إثبات صفة لموصوف معين أو نفيها عنه ، فيذكر إثبات هذه الصفة لموصوفها ، وينتبهنا لشيء آخر شديد الصلة ووثيق الارتباط به ، فيكون ثبوتها لما يتصل به دليلاً على ثبوتها له .. كقوله في مقام

(١) القمطر : ما تترين به المرأة يلبسه في الأذن وسهوله : المسافة من شحمة الأذن إلى الكتف .
(٢) حجرة الأزار : موضع شدة من الوسط ، والريحان : الزهر الطيب الرائحة ، والسياب : يوم عيد عند الصاري يسمى يوم الشحان وكان الغساسنة يدينون بالنصرانية .
(٣) المضرب : الخفيف اللحم .. وعشتاشي : الصغر الرأس ، والمتوقد : سريع الحركة .

المدح : " الحمد بين ثوبيه والكرم بين برديه " أراءوا نسبة الحمد والكرم له ، فعدلوا عن التصريح بذلك إلى جعل الحمد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه ، ليفهم المخاطب إثباتهما للممدوح ، إذ ليس بين البردين أو الثوبين سواء ، فالتعبير كناية عن نسبة الحمد والكرم إلى الممدوح...

ومن ذلك قول زياد الأعجم :

إن السحابة والسروية والسدي في قبة حريت على ابن الحشر^(١)

كنى عن نسبة هذه الصفات إلى ابن الحشرج بجمعها في قبة مضروبة عليه ، لأنه إذا أثبت الشيء في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له ، وذلك لاستحالة قيام الوصف بنفسه ووجوب قيامه بموصوف صالح للاتصاف به ...

وقول أبي نولس :

فما جازه جود ولا حصل دونه ولكن يسر الجود حيث يسر

كنى عن نسبة الجود إلى الممدوح بإثباته للمكان الذي يوجد به ويحل فيه ، فلا يتحازره ولا يحل دونه ... ويلاحظ ما في البيت من عيال بدیع ، حيث صور لنا الجود في صورة حي متحرك يسر لسر الممدوح ، ويسكن لسكونه ...

وقول الأسر بمدح ابن العميد :

والجند يدعوا أن يسلمو جيسده عقد مساعي ابن العميد نظامه^(٢)

صور الحمد عادة حسنة ، قد تحلى بها العقد ، حياته مساعي ابن العميد وهو يدعو الله أن يدرم هذا العقد ويبقى في حيدته ... فكنى عن نسبة الحمد وثبوته لابن

(١) القبة : ما كانت فوق الخيمة في العظم والاسراع وهي عاصمة بالرواء والسادة . وابن الحشرج : هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور...
(٢) المساعي : الكارم مفردها : مسعة ونظام العقد : ما به يكون منتظما ...

العميد: يكون مساعيه حيات قد انتظم بها عقد الجدد ، وكفى عن الدعاء بدوام بقاء ابن العميد ، يدعاه الجدد أن يدوم العقد ويتقى في حياته.. ومنها قورشم : العرب لا تقهر الذمم . يريدون نفى ذلك عن العرب ، لأنه إذا نفى عن العرب نقض العهد ، فقد نفى عنه إذا هو واحد منهم . وقورشم : " أبلغت إيتانة وبلغت أترابه " ، كتبوا عن نسبة الياقعة والبلوغ إليه بنسبتهما إلى أترانه ونظرائه ..

وقورشم : " مثلك لا يبخل " ، كتبوا عن نفى البخل عنه وتأكيد هذا النفس بتلقيه عن نظيره للشارك له في أخص صلاته ، لأن نفى البخل عن هذا المسائل يستلزم تأكيد تقيده عن المعاطب .. ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿لَسَنَ كَيْفِيلُهُ شَيْئًا﴾^(١) ، على أن الكاف أصلية ، فقد كتفى عن نفى وجود للكل عذ وجل بنفى وجود مثل للكل ، لأن نفى مثل للكل يستلزم نفى للكل . ومنها قول الشنفرى :

بيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت باللامة حلت

ففى البيت أربع كتابات ، أولاها عن صفة العفة وقد كتفى عنها بالنجاة من اللوم إذا النجاة من اللوم تستلزم النجاة من موبقاته ، كالزنا والفواحش ، وذلك يستلزم العفة . والثانية : عن نفى العفة فى الشطر الثانى وكفى عن ذلك بمحول اللامة ، والثالثة : عن نسبة العفة إلى ذاته ، وقد كتفى عنها بنسبتها إلى بيتها . والرابعة : عن نفى العفة عن أصحاب تلك البيوت بنفيها عن بيوتهم ... ففى كل شطر من شطرى البيت كتابتان قد جعلت إحداهما طرفا للثانية ، النجاة من اللوم طرف لإثبات النجاة منه إلى البيت المستلزم إثبات العفة ، وحلول اللامة طرف لإثبات الحلول إلى البيوت المستلزم نفى العفة عنها ، ونظير ذلك وهو اجتماع كتابتين فى جملة واحدة قولنا : "كثر الرماد فى ساحة عمرو" ففكرة الرماد كناية عن صفة الكرم وإثبات الكرم فى ساحة عمرو - المعروضة بكثرة

(١) سورة الشورى آية ١١.

الرماد - كناية عن نسبة الكريم إليه ، فقد اجتمعت كنايةات قسي جملة واحدة ، وجعلت إحداها وهي كثرة الرماد طرفاً لثانية وهي إثبات كثرة الرماد في ساحة عمرو... وما من شك في أن وجود نوعين من الكناية في جملة واحدة مما يزيد الكلام حسناً ويضفي عليه جمالا.

الكناية القرية والكناية البعيدة : وتنقسم الكناية باعتبار القرب والبعد بين المعين : المكى عنه والمكى به إلى قسمين : قرية وبعيدة .

فالكناية القرية : هي ما تقارب فيها المعين بحيث يكون الانتقال من المعنى المكى به إلى المعنى المكى عنه بلا واسطة ، كالانتقال من عض الإصبع أو قلب الكفوف إلى الندم ، ومن طول النجاد إلى طول القامة ، ومن بعد مهوى القسوط إلى طول الجيد ، ومن التشبه في الخلية إلى المراتة في قوله عز وجل : ﴿لَوْ مِّنْ بَنِيٍّ فِي الْخَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْحِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(١) . والانتقال من منع الروادف والشدى قميص المراتة من أن يحس ظهرها ويطنها إلى ضخامة الأرداف وعظم الشدى في قول الحماسي :

أبت الروادف والشدى للمصها مسى الظهور وأن تمسى بطونا

والانتقال من كون السماحة والبرودة والشدى في قبة مضروبة على ابن الخشرج إلى نسبة هذه الصفات إليه في قول زيادة الأعجم :

إن السماحة والبرودة والشدى في قبة ضربت على ابن الخشرج

وهذه الكناية القرية ، قد تكون واضحة لا تحتاج في إدراكها إلى نظر وتفكير ، كما في الشراهد المذكورة ، وقد تكون خفية تحتاج في إدراكها إلى شيء من التأمل والنظر ، لكن التلازم بين المعين للمكى به والمكى عنه مبنيا على عرف لم يبلغ حد الشهرة العامة .. وذلك كالانتقال من عرض القفا إلى صفة البله ، فإن تجاوز الحد في

(١) سورة الزمر آية ١٨.

عرض القفا من لوازم البله ، وكالاتقال من ضعمامة الرأس إلى الغشاء ، ومن صغرهما إلى الذكاء ... وكالاتقال من أداء النحية بالريضان يوم السباب إلى رقة الأمزجة وحسن النوق والمحافظة على التقاليد في قول النابعة بمدح القساسة :

رفاق النعال طيب حجازهم يحبون بالريضان يسوم السباب

أما الانتقال من رقة النعال إلى الوف والسيادة ، ومن طيب الحجزات إلى العفة ، فمن الكتابة البعده لاحتياج هذا الانتقال إلى وسائط ، فرقة النعال تستلزم عدم المشي بها ، وعدم مشيهم بها ، يستلزم ركوب الخيل ، وركوبهم الخيل ، يستلزم الشرف والسيادة وطيب الحجزات يستلزم ابتعادهم عن الفواحش والموبقات وابتعادهم عنها يستلزم العفة " ... فهما كتابتان بعيدتان .

الكتابة البعده : فالكتابة البعده هي ما تباعد فيها المعاني بحيث يصور الانتقال من المعنى المكتبي به إلى المعنى المكتبي عنه لا يتم إلا بواسطة أو بعده وسائط ، كالكتابان المذكوران في الشطر الأول من بيت النابعة السابق .. وكالاتقال من النجاة من اللوم إلى العفة بواسطة النجاة من موجبات اللوم ، أي الابتعاد عن الفواحش والموبقات في قول الشنقري :

بيت بمنجاة من اللوم بينها إذا ما يسوت باللامسة جلست

فالنجاة من اللوم تستلزم النجاة من موجباته والنجاة من موجباته تستلزم العفة... وكالاتقال من كثرة الرماد إلى صفة الكرم في قولنا : فلان كثير الرماد : إذ ينتقل من كثرة الرماد إلى صفة الكرم بعده وسائط ، فكثرة الرماد تستلزم كثرة إيقاد النار تحت القدور ، وتلك تستلزم كثرة الطبخ ، وهذه تستلزم كثرة الأكلة ، وكثرتهم تستلزم كثرة الضيوف ، وهذا دليل الكرم .

ومن الكتابات البعده عن صفة الكرم قول الشاعر :

وما يك في من عيب فسني جبان الكلب مهزول القصيل

فقد انتقل من جبن الكلب إلى الكرم برسائط عدة ، إذ جبن الكلب عن البياح يستلزم استمرار تأديبه ، وهذا يستلزم حوام مشاهدته وجوها غريبة في بيت صاحبه ، وذلك يدل على أن صاحبه مقصد الدائى والقاصى ، وهذا يدل على اتصافه بالجرود والكرم وكذا ينتقل من هزال القصيل إلى الكرم بعدة وسائل ، فهزله دليل على فقد أمه أو فقد لبنها ، وهذا دليل على نحرها للضيوف أو إظهارهم بلبنها وذلك دليل الكرم والجرود...

وقول نصيب في مدح عبد العزيز بن مروان :

لعبد العزيز على قومه	وغيرهم منن ظاهرة
لبناك أسهل أبوابهم	ودارك مأهولة عامرة
وكليك آنسى بالزائرين	من الأم بالابنة الزائرة ^(١)

فأنسى الكلب بالزائرين دليل على أنه يعرفهم لكثرة ترددهم على الدار وقصائدهم فيها لقضاء حوائجهم وهذا يدل على كرم صاحبه وكثرة إحسانه .. وفى جعل أبوابه أسهل أبواب القوم ، وفاره مأهولة عامرة كتابان أيضا عن الكرم ، فسهولة الأبواب تستلزم أنها مقصد الكثيرين ، وعمارة الدار تستلزم كثرة المؤددين ، فالبعض يذهب والبعض يأتي والدار تفضل عامرة بهم ، وهذا دليل الكرم وكثرة الجرود . وفى قوله "مأهولة" إتياء بكثرة الكرم وحسن الضيافة لدلائلها على أن من يحل بالدار يصير كعلا لها فلا يشعر بغربة ولا جفوة ...

ونظير قول نصيب « قول ابن هرمة في أنسى الكلب بالضيوف :

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم^(٢)

(١) المتن : الصم مفرغا سنة ... ومأهولة : أى فيها أعلاها .

(٢) أعجم : لا يتكلم والضمير فى يكاد يعود إلى الكلب فى الأبيات الثلاثة .

فقد بالغ في أنسه بالضيوف وجعله يكاد ينطق فوجذب بهم وذلك من فرط حبه
الناسم عن كثرة مشاهدته للضيوف حتى أفهم .

ونلاحظ مدى التفاوت في الدلالة على الكرم باستخدام الكلب واستغلال ما
عرف عن طباعة وتصميماته ، فقد عرف عنه أنه يبيع عند مشاهدة الغريب ويطارد
بناحه ، فإذا ما كف عن التباح وجبن أمام الغريب دل هذا على كرم صاحبه ، وهذا ما
نراه في البيت الأول ، أما إذا ما تحول جنينه إلى إلفه الزائر وأنسه به ، فهذا يدل على
المبالغة في كرم صاحبه ، وهذا ما نراه في أبيات نصيب ، أما كلب ابن هرمة فقد تحول
أنسه إلى حب مفرط يكاد معه أن ينطق مرحبا بالضيف .

ومن الكتابة البعيدة قول ابن هرمة في الكتابة عن الكرم أيضا.

لا أفصح العود بالفصال ولا أبصاع إلا قريسة الأجل^(١)

يريد أن يقول : إنه يذبح العود ولا يركبها تمتع بفصالها ، أو أنه يذبح الفصال فيحرم
العود من التمتع بها لو أنه يذبحها معا قبل أن تمتع العود بفصالها وذلك كي يقدم
لحومها للضيوف .. كما أنه إذا ابتاع نوقا لا تبقى عنده طويلا ، إذ سرعان ما يذبحها
ويقدمها طعاما للضيوف .. فلي كل شطر من شطري البيت كتابة عن كرمه وجوده ،
انتقل في الشطر الأول من عدم ابتاع العود بالفصال إلى ذبحها أو ذبح فصالها أو ذبحهما
معا ، ومن الذبح إلى تقديم لحمهما للضيوف ، وهذا يستلزم كثرة الضيوف وكثرتهم
تدل على الكرم ... ومما يرحس بكثرة هؤلاء الضيوف ، إشارة التعبير بلفظ
الجمع : " عود " و " فصال " ، فهو لا يذبح فصلا واحدا أو عائدا واحدة ، بل عودا
وفصالا عديدة ... وفي الشطر الثاني : انتقل من ابتاعه قريسة الأجل ، إلى أنه لا يقيها
حية بل يذبحها للضيوف ، وهذا يستلزم كثرة ترددهم عليه الدالة على كرمه وسخائه .
ومنها قول المتنبي في مدح سيف الدولة ، مكتبا عن شجاعته وكرمه :

(١) العود : جمع عائد وهي الدابة حديثة الناج ... وفصال جمع فصيل وهو ولد الدابة .

إلى كم ترد الرسل عما أتوا له

كانهم فيما وهبت ملام^(١)

كنى عن شجاعته ، برده رسل العدو ، لأنه يستلزم عدم اعتماده بقرته ، وهذا دليل الشجاعة ، وكنى عن كرمه ، برده ملام اللاتمين له في كثرة حياته وعطياه وهذا يستلزم حرصه على العطاء وهو دليل الجود والكرم .

ومنها قول الخنساء في صخر :

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ماشنا

كنت بطول النجاد عن شجاعته ، لأن طول النجاد يستلزم طول القامة ، وطول القامة يستلزم الشجاعة عادة ، وكنت رفيع العماد عن كونه سيداً عظيم القدر ، ورفيع الكفاية في قومه ، وبكثرة الرماد عن الكرم والجود ، وفي إثارة وقت الشتاء دلالة على البالية في الكرم ، لأنه وقت تشتد فيه حاجة المحتاجين .

وقول الآخر في الفخر بقومه :

فلسا على الأعقاب لدمي كلوما ولكن على أقدامنا تقطر الدماء^(٢)

كنى عن شجاعتهم وإقدامهم بنفى الدماء عن الأعقاب وإثباتها للأقدام ، . لأن ذلك يستلزم التقدم لللائمة العدو ومواجهته والقبول في المعركة وعدم الفرار ، إذ الفار يتلقى ضربات العدو من الخلف فتدعى أعتابه ، والثابت المتقدم يتلاقها من الأمام فتدعى قدمه ، وهذا دليل الشجاعة والجرأة ... وفي إظهار التعبير بكلمة " تقطر " في الشطر

(١) الرسل : المراد بهم رسل الروم في طلب الصلح .. وملام : مصدر : " لام " يقال : لام فلوم لوما ، وملاما وملامة .

(٢) كلوم : جمع كلم وهو الجرح ... والدماء : مخفف الدماء .

الثاني دون " تدمى " ، دلالة على قوتهم وتغلّبهم على الأعداء فعما يصيبهم ليس سوى
حروح طفيلة تقطر قطرات يسيرة .

وقول امرئ القيس :

وتضحى فببت المسك فوق فراشها

لنوم الضحى لم تنتطق عن تفضل^(١)

فألبت كتابة عن حيلة اللف والنعم ، لأن نومها وقت الضحى ، وتعطير
فراشها بالمسك الذى يبقى فيه حتى ذلك الوقت ، وعدم ارتدائها ملابس الخدمة كل هذا
يستلزم أن لديها من يخدمها ويقضى حاجتها ويكتفيها شئونها ، وذلك دليل الرف
والنعيم والرفاهية .

وقول أبى تمام :

فإن أنا لم يحمذك عنى صاغراً
علوك فاعلم أننى غير حامد^(٢)

كنى عن جودة شعره وبلوغه الغاية فى اللدج ، بحفظ الأعداء له مكرهين حيث
«بهرتهم بلاغته ، وسحرهم جماله ، فحفظهم له وهم لا يحسبون النشاء به على المدح
يستلزم بلوغه فى البلاغة والحسن ليعد الغايات.

ومن لطيف الكتابات البعيدة قول الشاعر فى وصف الراعى :

ضعيف العصا ينادى العرووق ترى له

عليها إذا ما أجذب الناس إصبعاً^(٣)

(١) تنتطق : ترتدى ملابس الخدمة ... تفضل : زيادة وعدم احتياج .

(٢) صاغراً : ذليلاً ، اسم فاعل من الصغار وهو الذئبة ، وحمذك عنى : أى يحفظون مدحى قبك
ويتشبهونه مرعفين .. وحامد : مادح

فقد كفى عن رقة الراعى ولينه اللحم فى إصلاح شأن ما يرعاه من إبل أو غنم ،
بضعف العصا ، لأن ضعف العصا يستلزم عدم إرادة الإيذاء ، وهذا يستلزم الرفق
واللين .

وقول الآخر فى وصف الراعى أيضا :

صلب العصا بالضرب قد دماها تود أن الله قد أفاها (١)

كفى عن شدته للثمرة فى إصلاح شأن ما يرعاه ، بصلابة العصا ، لأن صلابه
عصا الراعى ، تستلزم الشدة فى زجر ما يرعاه عما يضره ويؤذيه ، وهذا يستلزم حسن
الرعاية ... فالغاية فى البيتين واحدة وإن اختلفت الوسيلة ، فالوسيلة فى البيت
الأول : الرفق واللين ، وفى الثانى : الشدة وقوة الزجر عن ارتداد الراعى للرديئة التى
تؤذى ... والغاية من الكتابين : الدلالة على حسن الرعاية ... ومما لطف الكناية وحسنها
فى البيتين ، أنه قد ضم إلى كل منهما ، ضرب من ضروب الجمال فى التعبير ، فضم إلى
الأولى المجاز المرسل فى قوله : " ترى له غلبها أصبعا " وقد أفاد هذا المجاز الأكثر
الحسن الذى يبدو على أجسام الثوق أو الغنم ، وفى هذا دلالة على المبالغة فى حسن
رعاية الراعى ... وضم إلى الثانية الثورية الحسنة فى قوله : " بالضرب قد دماها "
، أى : صيها كالدمى (٢) حسنا ، يسوره بها فى ضروب الأرض ، فالضرب له معنيان ،
قريب وهو الضرب بالعصا ، وبعد وهو السور فى الأرض ، وكذلك " دماها " لها معنيان
، قريب وهو أسال دمه ، وبعد وهو صيها كالدمى فى الحسن والجمال ... والمراد :
المعنيان البعيدان ، وقد رشحت الثورية بقوله : " صلب العصا " لئلا يمتد للمعنيين
القريبين : الضرب وإسالة الدماء ... وسبب تلطيف هذه الثورية للكناية أن المعنى القريب

(٣) يادى الثوق : طاعنها قلعة اللحم فى جسمه ونحوه .

(١) الضرب : يطلق على الضرب بالعصا وعلى السور فى الأرض ... وأفاها : أى أهلكها فهى من
شدته عليها تمنى أن يكون الله قد أهلكها .

(٢) الدمى : مفرد دمية وهى الصورة الحسنة المزيّنة .

للفظين برهم الإيذاء والإيلاء ، ولكن بالتأمل والوقوف على المعنى البعيد المراد من كل منهما ، يندفع هذا الترهيم ، فيتأكد بذلك المعنى المراد من الكتابة وهو حسن رعاية الراعي .

ما الفرق بين الكتابة والتعريض ؟ يتفق التعريض والكتابة في أن كلا منهما معنى يفهم من الكلام ولا تبدل عليه الألفاظ دلالة حقيقية ، فقولنا : فلان كثير الرماذ ، دل على معنى الكرم بطريق الكتابة والتلازم بين معنى الكرم ، وكثرة الرماذ ، وليست دلالة كثرة الرماذ على الكرم دلالة حقيقية ، وقول احتجاج في عطاء الفس : " والله إلى احتجاج ، وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني " دل على التقلب بطريق " التعريض " فقد فهم من كلامه التعريض بقلبه ، وليست دلالة كلامه على التقلب دلالة حقيقية .

ويختلف التعريض عن الكتابة من جهتين :

الأولى : أن التعريض معنى يفهم من عرض الكلام وجوانبه ، وسياقاته وقرائن أحواله ، فالتلازم بين المعنى التعريض والمعنى الحقيقي للألفاظ يرجع إلى المواقف الخاصة التي يقال فيها الكلام كما في المثال السابق أما التلازم بين المعنى المكتسب به والمعنى المكتسب عنه فمرجعه إلى العرف والعادات وطبائع الأشياء وخصوصيات الأفعال على نحو ما عرفت .

الثانية : أن التعريض لا يأتي إلا في التراكيب ، ولا يمكن أن تبدل عليه اللفظ المفرد ، وذلك لاحتياجه في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب .. أما الكتابة فتأتي في المفرد وفي المركب .

فمن الكتابات المفردة : " مواطن الأسرار " ، " مواضع الأضغان " ، " مواطن الحلم " ، و " صلب العصا " ، " ضعيف العصا " ... ومن المركبة : " المجد بين ثوبيه

والكرم بين يديه " ... ﴿وَأَوْزَنْ نِشْأَ فِي الْخَلْقِ﴾ ، " بيت منحة من اللوم بينهما... إلى
أمر ما مر من شواهد الكناية .

ومن أمثلة التعريض ما روي أن عمرو بن مسعدة كتب إلى " السامون " في أمر
بعض أصحابه : " أما بعد فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول في إلحاقه
بنظرائه من الخاصة ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجلس في مراتب المستشفعين ، وفي
ابتدأ بذلك تعدى طاعته " ، فوقع السامون في طهر كتابه ، قد عرفنا تصريحك له
وتعريضك لنفسك ، وقد أجبناك إليهما .

وقول على كرم الله وجهه : " إن الموت طالب حيث لا يقوته المقيم ، وإن
أكرم الموت القتل ، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لضربة كنف سيف أمون على من
مينة على فراش ... " ، فهذا كلام قائله على جهة التعريض بأصحابه لتأمرهم عن الجهاد
ومقاتلة الأعداء .

ومن التعريض بخطبة المرأة : كأن يقول الرجل لها : " والله إنك جميلة . ولعل
الله أن يرزقك بعلا صالحا ، وإلى نفسي حاجة إلى امرأة سالحة ... " ، وقد جعل الله
التعريض بخطبة المرأة جائزا في عدتها ، دون التصريح ، قال عز وجل : ﴿وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتُمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(١)

ومن قول الله عز وجل : ﴿قَالَ بَلَىٰ فَعَلْنَا نَحْبِرُهُمْ ذَلًّا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا
يَظُنُّونَ﴾^(٢) ، ففيه تعريض بخطأ القوم وتعاميهم عن الحق وتسلية أحلامهم حيث عبدوا
هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، ولا تعبرهم جوابا إذا سئلت .

(١) سورة البقرة آية ٢٣٥ .

(٢) سورة الأَنْبِيَاء ٦٣ .

الكتابة التعريفية : وقد يجتمع التعريف والكتابة في التعبير الواحد وتسمى الكتابة عندئذ بالكتابة التعريفية أو المؤتمدية ، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " ، كعاد الحديث الشريف ، حصر الإسلام في من سلم المسلمون من أذاه ، وهذا يستلزم نفي الإسلام عن كل من يؤذي المسلمين ، وهو المعنى المكاني عنه ، فإذا قيل الحديث في مقام يوجد به من يعرف بإهداء المسلمين ، فهم من عرض الكلام وحالته التعريف بذلك المؤذي ... ومنه قوله عز وجل : ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) فإذا فسر " الغيب " في الآية ، بالغيب عن حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، يكون المعنى المصرح به : ثبوت الهداية للمتقين الذين آمنوا بالله ورسوله وقت حضورهم ووقت غيبتهم عنه ، وهذا يستلزم إغلاصهم في العقيدة والعبادة ، وهو المعنى المكاني به ... وفي الآية مع ذلك تعريف هؤلاء النافقين الذي أظهروا الإسلام وقت حضورهم فإذا ما غابوا دخلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

ومنه قول المتنبي في التعريف بنفى الصدق عن قتاله :
تشتكي ما اشتكت من ألم الشوق

في إليها والشوق حيث التحول

فقله : " والشوق حيث التحول " يلفظ حصر الشوق في الجسم التحيل ، وهذا يستلزم نفي الشوق عن الجسم السمين المتلئ ، لأن سمن الجسم في عرف أهل الفري والعشق ، يستلزم الخلو من الشوق ، فالعنى المكاني عنه هو نفي نسبة الشوق إلى صاحب الجسم السمين ، وفي هذا تعريف بنفى الشوق عن قتاله حيث تدعيه وقد سمن جسمها وانتلأ لحما ، فهي كاذبة في ادعائها .

ومثله قول الآخر :

(١) قول سورة البقرة .

يلوم في الحب من لم يلد طغم هوى

والما يعذر العشاق من عشقا

فهو يفيد أن اللوم يقع على العشاق من الذين لم يعرفوا الهوى ، ولم يتدقروا طعم الحب ، و لم يكتسبوا بنار العشق ، وهذا يستلزم نفى اللوم عن أهل الهوى فالجنى المكسب عنه هو نفى نسبة اللوم إلى العشاق وأصحاب الغرام ، كما يؤكد ذلك الشطر الثاني : "إنما يعلن العشاق من عشقا " ، فإذا ما وجه هذا اليبس إلى من عرف باللوم أو قبل في مجلس يحضره من عرف بلومه أهل الهوى ، كان الكلام تعريضا به .

وكما يجتمع التعريض والكتابة في التعبير الواحد ، فقد يجتمع والمجاز ، كقولك : "أنا لا أظعن في أعراض الناس ، ولست بمن يظعن في الأعراض " فقد استعير " قطعن " للإيذاء " ، واشتق منه ظعن بمعنى أذى على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل ، فإذا ما قيل هذا القول أمام أناس قد عرفوا واشتهروا بالإيذاء أو أشار السياق إلى كون من تكلمت عنه مؤذيا ، كان الكلام تعريضا به .

وبهذا يتضح أن التعريض كما يفهم من عرض التراكيب الحقيقية التي لا مجاز بها ولا كتابة ، فقد يجتمع وأسلوب الكتابة كالمجاز وهذا يوضح ما قررناه من أن التعريض يفهم من التركيب ، ولا يمكن أن يدل عليها اللفظ المنفرد ، فهو معنى يفهم من حوالب الكلام وسياقاته الخاصة ومواقفه ومقاماته المعينة .

التلويح والرمز والإشارة : تردت في كتب البلاغيين أسماء عدة تطلق على مفهوم الكتابة أو التعريض ، منها : الإرداف والتعثيل والتلويح والرمز والإساء والإشارة واللحن ، وقد أخذ الأصم من قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ فَهَّمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾^(١) ، فاللحن في الآية مراد به : التعريض بالشئ من غير تصريح به ، أو الكتابة عنه بغيره ... يقول الشاعر .

(١) سورة محمد الآية ٣٠ .

ولقد خنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الآساب^(١)

ولا يتسع المقام هنا لتفصيل القول في هذه المصطلحات وتبويبها في كتب البلاغيين ، ولكننا نكتفي بالحدوث عن ثلاثة فقط منها حديثاً موجزاً ، لنبين أن مفهومها لم يختلف عن مفهوم الكتابة التي فصلنا القول فيه .

فالترجيح معناه في اللغة : الإشارة إلى الغير من بعيد ، ولذا أطلقوه على الكتابة التي تعددت وسائلها نحو : كثير الرماد ... وجبان الكلب ...

والرمز في اللغة أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، ولذا أطلقوه على الكتابة التي قللت وسائلها أو تعددت وكان بها تنوع من خفاء التلازم بين المعنيين : المكتى به والمكتى عنه ، نحو : عريض القفا ، وعريض المنكبين ، وصغير السراي ، وطيب الحيزات ... والإشارة أو الإيماء ، يكون لمن قرب جداً ووضح ، ولذا أطلقوها على الكتابة التي تعددت وسائلها أو قللت ، ووضح فيها التلازم بين المعنيين نحو الكتابة عن المرأة بالتمجيد أو عذاب البدان ، أو التشبیه في الخلقة ، وعن الرجل بعمل السلاح ، وعن الصدر بموطن الحلم وعن الفقر بقلة الفأر في البيت ...

ومنها قول أبي تمام :

أبين فما يزورن مسوى كريم وحسبك أن يزورن أبا سعيد

كأن عن نسية الكرم إلى أبي سعيد يزارتهن له وقد أبين زيارة غير الكريم ، فالتلازم واضح بين المكتى به والمكتى عنه وليس هنالك وسائل ...

وقول البحري :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة لم يتحول ؟

(١) انظر الكشف ج ٣ ص ٥٣٨ .

كتبى عن نسبة الجند إلى آل ملحة ، بإلقاء الجند رحله فيهم ، فالتلزم واضح ، ولا يلقى ما فى البيت من حبال رالع حيث صور الجند حيا متحركا يلقى رحله فى ساحة هؤلاء الأجداد ، ثم يستقر فيهم فلا يتحول عنهم

وقول الآخر :

حتى تخلصو قيس من كويسم ومسلمة بن عمرو من قيس

كتبى بعدم علوهم من الكريم عن نسبة الكرم إلى مسلمة بن عمرو ..

وقول أبى نواس :

تقول التى من بيتها خف محملى عزيز علينا أن نراك تسير

فقد كتبى عن امرأته بقوله : " التى من بيتها خف محملى " ، والتلزم واضح بين الكنى به والكنى عنه

بلاغة الكتابة وسر جمالها : الكتابة من التعريفات البيانية الفنية بالاعتبارات والأرباب والملاحظات البلاغية ، فهي تضل على المعنى جمالا ، وتزيده قوة ، ويستطيع الأديب التمكن ، والبليغ المتمرس أن يحقق بأسلوب الكتابة العديد من المقاصد والأهداف البلاغية ، وأهم تلك المقاصد :

١ - إفادة المبالغة فى المعنى ، لأن التعبير عن المعنى الكتابي بروادفه وتواضع له من القوة والتأكيد ما ليس فى التعبير عنه بالكلمة الموضوع له ، وذلك لأنه يصبح كإبراز الدعوى بدليلها وكإثبات الحقبة بيئتها.... وهذا واضح فى التعبير عن " الكرم " بكثرة الرماد وهزال الفصيل وحين التقلب ، وعن طول الجند بعيد مهوى القربط فى قول الحماسي :

أكلت دما إن لم أركبك بضيرة بعيدة مهوى القربط طية النشر

وعن الزوف والتنعيم بقول امرئ القيس :

وتضحى قيت المسك فوق فراشها

ندوم الضحى لم تتطرق عن تفصيل

وترجع إتقادة للبالغة في التعبير الكتابي إلى هذه اللوزام والتواضع التي عوينا عن المكتنى عنه ، فهي بمثابة الأدلة والبراهين على تحقيق المعنى وإثباته .

٢- تجسيد المعاني وإبرازها في صور محسوسة ترعبر بالحياة والحركة ، فيكون ذلك أدعى لتأكيدا ورسوخا في النفس ، ويتضح ذلك في التعبير عن معنى الشبهوة وكبر السن بقولك : " انحنى ظهره وصار يحشي على عكاز " ، فقد جسّد أسلوب الكتابة معنى الضعف والكبر وأبرزه في صورة حية ماثلة أمام الأعين ، وفي النظم الكريم : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(١) ، أبرزت الآية معنى البخل في صورة اليد المشدودة إلى العنق ، المقيدة به وهي صورة قبيحة تنفر منها النفوس فتقبل على البذل والعطاء ... ويقول عز وجل : ﴿وَلَوْ رَغِبُكَ عَنِ النَّاسِ يَدِيهِ﴾^(٢) ... ﴿وَلَوْ كُنَّا سَقِطًا لَّاسْتَفْتَيْنَاكَ وَلَوْ أَنَّا سَأَلْنَاكَ وَأَنْتَ تَرْجُو سَأَلَهُ النَّاسُ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) ، أبرزت الآيات الكريمة معنى " الندم " في هذه الصور المحسوسة المشاهدة ..

ومن أشعارهم قول ليلى الأندلسية :

ومحرق عنه القميص تحالسه بين البيوت من الحياء سلقيا

أبرزت المعنى المعنوي وهي نسبة الكرم إلى المندوح في صورة مشاهدة محسوسة: " محرق عنه القميص " ، لأن العدة يجذبه فتعرق قميصه من مواصلة جذبيهم

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٧ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٩ .

(٤) سورة الكهف آية ٤٢ .

إياه ... كما أبرزت وصفه بالحياة في صورة مرآة حسية وهي صورة الإنسان السقيم

...

وقول الآخر في الكتابة عن كبره وضعفه :

قد كان يعجب بعضهم براعته حتى سمعن تنحنحن وسعالي

أبرز معنى الضعف والكبر في صورة كرهية مسموعة تعافها الأذن فتتفر منها النفوس وهي : صورة المذئ لا يكف عن التنحنح والسعال. ..

وقول أبي فراس الحمداني وهو أسير في بلاد الروم يخاطب ابن عمه سيف الدولة:

وقد كنت أحتسب الفجر والشمل جسامع

ولسى كل يسوم لليلة وخطاب

فكيف وفيما يتناملك قيصر

وللبحر حول زحيرة وعساب ؟

كنى عن " البعد الشاسع بينهما " بقوله " يتناملك قيصر وللبحر حول زحيرة وعساب " ، فأبرز معنى " البعد " في صورة مشاهدلة محسوسة ...

٣- استطاع بأسلوب الكتابة التصوير عن المعاني غير المستحسنة ، بألفاظ لا تعافها الأذواق ولا تمسها الآذان ... وشواهد هذا كثيرة في النظم الكريم الذي لا يحصى إلا التعبير الحسن والكلام العذب السائع ... من ذلك قوله عز وجل في الكتابة عن الجماع : ﴿لَا تَسْتَمُ السَّاءُ﴾^(١) . ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ الرِّفْتُ إِلَى سَائِكُمْ﴾^(٢)

(١) سورة النساء آية ١٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧.

وفي الكتابة عن الفرج : ﴿ يَسْأَلُكُمْ خِزْيَتُ لَكُمْ فَأْتُوا بِكُمْ أَنَّى يَسْتَأْذِنُ ﴾^(١) وفي الكتابة عن النكاح : ﴿ وَتَكُونُ لَأَنفُسِكُمْ سِرًّا ﴾^(٢) ، وفي الكتابة عن قضاء الحاجة : ﴿ وَأَوْجَاءُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِبِ... ﴾^(٣) .. ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ حَبِيبَةُ كَانَا يَتَكَلَّمَانِ الْمُعَامَّ ﴾^(٤) .. ومن أشعارهم في الكتابة عن فرج المرأة قول المتنبي :

أني على شغلي بما في حرها لأعف عما في سراويلها

وقول الشريف الرضي :

أحن إلى ما يضمن الخمير والخلى وأصدف عما في ضمان المازر

٤ - يستطاع بأسلوب الكتابة التعمية والتعطية وإخفاء ما يورد للكلم إخفاءه حرصاً على المكى عنه ورغبة في عدم تروده على الأكنة ، كما في الكتابة عن أسماء النساء .. أو عرقاً من الإفصاح بالمكى عنه ، كما في الكتابة عن أسماء الأعداء ... من ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

أيا نخلى وادي بوالسة حسداً إذا نام حراس النخيل جناكما
فطيكما أري على النخل بهجة وزاد على طول الفناء فتاكما^(٥)

فقد كنى " بنخلى وادي بوالسة " عن الثين من صريحاته ، ورغبة منه في إخفاء اسميهما ، وحرصاً على حسن سمعتهما بين الناس ، كما كنى " بحراس النخل " عن ذوبهما عرقاً منهم وتحاشياً لإثارة غضبهم وحميتهم ...

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٣.

(٣) سورة النساء آية ٤٣.

(٤) سورة المائدة آية ٧٥.

(٥) بولاة : اسم موضع ... جناكما : حسنكما ... أري : زاد عليه ... الفناء : الشباب ..

ومنه قول الآخر :

لما سادت الخال فاستطاع لها على العهد باقى ودعا لم تصرماً^(١)

كأنى " بذات الخال" عن صاحبه حرصاً على سمعتها وصوناً لاسمها عن الابتغال
بإزدياد شعره وسماعه ..

وقول أبي نواس :

تقول التى من بيتها خف محملى عزيزت علبسا أن نشارك تسير

كأنى عن امرأته بقول : " كفى من بيتها خف محملى " حرصاً على إحياء اسمها
وصيانتها ..

ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿وَرَأَوْنَهُ الّٰهَ فَوّٰى لَيْتَہَا عَنْ نَفْسِہٖ﴾^(٢) فقد
كأنى عن امرأة العزيز بقوله تعالى : " التى هو فى بيتها " رغبة عن ذكر اسمها أو نسبتها
إلى " العزيز " ، وحرصاً على جملة الصلة : " هو فى بيتها " ، ليحوز عفة يوسف عليه
السلام ، وإعراضه عن الفاحشة ، فهو فى بيتها ، وهو متمكنة منه ، وقد غلقت الأبواب
وترينت وعرضت نفسها : " هبت لك " وعلى الرغم من كل ذلك تعطف عليه السلام
وأعرض وقال : ﴿فَتَعَادَا فَمِنْ اِنَّہٗ رَئِیْ اَحْسَنَ فُلُوْا۟ اِنَّہٗ لَا یُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ .﴾^(٣)
ولاحظ فرق ما بین للکئی به فی الآیة الکریمہ : " التى هو فى بيتها " وفى البيت المذكور
" التى من بيتها خف محملى " ، فما فى الآیة یفید استقراره - عليه السلام - فى البيت
وشککها منه بدلالة الحرف " فى " ، وما فى البيت یفید الذهاب والابتعاد : " من بيتها خف .. " .
هذا وقد حرت عادة الشعراء أن یکنوا عن أسماء قبیاتهم ، أو یطرحوا تلك
الأسماء ، ویطوروها من اللفظ سحرًا لها ، وصوتًا لها عن التبدل بحرفاتها على الألسنة ،
وترددتها على الأصابع ، ولذا أحبروا الأماكن الثابتة المنعزلة حيث یمكنهم التمتع والتلذذ
بإزدياد تلك الأسماء والتغنى بها ، یقول ذو الرمة :

(١) كلما : انزلا .. الخال : الشامة فى صدر الحسانه ... تصرم : زال وقطع ...

(٢) سورة يوسف آية ٢٣

أحب المكان القفر من أجل أنى به ألقى باسمها غير معجم ...

٥- ومن محاسن الكتابة ، تقديم المعنى فى نفوس السامعين ، ويتضح لنا ذلك فى الآيات الكريمة التى عبرت عن يوم القيامة ووصف ما فيه من أهوال ... من ذلك قول الله عز وجل : ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَذْرَاقَهَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعُفُوفِ ... ﴾ (١) وقول تعالى : ﴿ إِذَا دُفِنُوا الصَّاعَةَ ... ﴾ (٢) ﴿ إِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴾ (٣) ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ الْقَالِيَا ... ﴾ (٤) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى كسى فيها عن يوم القيامة بوصف ما يكون فيه من أحداث وأهوال تفرع القلوب وترجع النفوس ، فليس المراد بتلك الكتابة ، معرفة المكى عنه والوقوف عليه ، ولكن المراد تنبيه العقول وإيقاظ النفوس بعرض هذه الأوصاف وذكر تلك الأحداث والأحوال ، ودعاً للكفر وزحراً وتنبيهاً للمؤمن وتغديراً . وصدق الله العظيم : ﴿ إِنَّا إِلَٰهِنَا الْأَعْلَىٰ وَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٥) يَوْمَ تَرْوُفُهُمْ تَدْعُلُ كُلُّ مِرْصَعةٍ عِشَاً أَرْضُكُمْ وَأَتَصَحَّ كُلُّ فَأْتِ حَمَلُهَا ، وَيَسْأَلُ النَّاسُ سُكَّارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَّارَىٰ ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٦) ... وقال الله وإياكم تار عذابه ومنعنا جميعاً بنعيم جنته إنه مبيح الدعاء .

* * *

- (١) أول سورة القارعة .
(٢) سورة عبس آية ٣٣ .
(٣) سورة الدارجات آية ٣٤
(٤) أول سورة الزلزلة
(٥) أول سورة الحجج .

خاتمة

ما من ريب في أن فنون البيان تتفاوت في رسم الصورة اليبانية ،
وتعديد معالمها، وإبرازها ، فما يرسمه التشبيه غير ما تصوره الاستعارة ، وما
تعديه الكتابة غير ما يبرزه المجاز

وقد اتفق البلاغيون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة أبلغ
من التشبيه ، والكتابة أبلغ من التصريح ... واختلفوا في الموازنة بين المجاز
والكتابة ، فقبل أن الكتابة أبلغ من المجاز بنوعه : المجاز المرسل والاستعارة ،
وقبل الاستعارة أبلغ من الكتابة ، لأنها كالجامعة بين الاستعارة والكتابة ، وقبل
إن الاستعارة المكتوبة أبلغ من الكتابة ، والكتابة أبلغ من التصريح ،
وقبل : الاستعارة التعليلية أبلغ أنواع الاستعارات ، لأنها تكون في الميقات
الركبة للترعة من أمور متعددة ، فهي كثيرة الاعتبارات والملاحظات ...
والسؤال الآن : ما معنى الأبلغية التي يثبت عليها هذه الموازنات ؟ وهل هذه
الموازنات واختلاف البلاغيين فيها أثر فيما تعيده تلك الفنون اليبانية ؟ .

والجواب : أن المراد بالأبلغية : زيادة تأكيد المعنى وتقريره وإثباته ،
وليس المراد بها زيادة في حقيقة المعنى الذي يبراه أداه ، فالتشبيه في قولنا :
محمد أسد ، يفيد زيادة تأكيد لإثبات الشجاعة لمحمد ، لا تعيدها للبالغه بغير
التشبيه نحو : محمد أكثر الناس شجاعة ، ولا يفيد التشبيه أننا نحذفنا إلى شجاعة
محمد قدرأ آخر لم يكن موجودا فيه . وكذلك الكتابة في قولنا : زيد كثير
الرماد ، تعيد زيادة تأكيد في إثبات الكرم لزيد ، لا تعيدها للبالغه بغير الكتابة

نحو : كرم زيد لا يبارى ، ولا تفيد الكتابة أننا أضفنا إلى كرمه قدراً لم يكن موجوداً فيه ... والاستعارة كذلك ، فقولنا : رأيت أسداً يقاتل في الميدان ، يفيد زيادة تأكيد في معنى الشجاعة ، لا تفيدنا الحقيقة في نحو : "رأيت شجاعاً في الميدان لم أر مثلاً شجاعته" ولا يفيدنا التشبيه في نحو : "شجاع كالأسد" ، ولا يعني هذا أن الاستعارة أضافت إلى شجاعة الشجاع قدراً ليس موجوداً فيه .

فالأبلغية إذا تعنى زيادة تأكيد المعنى وتقديره ، وزيادة قوة تأثير هذه المنون اللفظية في النفوس ، ولها تولد من شعور بثبوت المعاني التي يراد التعبير عنها وتأكيدها.

ولرى أن اختلاف اللفظيين في الموازنة بين هذه الفنون لا أثر له فيما تصوره ، إذ المرجح في ذلك لما يقتضيه المقام فإذا اقتضى المقام الإصحاح كان بلا ريب أبلغ من الكتابة ... وإذا اقتضى التشبيه كان أبلغ من الاستعارة ولا يعني ذلك أن هذه الفنون سواء في المادة المعاني وتحديد معالم الصور ، بل تفاوتت في ذلك كما قلنا ، وكما وضع لنا في محال هذه الدراسة ، فقد وقفنا على مفهوم كل فن من تلك الفنون وعلى أوجه التفاوت والاختلاف بينها ، بل على أوجه الاختلاف بين صور الفن الواحد ، فمثلاً إذا أردنا أن نصف محمداً بالكرم ، لنا أن نقول : محمد كريم ... محمد كالحجر في الجود محمد كالبهر ... محمد بحر في الجود محمد بحر ... شاهدت بحراً يتصدق ويفيض على الناس ... محمد حبان الكلب مهزول القفيل ... وأنت نسبة الكرم إلى محمد سواء في هذه الصور ... بل تفاوتت وتختلف ، والمقام هو الذي يحدد ويقتضي استخدام هذه الصورة أو تلك ، وعليك أن ترجع إلى فصول هذا الكتاب ليتبين لك أوجه التفاوت والاختلاف بينها ... والله الهادي إلى سواء السبيل ، وهو مولانا ونعم النصير ... تسأله سبحانه وتعالى أن يزيننا خير الجزاء وأن ينفع بهذا الكتاب ،

وأن يغفر لنا ولوالدينا وإخواننا ومشتايكنا ونحن سيقفنا بالإيمان ، وأن يغفر عنا
وعنهم . ولا يؤاخذنا بما يكون قد جرى به القلم من زلات فقل عنها القفل ،
إنه مميح قريب بحسب الدعوات ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى
آله وصحابه أجمعين ، وآخر دعواتنا أن الحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله تعالى في الزمان	والمكان : حي المطار بعنيزة القصيم
٢٩ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ .	المملكة العربية السعودية
الموافق	
١٠ يناير سنة ١٩٨٦ م	د. / مسيوني عبد الفتاح

أهم مراجع الكتاب

- (١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي طبعة الخليلي سنة ١٣٩٨هـ.
- (٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر ط دار الطباعة المحمدية سنة ١٣٩٢هـ ، ص: محمد عبدالتعم عفاجي .
- (٣) الأسلوب للدكتور أحمد الشايب ط السعادة .
- (٤) إحصائ القرآن للباقلاني ط دار المعارف سنة ١٩٧٧ م . ت : السيد صقر .
- (٥) إحصائ القرآن للرافعي ط المكتطف سنة ١٣٤٦هـ.
- (٦) الأخصى القريب للتوحى ط السعادة سنة ١٣٢٧هـ .
- (٧) أمالي المرتضى ط الخليلي سنة ١٣٧٣هـ . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- (٨) الإيضاح للقرظبي وبهاشبه البقية ط صبيح سنة ١٣٩٢هـ .
- (٩) الزهراء في وجوه البيان [فقد النثر] لابن وهب ط مطبعة مصر سنة ١٩٣٩م.
- (١٠) البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف للدكتور محمد أبو موسى ط دار الفكر العربي .
- (١١) البيان القرآني للدكتور محمد رجب البيومي ط دار النصر سنة ١٩٧١م.
- (١٢) البيان والتبيين للمصطفى ط الخافجي ت : عبد السلام هارون .
- (١٣) البيان العربي للدكتور بدوي طباعة ط الرسالة سنة ١٩٥٥ .
- (١٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ط الخليلي سنة ١٣٧٣ هـ .
- (١٥) تحرير التحييم لابن أبي الأصبغ ط المجلس الأعلى سنة ١٣٨٣هـ ، ت : حنفي شرف .
- (١٦) التصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى ط دار التضامن سنة ١٤٠٠ هـ .

- (١٧) تلخيص البيان في معاني القرآن للشريف الرضي ط المجلس سنة ١٣٧٣ هـ ، ت : محمد عبد الغني حسن .
- (١٨) تنزيه القرآن عن الطاعن لعبد الجبار ط دار النهضة بيروت .
- (١٩) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ط : دار المعارف سنة ١٩٧٦ م .
- (٢٠) الجمال في تشبيهات القرآن لأمين نالبا ، ط : منشأة المعارف ، ت : مصطفى الجويني .
- (٢١) جبهة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، ط : جامعة الإمام : محمد ابن سعد الإسلامية ت : محمد الحافظي .
- (٢٢) حاشية الشهاب الحفافي على البيضاوي ط : دار الطباعة الخديوية .
- (٢٣) الحيران للحافظ ، ط : الساسي سنة ١٩٥٠ م
- (٢٤) الخصائص لابن جني ، ط دار الهدى بيروت ، ت : محمد علي النجار .
- (٢٥) دلائل الإعجاز لعبد القاهر ، ط : القحالة ، ت : الدكتور : محمد عبد النعم عفاحي .
- (٢٦) الرسالة البانية للصبان علي هامش حاشية الإنشائي المطبعة الأميرية سنة ١٣١٥ هـ .
- (٢٧) سر القصيدة لابن سنان الحفافي ، ط : الحافظي ت : علي فودة .
- (٢٨) شرح المعلقات للوزني المطبعة التجارية سنة ١٩٧١ م .
- (٢٩) شروح التلخيص .
- (٣٠) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ط : دار المعارف سنة ١٩٦٧ م . ت : لأستاذ أحمد شاكر .
- (٣١) الصحاح لأحمد بن فارس ، ط : الزيد سنة ١٣١٨ هـ .
- (٣٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ط : الخليلي سنة ١٩٧١ هـ .
- (٣٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ط : للندي ، ت : محمود شاكر .
- (٣٤) الطراز ليحيى بن حمزة العمري ، ط : للقطف سنة ١٣٣٣ هـ .

- (٣٥) عقود الجمان للسيوطي المطبعة الشرقية سنة ١٣٠٥ هـ .
- (٣٦) علم البيان للدكتور : بدوى طبانة . ط : المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٧م .
- (٣٧) العملة لابن رشيح . ط : دار الجليل . ت : محمد محي الدين .
- (٣٨) عيار العشر لابن طباطبا . ط : شركة فن الطباعة سنة ١٩٥٦م .
- (٣٩) فن الاستعارة للدكتور أحمد الصاوي ط : القبة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٩م .
- (٤٠) فن التشبيه لعلي الجندي ط : نهضة مصر سنة ١٩٥٢م .
- (٤١) الكتاب لسبويه . ط : القبة المصرية سنة ١٩٧٧م . ت : عبد السلام هارون .
- (٤٢) الكشف للزمخشري . ط : الحلبي سنة ١٣٩٨ هـ .
- (٤٣) الكامل للمبرد . ط الحلبي سنة ١٣٩٨ هـ .
- (٤٤) لسان العرب لابن منظور . ط : دار المعارف .
- (٤٥) متشابه القرآن لعبد الجبار . ط : دار النصر سنة ١٩٦٩م . ت : عدنان زردور .
- (٤٦) لئال السائر لابن الأثير . ط : الحلبي . ت : محمد محي الدين .
- (٤٧) مجمع الأمثال للميداني مطبعة السعادة سنة ١٣٧٩ هـ . ت : محمد محي الدين عبد الحميد .
- (٤٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة . ط : الخافجي . ت : محمد فواد .
- (٤٩) معاني القرآن للقراء . ط : القبة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠م .
- (٥٠) لفظول لسعد الدين التفتازاني .
- (٥١) معاهد التنصيص على شواهد التنصيص للعاسي مطبعة السعادة . ت : محمد محي الدين عبد الحميد .
- (٥٢) مفتي اللبيب لابن هشام مطبعة المدني . ت : محمد محي الدين عبد الحميد .

- (٥٣) مفتاح العلوم للسكاكي . ط : الحلبي سنة ١٣٥٦هـ .
- (٥٤) الفضليات للفضي طبعة دار المعارف الطبعة الخامسة . ت : الأستاذ محمود شاكر .
- (٥٥) من أسرار التفسير القرآني للدكتور محمد أبو موسى . ط : دار الفكر العربي سنة ١٣٩٦هـ .
- (٥٦) من بلاغة النظم العربي للدكتور عبد العزيز عرفة . ط : دار الطباعة المحمدية سنة ١٤٠٢هـ .
- (٥٧) مناهج التحديد لأمين الخولي . ط : دار المعرفة سنة ١٩٦١م .
- (٥٨) الموازنة بين أبي تمام والبحتري للأمدى . ط : دار المعارف سنة ١٣٨٠هـ .
- (٥٩) ثبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز مطبعة السعادة سنة ١٣٨٩هـ .
- (٦٠) نقد الشعر لتقديم . ط : أنصار السنة سنة ١٩٤٩م ت : كمال مصطفي .
- (٦١) النقد النهمي عند العرب للدكتور محمد منبوق . ط : نهضة مصر سنة ١٩٧٢م .
- (٦٢) النقد الأدبي لسيد قطب . ط : دار الفكر العربي سنة ١٩٥٤م .
- (٦٣) النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمي هلال . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧١م .
- (٦٤) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي . ط : مطبعة الآداب سنة ١٣١٧هـ .
- (٦٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز المرجاني . ط : الحلبي . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- (٦٦) بريمة الدهر للشمالي . ط : الصاوي سنة ١٩٣٤م .

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
القدمة	٦-٣
التمهيد : مفهوم البيان - آلياته - أنواع الدلالة - البيان في اصطلاح البلاغيين - التفاوت في وضوح الدلالة - أوجه الدلالة البيانية - موقع التشبيه من المباحث البيانية	١٥-٧
الفصل الأول : التشبيه	٢١-١٧
تعريفه - التشبيه الضمني - التجريد وعلاقته بالتشبيه - أركان التشبيه - ما يحتتم ذكره منها وما يجوز حذفه	٢١-١٧
مباحث الطرفين :	٤٦-٢١
عقلية الطرف وحسيته - أفراد الطرف - تقليده - تركيبه - تعدده - تشبيه المحسوس بالمحسوس - الطرف الخيالي - تشبيه الملعقول بالملعقول - تشبيه الملعقول بالمحسوس - تشبيه المحسوس بالملعقول - الطرف الوهمي - الفرق بينه وبين الطرف الخيالي :	
تشبيه المفرد بالمفرد - تشبيه المفرد بالمقيد - تشبيه المقيد بالمفرد - تشبيه المقيد بالمقيد - تشبيه المركب بالمركب - هل يتأتى تحويل التشبيه المركب إلى متعدد ؟ - تشبيه المفرد بالمركب - تشبيه المركب بالمفرد - التشبيهات المتعددة - الفرق بين التشبيه المتعدد والتشبيه المركب	
مباحث وجه التشبيه	٨١-٤٦

- معنى وجه التشبيه - الوجه الحقيقي والوجه التخيلي -
 أحوال وجه الشبه - الوجه الحسي - الوجه العقلي - الوجه المفرد -
 الوجه المركب - الوجه المتعدد - ذكر وجه الشبه وحذفه - وضوحه
 وغموضه :
 أقسام وجه الشبه - غلاج للمركب الحسي - مقارنة بين وجه
 الشبه المركب ووجه الشبه المتعدد - اكتساب وجه الشبه - التزاح وجه
 الشبه من التضاد - التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي - آراء العلماء في
 التفرقة بينهما :
- ١٠٢-٨٢ التشبيه المحمل والتشبيه للفصل - التشبيه البعيد والتشبيه المتبذل
 - العوامل الموجبة للتبذل - العوامل الموجبة للبعد والقراءة - موازنات
 - القيمة الفنية للتشبيهات البعيدة - وسائل التصرف في التشبيه القريب
 حتى يصبح بعيدا
- ١١١-١٠٣ مبحث أدوات التشبيه :
 الكاف وكان - الفرق بينهما - الأسماء الجامدة والمشتقة -
 الأفعال اللازمة والمتعدية - ما ينشأ بالتشبيه :
 التشبيه المرسل والتشبيه المؤكد - الفرق بينهما - بناء جملة
 التشبيه المؤكد - نماذج التشبيه المؤكد :
- ١٣٥-١١٢ مبحث أغراض التشبيه :
 الأغراض العائدة على المشبه : بيان إمكان وجوده - بيان
 مقدار الحال - تأكيد حال المشبه وتقريرها - ترسيخ المشبه وتعميله -
 تقييده وتشويهه - استطرافه - نماذج - ما يشترط في وجه الشبه
 لتحقيق هذه الأغراض - نقد وموازنة

- الأغراض العائدة على المشبه به : التشبيه للقلوب - المبالغة في التشبيه - بيان شدة الحاجة إلى التشبه به - موازنة - التشابه - التشبيه الحسن والتشبيه القبيح - التشبيه الضمني - مراتب التشبيه : ١٦٨-١٣٧
- الفصل الثاني : الحقيقة والمجاز**
- معنى الحقيقة - أقسامها - معنى المجاز - إنكاره - إنكار الحقيقة - المجاز المفرد والمجاز المركب - تعريف المجاز المفرد - الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل :
- المجاز المرسل وعلاقاته : علاقة السببية - علاقة المسببية - الجزئية - الكلية - اعتبار ما سيكون - اعتبار ما كان - الحالية - الحالية الآلية - المجاورة - علاقات أخرى - المجاز الخيال من الفائدة والمفرد - لزايها البلاغية للمجاز المرسل :
- الاستعارة : معناها - آراء العلماء في التفرقة بين الاستعارة والتشبيه اليلغ - أمجاز لهوى الاستعارة أم عقلى - التفرقة لا تنافى الادعاء - الفرق بين الاستعارة والكذب - وقوع الاستعارة في أعلام الأشخاص :
- أقسام الاستعارة : الاستعارة الحقيقية - الاستعارة التصريحية - الاستعارة للكناية - الاستعارة التخييلية - الاستعارة الأصلية - الاستعارة الطبيعية - الوفاة والعنادية - المطلقة والمجردة والمرشحة والغريبة والمبتذلة - تحول الاستعارة المبتذلة إلى غريبة - قرأتين للاستعارة :
- المجاز المركب : معناه - الفرق بينه وبين المجاز المفرد - الاستعارة التمثيلية - المجاز المرسل المركب - الفرق بينه وبين الاستعارة التمثيلية - رأينا فيه :

الموضوع	رقم الصفحة
خصائص الاستعارة ومزاياها البلاغية - الاستعارة المعيبة - ضوابط حسن الاستعارة - نماذج للاستعارة المعيبة - مناقشات :	
الفصل الثالث : الكتابة :	٢٤٣
معنى الكتابة - وعلاقتها - ما لبثي عليه تلك العلاقة - الفرق بين الكتابة والمجاز	
أقسام الكتابة : الكتابة عن موصوف - الكتابة عن صفة الكتابة عن نسبة :	
الكتابة القريبة والكتابة البعيدة - الفرق بينهما - وضوح الكتابة القريبة وخفاؤها - وسائل الكتابة البعيدة - مقارنات ومناقشات وتحليلات :	
الفرق بين الكتابة والتعريض - الكتابة التعريضية :	٢٦٠-٢٦٢
اجتماع التعريض والمجاز :	
التلويع والرمز والإشارة	٢٦٣-٢٦٤
بلاغة الكتابة وسر جمالها :	٢٦٤-٢٧٠
خاتمة :	٢٧١-٢٧٣
أهم المراجع :	٢٧٥
محتويات الكتاب .	٢٧٩-٢٨٢



دولة فلسطين
الوزارة العامة للتعليم والتعليم العالي

الوزارة العامة للتعليم والتعليم العالي
الوزارة العامة للتعليم والتعليم العالي
الوزارة العامة للتعليم والتعليم العالي

